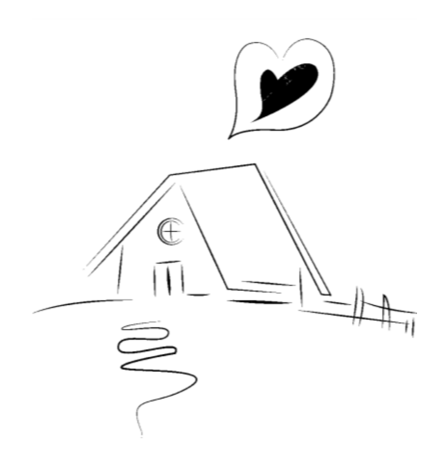


بيت من زجاج

بيت من زجاج

تأليف: **ويندي إيرسكن**

ترجمة: نهال نور

تحرير: هدى فضل

مراجعة لغوية: فاطمة محمود

الطبعة الأولى: مارس 2021

رقم الإيداع: 2020/17810

الترقيم الدولي: 9789773196080

60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة

ت: 27921943 (202+) – 27954529 (202+)، ف: 27947566 (202+)

www.alarabipublishing.com.eg



تصميم الغلاف: سيد كامل

Originally published as Sweet Home by Wendy Erskine, 2018.



صدر هذا العمل بدعم من المؤسسة الأيرلندية للأدب.

ويندي إيرسكن

بيت من زجاج

مجموعة قصصية من أيرلندا

ترجمة: نهال نور



بطاقة فهرسة

ويندي إيرسكن، بيت من زجاج/ تأليف ويندي إيرسكن؛ ترجمة نهال نور.

– القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2020

ص؛ سم.

تدمك: 9789773196080

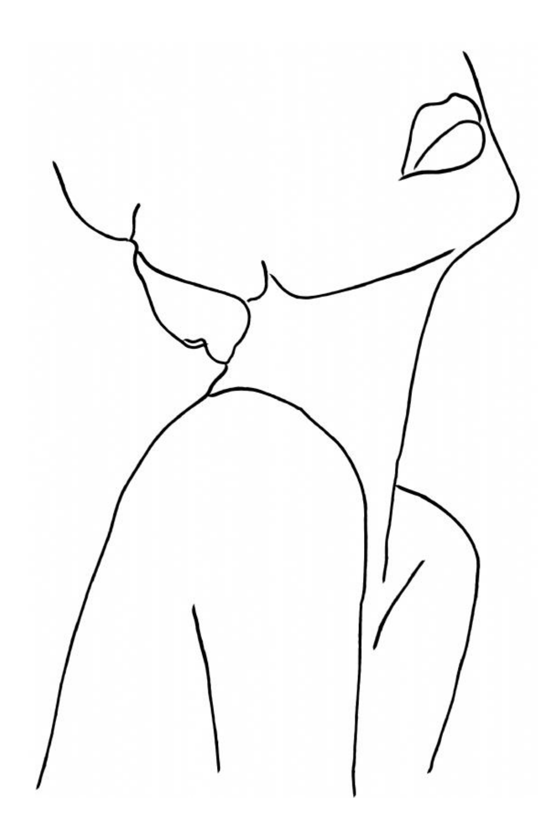
1- القصص الأيرلندية

2- القصص القصيرة

أ- نور، نهال (مترجم)

ب- العنوان 891.623

إلى كل من له حق



"مو"

هناك ثلاثة أنواع من صالونات التجميل؛ تلك المُصمَّمة وكأنها عيادة سويسرية بالغة النظافة، حتى يليق بالعاملين ارتداء أثواب العمليات الجراحية، أو تلك التي تشبه حجرة بائعة الهوى المزينة باللون الذهبي والحرير، وتلك التي تتبنى النمط الكلاسيكي "الريترو"، وتزين جدرانها صور بعض المشاهير من الخمسينيات. قررت "مو" أن يكون صالونها مختلفًا، فصممته على الطراز الاستوائي. حصلت على قرض الشركات الناشئة من "إنفيست إن آي"، وأضافت إليه مبلغًا كانت قد ادَّخرته، واشترت محلًّا تجاريًّا صغيرًا للغاية وبعض الأجهزة المستعملة من أحد المزادات. حضرت دورة تدريبية لأصحاب الشركات الناشئة لمدة أسبوعين، حيث تعلمت كيفية وضع تصور كامل لنجاح المشروع من خلال خلق تكامل بين تصميم منطقة انتظار الزبائن ونوع الموسيقى وشكل الديكور. كلَّفت أحد أصدقائها بطلاء الجدران. كانت تَوَدُّ أن تجعل الصالون له طابع جزر الكاريبي، ولكن عندما انتهى صديقها من الطلاء، بدا في بهرجته وكأنه أحد مقاهي شارع "دامراك" السياحية في أمستردام.

"أتريدين خصمًا على صبغ رموشك؟ فرصة اليوم!".

لا يبدو الصالون بشعًا للغاية، إذا خفتت الإضاءة فلن يظهر جمال التصميم، فربما كانت فكرة ديكور الرمال والقواقع في منطقة الانتظار جيدة، ولكن كان الزبائن دائمًا ما يغرسون أيديهم فيها، ثم يتصفحون المجلات، حتى صارت مليئة بالرمال. بعد مرور ثلاثة أيام من تشغيل ألبوم موسيقى "الريجي" Classic Reggae: The Soundtrack to Jamaica، باستمرار. لجأت "مو" إلى الموسيقى الهادئة المعتادة، وملأت الأواني بالحلوى بدلًا من الرمال.

لا يهم ما تعلمته في الدورة عمومًا، فلا شيء أهم من جودة الخدمات المقدمة، فكانت تقدمها بشكل احترافي، وبأسعار مقبولة، تضمن لها هامش ربح جيد. تقلم الأظافر، وتزيل الشعر الزائد بالشمع، وتضع أقنعة للوجه، وتدلك، وقدّم خدمة تسمير البشرة.. كل ذلك في حجرة واحدة. تستطيع أن تعتمد على "مو" تمامًا، لا على فتيات صغيرات السن لا يعملن بدوام كامل ويقدمن خدمات دون المستوى. كانت تصل إلى الصالون الساعة الثامنة، وتستعد لبدء العمل في التاسعة، وتقضي اليوم بأكمله في العمل لمدة ستة أيام في الأسبوع. بدأت بعض الزبونات في التردد على الصالون بشكل مستمر، وهذا جيد.. نشرت "مو" قبل افتتاحها للصالون إعلانًا في الصحيفة المحلية المجانية تعلن فيه عن تخفيض 15% على كافة الخدمات، وهو ما كان كافيًا لترك أثرٍ إيجابي لدى الزبائن، وساعدها كذلك في أن تبدأ بداية قوية. لم يكن جدول مواعيدها مزدحمًا؛ كانت هناك فترات شاغرة في دفتر الحجز، ولكنها كانت تعلم أن الحال سيستمر هكذا على الأقل خلال الأشهر الستة الأولى.

وصلت "مو" في موعدها ذلك الصباح كالمعتاد، حيث كان الجزار المجاور للصالون يعلق لافتته، وهي على شكل بقرة من الخشب. رفعت باب الصالون الحديدي، ثم بدأت روتينها اليومي. شغلت الغلاية الكهربائية أولًا، ثم وعاء الشمع، ثم أشعلت بعض الشموع المعطرة برائحة جوز الهند الأسود. عليها أن تقضي على رائحة الكلور التي بقيت من الليلة السابقة وملأت المكان؛ فرائحة الأمونيا لا يمكن تجاهلها. شغلت نظام التدفئة أيضًا، فهذا مهم، على الرغم من تكلفته الباهظة. يجب أن يكون المكان دافئًا دائمًا، فلا يجب أن تتجمد الزبونات من البرودة عندما يخلعن ملابسهن كاملة ويرتدين بناطيل ورقية كي يسمرن بشرتهن، يكفي الخجل الذي يشعرن به بالفعل. يصدر جهاز التدفئة ضجيجًا، ولكن لم يشتكِ أحد منه أبدًا. استمعت لرسائل جهاز الرد الآلي المسجلة، وعلقت لافتة "مفتوح" على الباب، وأخيرًا صبت كوب الشاي.

كانت "مو" تمد يدها لتحضر الحليب عندما سمعت صوت انكسار زجاج. جرت من داخل الصالون إلى المدخل، حيث وجدت أمامها فتحة دائرية في النافذة الزجاجية، عرضها بوصتان تقريبًا، لا يزال يتساقط من أطرافها الزجاج الفضي والشرخ يزحف تجاه أطرافها. كانت هناك كرة "سنوكر" حمراء لامعة بجوار المنضدة التي توضع عليها مجلات المشاهير. سمعت "مو" صوت شرخ الزجاج، فحدقت في الكرة ونظرت خارج النافذة. بدا الطريق أكثر ظلامًا عندما نظرت إليه من خلال الفتحة. وضعت الكرة على الطاولة، ثم توجهت لمحل الجزار بجوار الصالون.

قالت "مو":

– هل سمعت هذا الصوت؟ لقد تكسرت نافذتي.

هز الجزار رأسه وهو مستمر في نقل بعض قطع اللحم من صينية إلى أخرى قائلًا:

– اللعنة، إنه لأمر مزعج. هل أنت بحاجة لرقم محل يصلحه لك؟

ردت "مو":

– نعم، ولكني لا أصدق عينيَّ.

ردد الجزار بنفس اليأس:

– وأنا لا أصدق عينيَّ!

دخلت سيدة محله، فوجه إليها انتباهه تاركًا "مو"، وخاطبها بالعبارة المعتادة:

– كيف أساعدك يا عزيزتي؟

كان بعض المارة في انتظار حافلاتهم في المحطة الواقعة أمام الصالون.

خاطبتهم "مو":

– هل رأيتم ما حدث هنا؟ لقد كسر أحدهم نافذتي.

هز أحد الرجال الكبار كتفيه، أما الطفل الذي كان يرتدي زي المدرسة فلم ينزع عن أذنيه السماعات.

أجابها أحد الرجال:

– نعم، لقد توقفت سيارة هنا وفتح أحدهم نافذتها وألقى شيئًا، ثم انطلق بسرعة. هل حدثت أي إصابات؟

قالت "مو":

– لا، كُسرت النافذة فقط.

رد الرجل:

- يا للحظ العاثر. هذا جنون.

لم تعلق أولى عميلات "مو" هذا اليوم على منظر النافذة، والتي جاءت لإزالة الشعر الزائد من حاجبيها بالشمع وصبغ رموشها على النافذة إطلاقًا.

سألتها "مو":

- أزرق غامق؟

ردت السيدة:

- نعم.

كانت السيدة قد خلعت حذاءها لتستلقي على السرير، تاركة إياه في ركن الغرفة، هذا الحذاء الحزين المريح. وضعت "مو" الصبغة في الزجاجة، ثم دهنت الفازلين على جفون السيدة وأسفل عينيها، وثبتت الأوراق نصف الدائرية تحت رموشها السفلى. النافذة، يا للظلم. ارتجفت جفون السيدة عندما لامستها الصبغة الباردة الرطبة.

خاطبتها "مو" وهي تضغط بقطعتي قطن دائريتين على عينيها:

- لقد انتهيت، سأتركك لمدة عشر دقائق حتى تثبت الصبغة. هل تشعرين بالدفء؟

ردت السيدة:

- نعم، الجو لطيف.

قالت "مو" وهي تغلق الباب على السيدة:

- حسنًا.

أخبر فني الزجاج "مو" أنه لن يستطيع الحضور قبل اليوم التالي، وشعرت بأن هذا هو أقصى ما يمكنها فعله بخصوص الأمر. أيقنت "مو" أن إصلاح هذا الزجاج سيكلفها مبلغًا باهظًا على أي حال، حتى وإن تكفل التأمين بجزء من مصاريف إصلاحه. لم تكن الحادثة مفاجئة لـ"مو"، بل توقعت حادثة أو أخرى. أليس من الأحرى بها أن تشعر بالامتنان لأن الموقف لم يكن أسوأ؟ لقد وقعت الحادثة في غياب زبائنها. أدركت "مو" أن هذا الشخص سيعود ثانية قريبًا.

عادت "مو" إلى الغرفة.

– كل شيء على ما يرام؟

أومأت السيدة قائلة:

– نعم. هل يمكنني قضاء باقي اليوم هنا؟

ضحكت "مو" وهي تزيل الصبغة بدقة، وأعطت السيدة مرآة لترى التحول الأول الذي حدث لها. كانت عيناها من قبل ورديتين فاتحتين كأعين الأرانب، لكن الآن أصبح لونها كلها أزرقَ غامقًا. تصنعت السيدة تعبيرًا بوجهها وهي تنظر لنفسها في المرآة؛ ابتسامة طفولية ساذجة، رغم اقترابها من سن الستين.

– هذا رائع، رائع.

أما عن إزالة شعر الحاجبين الزائد بالشمع فاستغرق ثواني وبضع نُتفات سريعة. قدَّرت "مو" في ذهنها أجرها في ثانية.

دخل الجزار إلى المكان أثناء خروج السيدة.

مد إليها يده بشريط لحام زجاج قائلًا:

– تفضلي.. ربما تحتاجين إليه. كان متبقيًا لدينا.

غطى به الجزء المكسور من الزجاج، تاركًا بضع فقاعات هواء تتكتل على الشريط الملصوق.

خاطبها قائلًا:

– المراهقين! إنهم متعبون، أليس كذلك؟

ردت "مو":

– نعم، إنهم كذلك! شكرًا جزيلًا. عمل جيد.

قال لها:

– يجب أن تصلحي الزجاج. لن يكلفك مبلغًا كبيرًا.

لم تتبادل معه الحديث من قبل إلا لإلقاء السلام، بل لم تتبادل الحديث مع الكثيرين خلال يومها بشكل عام. إن كانت تُقلِّم أظافر إحداهن فيجب أن تتبادل معها أطراف الحديث بلا شك؛ لأنها تجلس مباشرةً أمامها، ومن سوء الأدب ألا تتحدث، ولكن دائمًا ما يرغب الناس في التحدث عن أمور خفيفة الظل، مثلًا عن العطلات، أو حفلات العمل، أو المحلات الجديدة التي افتتحت في المنطقة. أما عند تقديم خدمات أخرى فلا يريد منك الناس إلا أن تخرس وتتركهم وشأنهم بحق الجحيم، وأن تكتفي بمسح أجسادهن بالقطن، أو تدليك بشرتهن بالكريم. بالطبع هناك أسئلة يمكنك توجيهها إن أردت، وهناك أجساد تبدو وكأنها ترجوك لتسأل ماذا حدث لها.. "سيدتي، يا من ترتدين الكشمير الرمادي، ما سبب هذه الندبة

الطويلة التي تمتد بطول فخذك من الداخل؟"، و"ماذا عن ذراعيك، لماذا تملؤها شقوق طولية، إنها تذكرني بعلبة شوكولاتة "آفتر إيت" الإنجليزية المشهورة بالتعاريج"، و"لماذا تفعلين هذا يا سيدتي ذات الابتسامة اللطيفة المائلة؟ لماذا؟". أمَّا تلك السيدة التي تغطي الكدمات عنقها، وتحاول تغطيتها بيد مرتعشة... "يا إلهي، سيدتي، هل يخنقك صديقك؟"، ولكنك لا توجه هذه الأسئلة. لماذا توجهها؟

كانت "مو" قد اتكفت من الكلام ومن الاستماع، فقد عملت في مركز خدمة عملاء في الفترة المسائية أثناء دراستها لتحصل على شهادة التجميل. كان اسم رئيسها "آيمون"، وهو رجل من مقاطعة "دونيجال" يرتدي سترة مخملية. أخبرها أن الراتب قليل جدًّا، وأنه أقل من الحد الأدنى للرواتب، لكنها ستحصل على مكافأة مقابل إبقاء الزبائن على التليفون لمدة ثلاثين ثانية فوق الدقائق العشر، ويمكنها بالإضافة إلى هذا أن تعمل أي عدد ساعات تريد حتى في المساء.

أشار إلى "تيريسا"، التي كانت تشرب الشاي من كوبها الحراري قائلًا:

- تحصل "تيريسا" على مال أكثر مني.

كان لها الاختيار بين خط الجنس وخط العرافة، والاثنان بطعم أيرلندي: رجال يستمنون وهم يتحدثون لفتيات أيرلنديات، أو سيدات يقرر لهن الروحانيون من "الكِلت" مستقبلهن.

قالت الفتاة الأخرى الجديدة:

- لم الإصرار على كل ما هو أيرلندي؟ لن أخبر أحدهم أني أيرلندية، لأنني لست أيرلندية.

رد رجل "دونيجال":

- هذا على التليفون فقط، ستستخدمين اللهجة، والتي يعتبرها معظم الناس أيرلندية، بغض النظر عن الفروق المحلية بين اللهجات.

قالت الفتاة:

- لكني بريطانية، ومن "الموالين" loyalist community.

بدت على "آيمون" علامات التفكير، ثم قال:

- لا، لن يروق هذا إلا للقليلين.. "قارئة طالع من الموالين.. فتاة من الموالين تريد التحدث إليك الآن". لا يا جميلة، أنت أيرلندية حتى أخمص قدميك، وإن كان لديك اعتراض..

قالها مشيرًا للباب، ولكنها استمرت في العمل، وكذلك استمرت "مو".

تساءلت "مو":

- كيف أتحدث للرجال المتصلين؟ هل أقول لهم مثلًا "استمر، استمر، هل انتهيت؟".

رد قائلًا:

- أثق أنك تستطيعين الأداء بشكل أفضل يا "مو" إن كنت حقًّا تريدين المال.

وهكذا عملت "مو" في خط العِرافة، أخبرها "آيمون" أن العمل لا يتطلب أي معرفة مُسبقة بالروحانيات، بل يجب فقط أن تقول كلامًا منطقيًّا، وأن تطيل فترة المكالمة، وإن كان المتصل في حالة يُرثى لها، فلتعطيه رقم مؤسسة "السامريون"، وهي مؤسسة في أيرلندا لديها خط

مجاني يعمل على مدار الساعة لمن يعانون من الأفكار الانتحارية والاكتئاب، ولكن بعد أن تبقيه على الخط لفترة ما.

أحيانًا تشعر بآمال الناس، حتى وإن كنت فقط تؤدي عملك. ترى الناس ينظرون إلى وجوههم في المرآة، ولا يرون إلا وجوهًا تملأها التجاعيد، يأملون في أن يُشعرهم تقشير بشرتهم بأنهم في سن الثلاثين ثانيةً، وهو ما يُعيد لهم تلك الذكرى اللطيفة عندما حكوا قصة مضحكة في حفلة منذ زمن وضحك الجميع. لهذا يجب أن تعمل بدقة وبسرعة، لأن الناس يشعرون بالقلق إن بدوت مترددًا أو غير واثقٍ من نفسك.

عبثت "مو" ببكرة "السنوكر" بين يديها، وهي تفكر في موقفها التعس. تخيلت نفسها جالسة في قسم الشرطة، تخيلت تلك الوجوه القلقة التي تنظر إليها وهي تقص ما حدث، وسؤالهم لها إن كانت تريد كوبًا من الشاي، وتظاهرهم بالمفاجأة، ووعودهم أنهم سيتولون الأمر، ثم لا يحدث شيء، بل وربما يحدث الأسوأ من اللا شيء. لقد نصحها الجزار بأن تدفع ثمن إصلاح الزجاج، فلن يكلفها كثيرًا، نعم، لن يكلفك كثيرًا. يمكنك تعويض المبلغ إن فتحت الصالون للزبائن في ساعات متأخرة من الليل. لكن.. ستكون تلك البداية! تستطيعين أن تتخيلي أحداث القصة الحزينة المعتادة.. "ها هي ابنة صديقتي، إنها بحاجة إلى وظيفة.. فتاة لطيفة وجادَّة جدًّا في العمل". حصلتِ على عديد من الشهادات في مجال التجميل، ولستِ بحاجة إلى مساعدة، ولكن يجب أن تقبليها، ثم تبدأ العمل، وتكتشفي أنها كسولة وتضطري لتحمل تقاعسها ووجود أصدقائها باستمرار في الصالون لأنها

تقدم لهم الخدمات بسعر مخفض. يقولون إن الزبائن الآخرين سيدفعون أسعار الخدمات كاملة، وربما يأتي زبائن آخرون.

ربما لا يختلف الأمر كثيرًا عن دفع مبالغ التأمين، على الأقل هذا ما ألمح له الشاب عندما جاء للصالون وقدم نفسه باسم "كايل" وصافحها.. من هيئته، شعرت أنه ليس أحد هؤلاء الشباب الذين يأتون للصالون للحصول على قسيمة شراء لصديقاتهم، وهو السبب الوحيد الذي يأتي الرجال من أجله إلى الصالون، لأن "مو" لا تقدم خدماتها للرجال مُطلقًا. لن تزيل "مو" الشعر من ظهور الرجال وخِصياتهم وفتحات شرجهم وهي تعمل وحدها مهما كان الثمن. بدا هذا الشاب متغطرسًا وكأنه يملك الصالون.

لم يكن هناك مجال لخيارات متعددة في هذا الموقف، فقد كان من الصعب اتخاذ القرار. كانت هذه مشكلة مركز خدمة العملاء الذي عملت فيه "مو"، لأن المتصلين الأغبياء كانوا يطلبون مشورة الأرواح أو النصوص القديمة أو النجوم على الرغم أن الخيار الصحيح واضحًا أمامهم؛ "فلتطرديه!"، "اتركي هذه الشقة!"، "اذهبي للجيم!"، "زوري الطبيب!"، "أخبريها الحقيقة!"، "قدِّمي استقالتك من وظيفتك وابحثي عن أخرى!".. ألا تفهمن؟

اتصلت بها إحداهن تسألها عما تفعل حيال صديقها الجديد، فارس أحلامها، الذي لا يجيد التفاهم مع ابنها ذي الأعوام العشرة حتى إنه ضربه ذات مرة ضربًا مبرحًا، ولكن في الواقع.. كان ابنها وقحًا حقًّا تلك المرة، حتى إن صديقها أخبرها أنه سيتسبب في حدوث مشاكل كثيرة بينهما قريبًا. كانت تشعر بالقلق حيال الموقف وتساءلت إن كان وضع

ابنها في دار أيتام لفترة مؤقتة قرارًا صائبًا. فترة مؤقتة فقط، فهي لا تطيق أن تعود لوحدتها ثانيةً إن تركها صديقها.

ردت "مو":

- تعرفين القرار الصائب في هذا الموقف يا عزيزتي، أليس كذلك؟

تساءلت السيدة:

- ماذا تعنين؟

ردت "مو":

- أعني أنك تعرفين القرار الصائب في هذ الموقف، إلا إن كنتِ غبية إلى هذا الحد!

لم تجبها، فاستمرت "مو":

- لا يستحق أمثالك الأطفال، أتسمعينني؟ هذا ما تقوله النجوم وكل الأرواح في عالم الأرواح. أسمعهم بوضوح تام، وجميعهم يقولون إنك غبية حقيرة.

لم تكن "مو" بحاجة للعمل على أي حال في تلك المرحلة، فقد حصلت على شهادات تؤهلها للعمل في مجال التجميل وادخرت ما يكفي من المال وصارت جاهزة لفتح الصالون من الألف للياء.

وصلت زبونة "مو" التالية، والتي طلبت تسمير جسدها بالكامل بالرش. أدخلتها "مو" الحجرة الصغيرة، وأعطتها البنطال الورقي الخاص بها. لون البشرة البيضاء جميل، ولكن إن كان بياضًا دافئًا وغنيًا كبياض "مارلين مونرو". . لا أحد يتمتع ببياض "مارلين"، بل كانت بشرة عميلات "مو" دائمًا مليئة بالعيوب، والتي ساعد التسمير في إخفائها، ولكن جميعهن يطلبن درجات اللون البني الداكن، متجاهلين

الدرجات المختلفة التي تقترحها "مو" عليهن. كانت "مو" تستمتع بالتسمير، فهو يتطلب مهارة خاصة، لا مجرد توجيه زجاجة الرش إلى البشرة والضغط عليها.

تساءلت السيدة وهي ترتجف قليلًا عندما لمس سائل التسمير ثديها:

- ماذا حدث لنافذتك؟

هزت "مو" كتفيها، وانتقلت لرش كتفي السيدة قائلة:

- لا أعرف حقًّا، ربما كانت فعلة بعض الصغار وهم يلعبون. ستُصلَح غدًا.. أتمنى هذا.

ردت السيدة:

- هذا مُريع. لقد تم السطو على محل آخر الأسبوع الماضي أيضًا.

فتح الرجل المدعو "كايل" الباب للسيدة في طريقها للخروج. صُدمت "مو" لرؤياه واقفًا هناك، مرتديًا سُترة جلدية، وحاملًا حقيبة تشبه تلك التي تظهر في برامج المسابقات، حيث يتم الاحتفاظ بالجائزة. وضع الرجل الحقيبة على المنضدة وجلس أمام الطاولة.

تساءل "كايل" مشيرًا إلى النافذة:

- هل من مشكلة؟

ردت "مو" وهي تتظاهر بترتيب بعض المرطبات على أحد الأرفف:

- سيتم إصلاحها غدًا.

زفر "كايل" ببطء، وهز رأسه قائلًا:

- هذا مؤسف، لم يعد هذا الطريق كما كان.

ردت "مو":

- نعم.

أردف قائلًا:

- الأسبوع الماضي.. كنت فقط أحاول المساعدة.. حقًّا أنت في موقف لا تحسدين عليه.

من وراء الزجاج المكسور والشريط الملصوق عليه استطاعت "مو" أن تميز رجلًا واقفًا خارج الصالون مستندًا لسيارة. لم تنطق حرفًا، لكن ثبتت ذراعيها بجانبها، لأنهما كانتا ترتجفان.

تساءل الرجل:

- هل تسكنين قريبًا من هنا؟

ردت "مو":

- لا.

قال "كايل":

- كلَّا، أنت تسكنين قريبًا من هنا، لون باب منزلك أبيض، المنزل رقم 32. هل تصدقين بغبائك أن كذبك سينطلي عليّ؟

استحضرت "مو" صورة باب منزلها الأبيض.

بسط جسده على أحد المقاعد قائلًا:

- فلتسمعيني. إنها مسألة مجتمع، فالمجتمعات لا تسيِّر أمورها بنفسها. إن المشروعات التجارية كمشروعك هذا معرضة للخطر، أتفهمينني؟ هناك الكثير من الأشرار هنا، وكل ما نريده حقًّا هو أن نقدم لك المساعدة كأحد أفراد المجتمع..

قالت "مو":

- لا أفهم ما المقصود بـ"المجتمع"؟
رد "كايل":
- حقًّا؟
أردفت "مو":
- أفهم تمامًا ما المجتمع.

كانت هناك 20 زجاجة من طلاء أظافر "أوبي" تشكل ألوان الطيف على رف بجوار النافذة. دفع الرجل الزجاجات بظهر إصبعه الصغير من اليسار إلى اليمين ببطء، وشاهدت "مو" الزجاجات تتساقط واحدة تلو الأخرى على الأرضية.. كل الزجاجات، واحدة تلو الأخرى.

انكسرت منها زجاجتان فقط، ذات اللون الأحمر المرجاني والأحمر القاني.

قال الرجل:
- عليك أن تحذري.

ابتلعت "مو" لعابها. فكرت أن هذا الجاكيت الجلدي ينظف بالمسح فقط.

قال "كايل":
- ستضعينها في ظرف كل جمعة.

استدار في طريقه إلى الخارج قائلًا:
- وستدينين لي أكثر في عيديّ الميلاد والقيامة وأثناء الإجازة الصيفية. تدينين لي بالنقود، أتفهمين؟ لا تطري على نفسكِ بحق الجحيم.

صرخت "مو" بعد تأكدها أنه لا يستطيع سماعها:
- أيها الضخم! لقد نسيت كرتك!

ستضطر لفتح الصالون حتى ساعة متأخرة إذًا، لا مفر. رسمت "مو" في دفتر المواعيد جدولًا بطول صفحة يوم الثلاثاء.

"كايل"

تقع المقابر على جانب التل، وعلى الرغم من اتساع مساحتها فنادرًا ما يزورها أحد خلال أيام الأسبوع، وكان الجو دائم البرودة هناك لارتفاعها عن المدينة. القبور الأقدم كانت لها حواف جرانيتية، وزُينت بقطع الرخام الصغيرة، والتي نُظف بعضها بقطرات الكلور، ولهذا احتفظت بلونها، لكن غطى اللون الأخضر والعفن معظمها. وقف "كايل" في الجزء الأسفل من المقابر، القسم الجديد منها، حيث كانت القبور أقل فخامة؛ مجرد شواهد قبور بجوار بعضها. كان "كايل" قلقًا وهو يسير في اتجاه القبور. لقد شوهها أحدهم ببخاخ طلاء أحمر العام الماضي. لم يكن لأحد أن يفهم تلك الكتابة، إن كانت ذات معنى في الأساس، وفي مرة أخرى، هشَّم أحدهم الشواهد بمطرقة، كاسرًا جزءًا كبيرًا منها. حثالة.. ببساطة هم حثالة. أما أسوأ ما حدث في تلك المقابر كان عندما قام شخص بالتبرز بجوار الشاهد، ثم لطخ اسم "ديفيد إيان ستارز" بالبراز. عندما رآه "كايل" شعر بالاشمئزاز الشديد. لم يكن يرتدي إلا "تي شيرت"، فخلعه ووضعه تحت صنبور المياه الموجود في آخر المقابر، ثم انقض على الشاهد ينظفه بغضب، وهو يستحضر صوت انكسار العظام وصورة الشفاه المتورمة.

صار الـ"تي شيرت" قذرًا، ولم يجد سلة مهملات، فطواه وألقاه بعيدًا فوقع على إحدى أواني حفظ رماد الموتى.

خاطب رجل سمين وهو يلتقط باقة ورد من المقعد الخلفي لسيارته، "كايل" حينها، قائلًا:

- يبدو أنك تشعر بالحر.

- ماذا تقول؟

قالها وتوجه صوب الرجل مرددًا:

- ماذا قلت الآن؟

أشار الرجل بكفيه وهز رأسه قائلًا:

- لا شيء يا صديقي، لا أعني الإساءة. لكن.. أعني.. يبدو أنك تشعر بالحر.

قالها مشيرًا لصدر "كايل" العاري.

حشر "كايل" بعض زهور الأقحوان في فم الرجل. كان الرجل يختنق، وتفتتت الزهور، ولكنه استمر بدفعها في فمه.

خاطبه "كايل" بفضول حقيقي:

- من تظن نفسك بحق الجحيم؟ من أنت؟

لم يخبر "جريس" بما حدث مع الرجل والزهور، بل أخبرها فقط بما رآه في المقابر هذه المرة.

سألته:

- من فعل هذا؟

رد "كايل":

- لا أدري.

لكنه كان يعلم أن الكثير من الأفراد أو المجموعات قد يكونون وراء هذه الفعلة، فقد تمت إذاعة جنازة "ديفي" على التليفزيون، تحديدًا في نشرة أخبار السادسة مساءً، لكن استُبدل بالخبر آخر في النشرات التالية. بعدها، ذهبوا للحانة مع أطفال "ديفي" الثلاثة الصغار الذين أمضوا وقتهم في التجول بالمكان مع شريكتي "ديفي" السابقتين اللتين تشبهان بعضهما تمامًا. لكن اليوم كان القبر سليمًا لم يمسه أحد. تحسس "كايل" الحروف الذهبية بأصابعه.

قالت "جريس" إنهم سيذهبون لتناول العشاء تلك الليلة، لكنه لم يكن متحمسًا للخروج. ردت "جريس":

– إننا ذاهبون، لا نقاش.

تساءل "كايل":

– لِمَ؟

– دون سبب. للمطعم سياسة "أحضر مشروباتك الكحولية بنفسك"، فلتفعل هذا إن أردت. لقد فتح هذا المطعم أبوابه من فترة قصيرة، وقابلت زوجة مالكه.

– هل علينا الذهاب؟

– نعم.

– حسنًا، ولكن يجب أن أقوم ببعض الأعمال، فأخبريني بعنوان المكان، وسأقابلك هناك.

كانت "أعمال كايل" متنوعة. سمع أحدهم يردد هذا التعبير ذات مرة فأعجبه وشرع في استعارته. تحسنت أحواله المالية على نحو غير متوقع، تدفقت الأموال بصورة جيدة أغلب الوقت، ولكن مهمة إدارتها لم تكن دومًا

هينة. حققت شركة سيارات الأجرة أرباحًا طيبة وهي تعمل في توصيل مختلف البضائع في ساعات متأخرة من الليل، بجانب الورشة التي يدفع الميكانيكيون العاملون فيها له مبلغًا كبيرًا. كانت معظم المتاجر لا تزال تدفع ما عليها، بالإضافة إلى التجار الصغار، ولكنه لم يشعر بالأمان. لماذا؟ ربما لم تختلف الأمور كثيرًا عن الماضي، وربما رجع انعدام شعوره بالأمان إلى أسباب داخلية خاصة به. كانت وفاة "ديفي" فاجعة. قال الطبيب الشرعي إن الإفراط في تعاطي المنشطات سبب له أزمة قلبية أفضت لوفاته، ولكن لم يصدقه "كايل" أبدًا. لم لا يعاني الجميع من السكتات القلبية إذًا إن كان رأي الطبيب صائبًا؟ شعر "كايل" أن كل من حوله أعداء، ولم يعد يثق في أي شخص إلا "جريس". وثق في "جريس" رغم أنها غالبًا ما تعارض آراءه.

ذات مرة حدث شجار، واحتُجِزت في قسم الشرطة، وتم استجوابها لمدة يوم ونصف اليوم كاملين، لكن لم تنطق بحرف. في الواقع أخبره شخصًا أنها لا تناسبه. خاطبه قائلًا:

– المجريون صاروا ينافسوننا على الساحة الآن، فقد حطموا إحدى الحانات وبدأوا في اختراق شبكاتنا، في حين أن امرأتك اللعينة الوقحة تحدثنا عن المجتمع المحلي؟ أنا أعرف معنى المجتمع، ولهذا كان يجب أن أفجر المكان.. ربما أفعلها حقًّا. إن الشباب الذين يعملون معنا الآن لم يعودوا كما كانوا، بل تأتي لنا حفنة من الأغبياء، أما الآخرون الذين عملوا معنا من قبل فقد التحقوا بالجامعة وتركوا العمل.

قد يكون أصل المشكلة بداخل "كايل" نفسه، ولهذا سيجرب هذا المكان رغم عدم اقتناعه. جاء إعلانه إلى عتبة منزله، ولكن كان عنوانه بعيدًا بقدر

كافٍ يمنع الكثيرين من التعرف عليه. مر عليه منذ بضعة أيام ليلقي نظرة على مركز العلاج بالتنويم المغناطيسي الذي يسمى "كلاس إيه هيبنوثيرابي"، ولم يرَ إلا سُلمًا يؤدي إليه وبعض الستائر الخفيفة. بدا المكان بائسًا، ولكن ربما يقدم علاجًا ناجحًا، لأنه جرَّب العديد من الحلول من قبل ولم تُحدِث أي فارق.

كانت غرفة الانتظار صغيرة مربعة الشكل ومطلية بالأبيض، وعُلقت على جدرانها شهادات العملاء الذين عولجوا بنجاح في "كلاس إيه هيبنوثيرابي". قالت شهادة أحد الحمقى الذي يظن نفسه مشهورًا - رغم أن "كايل" لم يسمع اسمه في حياته - أن "كلاس إيه" عالجه من رهاب مواجهة الناس، وأنه لأول، مرة منذ سنوات، أصبح مستعدًا للعمل لمدة صيف كامل في مدينة "بلاكبول" المكتظة بالسياح والأنشطة. بدا له وكأنه أبله، اللعنة على هذا الأبله وعلى وقاحته. قالت شهادة أخرى لطالبة إن كل مشاكلها قد حُلَّت والفضل يعود إلى إلخ، إلخ. نشرت فواحة رائحة تشبه رائحة نبات ما، أما الموسيقى فكانت مثل تلك التي تسمعها في المطاعم الصينية. التقط "كايل" إحدى الشموع من الفواحة وحرق بنارها حافة أحد الكتيبات الترويجية الموجودة على الطاولة. كلما التهمت النار جزءًا من حافة الكتيب كان يطفئها، واستمر هكذا حتى أحرق الكتيب كله، ثم أطفأ الشمعة.

بلغت مسامعه أصوات خروج أحدهم من الغرفة ونزوله السُلَّم، ثم ظهر رجل أمامه في حجرة الانتظار قائلًا إن اسمه "جيف". مد "جيف" يده للسلام قائلًا:

- سعيد جدًّا بلقائك.

وقف "كايل".

استطرد "جيف" وهو يخرج مفكرة من جيبه قائلًا:

- وأنت..

رد "كايل":

- "مارتي".

قال "جيف":

- حسنًا، تفضل يا "مارتي".

تصاعد صوت الموسيقى من الحجرة أيضًا. طُلب من "كايل" أن يجلس على أريكة لونها بيج.

قال "جيف":

- يجب أن نملأ هذه الاستمارة، ما اسم عائلتك يا "مارتي"؟

فكر "كايل" للحظة، ولكن لم يتذكر اسمًا سوى "بيلو"، فقال:

- "بيلو".

رد "جيف" وهو يملأ الاستمارة:

- حسنًا، "مارتي بيلو". ماذا عن عنوانك؟

قال "كايل":

- لا، لا يهمك عنواني. ألا تنوي أن تبدأ عملك؟

ارتسمت على وجه "جيف" ابتسامة تشي بالإحراج، وقال:

- أحتاج إلى أن أعرف اسم شركة التأمين الصحي الخاصة بك يا "مارتي"، ما هو؟

رد عليه "كايل":

- "آرتشيز".

قال "جيف":

– حسنًا، "مركز آرتشيز الطبي". هكذا انتهينا من الإجراءات الإدارية. أخبرني عن سبب زيارتك لنا اليوم.

هز "كايل" كتفيه قائلًا:

– السبب المعتاد، ولا شيء غيره.

أطال "جيف" النظر إليه، مبقيًا قلمه في وضع الاستعداد، قائلًا:

– ماذا تعني يا "مارتي"؟ بم تشعر؟

– أنا بخير.

– تشعر أنك بخير. أي رقم بين 1 و10 ترى أنه يصف شعورك بأنك بخير؟

– رباه! 7 أو ربما 8.

رد "جيف":

– هذا يعني أنك بخير إلى حد ما.

– وما معنى هذا؟

– إن كنت تقيم مشاعرك بالرقم سبعة أو ثمانية في معظم الأيام، إذًا لم أتيت لزيارتنا؟

سأله "كايل":

– تعمل وحدك هنا، أليس كذلك؟ لم تشِر إلى نفسك بالجمع إذًا؟ لم تصر على هذا رغم أنك وحدك؟

استطرد "جيف":

– يزورنا الناس لأسباب متعددة. بعضهم يريدون التوقف عن التدخين مثلًا، أما آخرون فيعانون من مخاوف محددة، أو يشعرون بالقلق عندما يفكرون في حدث ما.

أظهر التعبير الممتعض الذي ارتسم على وجه "كايل" رأيه في مثل هؤلاء الناس.

استطرد "جيف":

– وهناك من يطلبون منا المساعدة لأنهم يعانون من شدة القلق، والتي تظهر أعراضه أحيانًا في صورة نوبات هلع أو أرق أو اضطرابات الوساوس القهرية.

قاطعه "كايل":

– حسنًا، توقف عن الحديث عن هؤلاء الناس، فأنا لا يهمني أمرهم. هل يمكننا أن نبدأ هذا العلاج الذي تقوم به، أيما تسميه؟ الآن؟ من فضلك؟

قال "جيف" مشيرًا لمقعد قابع في أحد أركان الغرفة:

– هل تريد أن تبدأ حقًّا يا "مارتي"؟ لن تحصل على فائدة تُذكر إذا كنت تشعر أن هذا العلاج ليس مناسبًا لك، بل يجب أن تأتي الرغبة من داخلك.

الحقيقة، لم يظن "كايل" أنه سيقابل مثلًا رجلًا يحرك أمامه بندول ويطلب منه النظر في عينيه، ولكنه طلب منه أن يجلس على مقعد مثل "الليزي بوي"، ظل ينحني به إلى الخلف حتى وجد نفسه يحدق في السقف، تحديدًا في نقطة سوداء عليه. خرج الرجل من الغرفة ثم عاد حاملًا غطاء ووسادة تمت تدفئتهم.

رمى "كايل" الوسادة على الأرض وركل الغطاء بعيدًا عنه قائلًا:

– لا أظن أننا سنحتاج إلى كل هذه الأشياء السخيفة يا رجل. هل يمكن أن تبدأ الآن؟

بدأ "جيف" في إلقاء الخطاب المعتاد. يمكنك أن تشعر أنه يقرؤه من ورقة لأنه كان يتحدث ببطء. يتحدث عن شاطئ وعن شروق الشمس.. حسنًا. يستطيع "كايل" أن يتخيل شاطئًا وبعض الحسناوات المثيرات مرتديات "البكيني"... نعم، سيتخيلهن وهن تمارسن الجنس. حقًّا إنها لفكرة لطيفة، لولا ارتفاع صوت "جيف" بشدة قائلًا: "ركز"، مما أعاد "كايل" للغرفة مستمعًا لصوته متحدثًا عن أجزاء مختلفة من الجسد. كانت الموسيقى الصينية لا تزال مستمرة، طبق "ريش اللحم" (الضلوع) مع صلصة الفاصوليا السوداء، حسناء رشيقة تجلب لك طعامًا ساخنًا، وأنت تحرك تلك الطاولة الدوارة المليئة بالطعام. مطعم "ماندارين سيتي". هذا الأصلع أكل كعكة الحظ كلها في النهاية، حتى الورقة التي بداخلها. قال: "كيف لي بحق الجحيم أن أعرف؟ أعطني كعكتك وسآكلها أيضًا". حدث هذا منذ زمن، يا له من موقف مضحك.. ذهب هذا الفتى ولم يعد منذ زمن.

كان "جيف" يتحدث عن الرضا، عن الشعور بالسيطرة، أما "كايل" فعاد بذاكرته إلى الوراء عندما كان واقفًا في حجرة المعيشة الرئيسية، وجسد والدهما على الأرض، نصفه على السجاد والآخر على البلاط وينزف من فمه. منذ عدة أسابيع، خاطبه "ديفي" قائلًا:

– أنا في الرابعة عشرة من عمري وأنت في الثالثة عشرة، أليس كذلك؟ إذا جمعنا عمرينا سنكون بسن السابعة والعشرين.

يبدو أنهما صدقا الكذبة، فعندما ضرب الأب "ديفي" بكل قوته على وجهه في إحدى المرات، باغتاه معًا بالهجوم بكل قوتهما أيضًا، وها هو ذا

مستلقٍ على الأرض. بالطبع، كانا في خطر لأنهما لن يستطيعا التغلب عليه إن هاجم كلًا منهما على حدة، ولكن لن يستمر هذا الوضع كثيرًا، فقد كانا يزدادان قوة، أما هو فغرق في إدمان الكحوليات حتى الثمالة. كم كان منظره وهو مستلقٍ على الأرض مثيرًا للشفقة. أسعدتهما رؤيته وهو ينزف أرضًا، وكم كان مثيرًا للشفقة وهو يرجو مساعدتهما غارقًا في دمه، مناديًا "ديفي!" أولًا، ثم "كايل!".

حتى أمهما كانت سعيدة، رغم قولها: "يا إلهي، ماذا حدث للعالم؟" وأقوالًا كثيرة من هذا القبيل، ولكنهما كانا واثقين أنها سعيدة. فقط غطت رأسه المُدمَّى بمنشفة المطبخ. اعتبر "كايل" هذا اليوم يومًا جميلًا، وهو ما فكر فيه.

قال "جيف":

- حاول أن تلتقط صورة لهذا الشعور بالرضا، حاول أن تركز على إحدى تفاصيل المشهد إن أمكن. هل ركزت على تفصيل ما يا "مارتي"؟

- نعم، كان لون الدم على الأرض داكنًا أكثر مما تتخيل.

- هل تستطيع أن تركز هكذا يا "مارتي"؟ هذا رائع، رائع، الآن ستعتبر هذا التفصيل رمزًا للسعادة في عقلك تستطيع الرجوع إليه. هل ركزت على هذا التفصيل بهذا الشكل يا "مارتي"؟

رد "كايل":

- نعم.

- وبم تشعر الآن؟

- بخير.

- تشعر أنك بخير؟

- نعم.

استطرد "جيف":

- ضع تلك الصورة نصب عينيك، وتذكر أنك ما زلت قادرًا على الشعور بالرضا نفسه في أي وقت شئت يا "مارتي".

قال "كايل" في قرارة نفسه إن هذا ليس صحيحًا، لأن "ديفي" لم يعد حيًّا، وهكذا تغير كل شيء. ماذا كان يفعل بنفسه بحق الجحيم، ما جدوى جلوسه على مقعد متدثرًا بغطاء في مكان يقع أعلى المغسلة مستمعًا لهذا الهراء؟ كيف أدى به حظه العاثر إلى هذا الموقف؟

قال "كايل" وهو يحاول القيام من المقعد:

- حسنًا، لقد انتهينا، هذا يكفي، هل يمكنك أن تحرك هذا الشيء اللعين؟

رد "جيف" بهدوء:

- أحيانًا تكون الجلسة الأولى مخيبة للآمال، ولكن المرة القادمة...

قال "كايل":

- لن تكون هناك مرة قادمة، كانت تلك المرة الأولى والأخيرة.

التقط "جيف" فاتورة ومفكرة من على المكتب، وملأها بهدوء ثم أعطاها لـ"كايل".

قال "كايل":

- لا بد أنك تمزح. تطلب مني ثمانين جنيهًا لجلوسي على مقعد والاستماع إليك تقرأ عليّ نصًّا مُعدًّا مُسبقًا؟ لا أظن هذا.

ثم مد يده في جيب معطفه وأخرج منه خمسة جنيهات وأعطاها له قائلًا:

- تفضل، هذه تكفيك. دعني أخبرك أنك تكسب النقود بسهولة يا صاح، والفضل يعود لهذا الدجل اللعين.

شاهده "جيف" من النافذة، وهو يفتح باب سيارته ويدخل ويغلق الباب خلفه بعنف. قال "كايل" لنفسه بصوت عالٍ:

- "كايل ستارز".

كان مطعم برجر سابقًا، لكنه غير نشاطه، فزين السيراميك الأبيض جدرانه بجانب صور التقطها فنانون محليون، وعلت كل طاولة شموع الشاي الصغيرة وباقة ورد في مزهرية. كانت "جريس" قد وصلت بالفعل وجلست إلى الطاولة، حين دخل "كايل" حاملًا زجاجات الخمر.

اقترب منه النادل قائلًا:

- هل يمكنني أن أحمل عنك هذا؟

ناوله "كايل" زجاجة شامبانيا "مويت" وزجاجة ويسكي "كورفوازي". وقال:

- ضع إحداها في إناء ثلج.

ثم سأل "جريس":

- ما أخبارك؟

- لا شيء جديد.

- يتبع المطعم سياسة "أحضر مشروباتك الكحولية بنفسك"، أليس كذلك؟

- نعم.

- حسنًا، ما المشكلة؟
تنهدت "جريس" قائلة:
- لا يهم.
- يطلبون منك إحضار المشروب الخاص بك، وقد أحضرته. يا إلهي!
أحضر لهم الشاب قائمة الطعام.
قالت "جريس":
- أنا جائعة جدًا، لم آكل طوال اليوم.
رد "كايل":
- حسنًا، اطلبي ما تريدين. لماذا تأخر تقديم الخمر؟
وأشار مناديًا النادل:
- يا هذا ! أين الخمر؟
استجاب الشاب، وقال معتذرًا:
- كل ما في الأمر أننا ليس لدينا إناء ثلج حتى الآن. أقصد أننا فتحنا أبواب المطعم منذ مدة قصيرة، ولهذا لم تنضبط كل أمورنا بعد.
ابتسمت له "جريس" قائلة:
- لا بأس.
عندما ابتعد النادل، قال "كايل":
- مطعم دون المستوى.. لا يعجبني.
ردت "جريس":
- توقف عن هذا يا "كايل"، من فضلك لا تُعطي الموضوع اهتمامًا أكثر مما يستحق.

عاد النادل حاملًا الـ"شامبانيا" والكؤوس ومزهرية استخدمها إناء ثلج مؤقتًا. ملأ النادل كأس "كايل"، ولكن عندما بدأ يملأ كأسها قالت مشيرة لزجاجة ماء الـ"تونيك" – المشروب الغازي – الخاصة بها:

– شكرًا، لا أريد شرب الخمر. هذه تكفيني.

رد النادل:

– حسنًا، كما تريدين.

ملأ "كايل" كأس "جريس" بالـ"شامبانيا" عندما ذهب النادل للطاولة المجاورة، قائلًا:

– في صحتك.

ردت "جريس":

– قلت لك إنني لا أريد شرب الخمر يا "كايل".

قال "كايل":

– يا إلهي.. لن تقتلك كأسًا واحدة.

ردت "جريس":

– لا أريدها.

يقلل شرب الخمر بمفردك من المتعة. أما صوتها هذا فكان دائمًا يقتله.. دائمًا هادئ. قال لها سابقًا إنها تذكره بالممثل "كلينت إيستوود". ردت عليه حينها قائلة:

– هذه مجاملة لطيفة.

ورد عليها:

– نعم، أعلم هذا.

ولكن تستطيع "جريس" أن تشعرك أن كل ما تفعله من أجلها لا يعني شيئًا. لا تنبهر بسهولة، ففندق خمس نجوم بالنسبة لها لا يختلف كثيرًا عن فندق نجمتين. لا تحب المجوهرات، ولا الأماكن الفاخرة.. يظهر عدم انجذابها للأماكن الفاخرة في اختيارها هذا المطعم مثلًا. كان يمكن أن يذهبا لمطعم آخر، حيث يتعاملون معك بشكل أفضل ويعمل الكثيرون على خدمتك بشكل ممتاز. كان "كايل" واثقًا أنها على دراية بعلاقاته الكثيرة بنساء أخريات على مر السنوات، ولكنها لم تتشاجر معه لهذا السبب أبدًا. كان يرى أن لديها كل الحق في أن تشعر بالضيق، بل أن تستشيط غضبًا، وأن تلكمه أو تصفعه. حتى عندما جاءت تلك العشيقة التي كان يقابلها بين الحين والآخر إلى المنزل كي تتشاجر معه منذ بضعة أشهر، اكتفت "جريس" بأن تقول له:

- صديقتك تريد مقابلتك.

وغادرت المنزل. ندمت العشيقة أشد الندم لضياع فرصتها في فضحك، ولكن لم تذكر "جريس" هذه الحادثة أبدًا ثانية، إلا بقولها:

- أرجو أن تحاول تجنب مثل هذه المواقف يا "كايل"، لأنني لا أريد التعرض لها ثانية.

عاد الشاب ليسألهم ما إذا كانا قد اختارا ما سيطلبانه. طلبت "جريس" لحم الخنزير المطهو ببطء، أما "كايل" لم يُعر قائمة الطعام اهتمامًا، وطلب شريحة لحم.

خاطب "كايل" النادل قائلًا:

- جيدة الطهو.. أحبها كاملة الطهو تمامًا.

ذهب النادل، ثم عاد قائلًا:

- يقول الشيف إن شرائح اللحم المتوفرة رفيعة.

رد "كايل":

- وما المشكلة؟

أضاف النادل بحذر:

- من المفترض أن تنضج شرائح اللحم الرفيعة بسرعة، هذا ما يقوله الشيف.

رد "كايل":

- كلَّا، أريدها كاملة الطهو وانتهينا.

مالت إليه "جريس" قائلة:

- يقصد الشيف أن شريحة اللحم ستكون عسيرة المضغ غالبًا إن طلبتها كاملة الطهو، لأن شرائح اللحم الرفيعة تجف بسرعة.

رد "كايل":

- هل انتهينا من درس الطهو توًّا؟ هل انتهينا؟ شرائح رفيعة.. يا للسخافة!

اقتربت سيدة من الطاولة قائلة:

- نأسف على مشكلة شرائح اللحم، ربما تجد ما يعجبك في قائمة الطعام.

رد "كايل":

- لا يا حُلوة، لقد طلبت ما أريد. شكرًا جزيلًا.

سألته "جريس":

- هل كنت مشغولًا اليوم؟

هز "كايل" كتفيه قائلًا:

- كالمعتاد، لا شيء جديد. ذهبت للمقابر.

قالت "جريس":

– كم كانت صغيرة تلك المقابر! أما الآن فتشغل معظم مساحة التل. الجميع مدفونون هناك في تلك المقابر.

رد "كايل":

– نعم، الجميع.. ستُقبض أرواحهم. هل تضاف صلصة إلى شريحة اللحم؟ لا أذكر. لا أريد الصلصة فوق اللحم.. أتضايق جدًّا عندما يغرقون اللحم بالصلصة.

جاء الشاب ليصب "الشامبانيا" في كأس "كايل"، وسأله:

– هل تحتفل بمناسبة ما؟

رد "كايل" باقتضاب:

– لا.

عندما تركهما النادل، قال "كايل" لـ"جريس":

– كم يضايقني هذا الرجل.

ردت "جريس":

– إنه يؤدي عمله يا "كايل"، ليس إلا.

عندما قُدِّمت شريحة اللحم كانت بحالة بائسة من الانكماش.

علَّقت "جريس":

– حسنًا، لقد حصلت على ما طلبت، ولا يحق لك الشكوى، فلا تشكو.

حاول "كايل" تقطيعها، ولكن دون جدوى.

قال "كايل":

– اللعنة على هذا اللحم، كأنه مصنوع من جلود الأحذية! سيرتد للحائط إن حاولت قذفة.

ردت "جريس":

- جرب هذا، إنه لذيذ، يمكننا أن نقتسمه، ونطلب طبقًا آخر.

قال "كايل" في قرارة نفسه أنه جاء هنا ليأكل نصف وجبة.. لا يمكنه حتى أن يأكل وجبة طيبة. هذا الغبي.. ماذا قال عن التفكير.. فيم قال لي أن أفكر؟ نعم، تذكر "كايل" تلك الصورة، عندما كان أبوه مستلقيًا على الأرض، ونصف جسده على البلاط والنصف الآخر على السجاد. أراد "ديفي" أن يلف هذا السلك الكهربائي الذي كان يستخدمه لضربهما حول رقبته، ولكن "كايل" طلب منه أن يتركه، فهذا يكفي، على الأقل الآن. كم كان الضرب بهذا السلك مؤلمًا.

جريس

كان وقوفهم للوعظ في شارع "كورنماركت" ظُهر أيام السبت حاملين سماعتين وميكروفونًا وصندوقًا من الورق المقوى معبأ بالمواعظ الدينية أسوء ما في الأمر. إذا سقطت الأمطار كانوا يضعون الصندوق في كيس قمامة أسود. نادرًا ما كانوا يذهبون لأماكن مثل "بورتاداون" أو "لورجان"، وهي أماكن لا تضايق "جريس" كثيرًا لأنها من المستحيل أن ترى أحد زملاء المدرسة فيها. في "بورتاداون" و"لورجان" لا يحدث إلا المعتاد: تشعر بالبرد، ويشتمك المارة أو يسخرون منك، ولكن على الأقل لا يتعرفون عليك.

تستطيع تمضية الوقت بأكثر من طريقة.. على سبيل المثال، يمكنك عد حجارة الرصف بامتداد رؤيتك؛ يتخذون الشكل المربع في البداية، ثم يبتعدون ويبتعدون حتى يشبهوا رقائق البسكويت. تستطيع أن تحبس أنفاسك حتى ترى شخصًا يرتدي معطفًا ورديًّا، ثم تحبس أنفاسك ثانية حتى ترى آخرَ يرتدي معطفًا أخضرَ، ثم مرة ثالثة حتى ترى من يلبس حذاءً بنيًّا طويل الرقبة. تستطيع القيام بكل هذا في "كورنماركت"، ولكن سيتعرف عليك الجميع، وفي ظهر يوم السبت الساعة الثالثة، تجد هناك حشودًا من طلبة المدرسة التي ترتادها "جريس" يعلو صوتهم بالضحك. يشيرون إليها صارخين:

– أليست تلك الفتاة من فصلنا؟ تلك الصغيرة التي ترتدي هذا المعطف الكبير؟ نعم إنها هي. كم هي مثيرة للشفقة!

قد تحاول أن تصرخ بشيء ما في محاولة للتشويش على ما يقولوه، ولكن لا يحدث هذا فارقًا كبيرًا.

أحيانًا كانت تحتدم المنافسة بينهم وبين مجموعات أخرى مثل من يؤدون استعراضات في الشارع، كأكلة النار والفرق الغنائية وراقصي "البريك دانس" بين الحين والآخر، الذين كانوا يحضرون مشغل الأقراص "السي دي" ويرفعون الصوت حتى يتعطل الجهاز. كان والد "جريس" يرفع صوت الوعظ القادم من السماعات أيضًا، وكان يكسب تلك المعركة الصوتية لأن سماعاته مزودة بجهاز مكبر الصوت. كانت معركة كونية بين الخير والشر هناك في شارع "كورنماركت" في صورة موعظة دينية ضد أغاني فريق "2 أنليميتيد" – "Unlimited 2" الشهيرة.

بدأت القصة بشنِّ مبشر أمريكي إحدى الحملات التبشيرية المُعتادة، قادها من موقعه في خيمة بيضاء عملاقة منصوبة على طريق "أونيل". ومنذ زيارته الأولى للمبشر، شعر والد "جريس" أن نور الهداية قد ملأ قلبه، ولحقته والدتها الليلة التالية. بدأ التردد على مقر جماعة تبشيرية تقع أمام مصنع ألبان قديم، ومبنى آخر من الحديد المموج. فُرض على النساء ارتداء قبعة. كان هناك من قاموا بأفعال مشينة مثل "جيمي بيكر"، الذي تحدث إلى الحضور يومًا عن أن الرب هداه بعدما قضى حياته مقامرًا وزير نساء ومدافعًا عن الشيوعية. بدا "جيمي بيكر" لطيفًا جدًّا، جالسًا في الصفوف الخلفية وهو يمضغ حلوى النعناع في صمت.

ملابس أيام الآحاد كانت غير مريحة إلى درجة لا تتخيلها؛ فالجوارب الطويلة شديدة الضيق، وتلك التنورة الجميلة المصنوعة من الصوف تسبب الحكة، أما ملصقات الملابس الموجودة على رقبة المعطف فكانت خشنة، ومخيطة بإحكام في القماش فلا يمكنك نزعها، والقبعة كانت منبسطة كالفطيرة. رأت والدة "جريس" أن هناك طرقًا كثيرة لارتداء القبعة، ووافقتها "جريس" الرأي ولكن مع إضافة أنها كلها غبية. عرضت واجهات المحال ملابس زاهية الألوان وضيقة، كنت ترى المارَّة وتحديدًا السيدات منهم يشبهون تلك الصور التي تراها في كتاب الحساب المدرسي، هذا الكتاب المليء بصور البوصلة وأنصاف الدوائر المتوازية، أما ملابس "جريس" فاشترتها والدتها من المحلات الخيرية، وكانت تبحث بالتحديد عن الفضفاضة منها، تلك الأقمشة "القيمة" مثل الصوف والجبردين والفراء، متينة ولائقة بفتاة مهذبة. استعملت زميلات

"جريس" في الصف السدادات القطنية أثناء دورتهن الشهرية، أما والدة "جريس" فكانت تعتبر استخدامها نوع من أنواع الاغتصاب.

كان اسم الواعظ "د. إمري" الموقَّر، وكان يورد من كل شيء ثلاثة في عظاته: "الخطية واليأس والظلم".. "يسوع المُخلِّص في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل".."ستجدون كوبًا من الشاي الداكن الساخن الطيِّب في باحة الكنيسة بعد الصلاة"؛ تلك الصلاة الطويلة المملة المكررة. قد تقضي وقتك محدقًا في القس "د. إمري" وهو واقفًا على المنبر حتى ترى حجمه يتضاعف، ويحاط بضوء أسود، ثم تنظر للسقف، فترى ظله الذي امتد حتى وصل إلى السقف الأبيض. لك أيضًا أن تتبع أسلوب المقايضة في حديثك مع الرب مثلًا تدعوه قائلًا إنك ستؤمن به إذا سقطت قبعة تلك السيدة هناك من على رأسها. فتراها بعد ذلك تحك رقبتها، ولجزء من الثانية تظن أن القبعة ستسقط بالفعل، ولكنها تقبع مكانها. قد تستمع أيضًا إلى قصص أغلبها من عالم العهد القديم وعدالته القاسية، وقد تستمع إلى نبرة الرثاء في قوله: "آه.. لماذا يعم الدنيا كل هذا الشر؟"، وقد تقول لنفسك أنك ربما لا تؤمن بما تسمع.

ثم بدأت عائلة "كارسون" في التردد على الكنيسة أيضًا، زوج وزوجة طويلان ونحيلان، كانا قد عاشا في "مالاوي" لعدة سنوات وعملا خلالها على ترجمة الإنجيل بجانب مشروعات أخرى. كان أولادهما قد استقلوا عنهما بالفعل منذ زمن، لكنهما استضافوا أطفالًا أيتامًا لفترات قصيرة، وكانت لديهما غرف كافية لهؤلاء الأطفال في منزلهما الكبير ذي الحديقة المليئة بالنباتات. كان أحد هؤلاء الأطفال ولدًا يبلغ عشر سنوات تقريبًا، وكان يستخدم سماعة أذن ويرتدي معطفًا أخضر. تساءلت "جريس" ما

إذا كان يستطيع سماع ما يقوله القس "د. إمري" الموقَّر، لأن الطفل كان يردد الترانيم، وكأنه يحفظها عن ظهر قلب. ثم ظهر ولد أكبر سنًّا من السابق، ولكنه لم يبقَ كثيرًا، وكان دائمًا ما يميل رأسه ويردد "آه هذا صحيح". تداخلت فترة استضافتهما لهذا الفتى مع فتاة أخرى بدينة وشاحبة لمدة شهر تقريبًا. اقترحت والدة "جريس" عليها أن تتقرب من تلك الفتاة بعد الصلاة، وبالفعل حاولت "جريس" التحدث معها، وبدأت توجه إليها بعض الأسئلة، ولكن الفتاة لم تتبادل معها أطراف الحديث. وقفت معه "جريس" حتى آن أوان العودة للمنزل وتركت الفتاة. أما الفتاة التالية فكانت إحدى خصلات شعرها مصبوغة باللون الزهري. بعد إحدى جلسات قراءة الإنجيل صرخت الفتاة "آمين!"، ثم ضحكت، ورد الآخرين راغبين في إخراسها قائلين: "اسكتي!" بمزيج من السخط والحرج. علقت والدة "جريس" لاحقًا قائلة:

- أظنها فتاة سفيهة.. تصرخ هكذا.. لا يعلوا صوت الناس هكذا في كنيستنا.

ردت "جريس":

- لقد تحدثت بلهجة أمريكية.

وأردفت والدتها:

- إنها سفيهة.

ولكن هذا لم يمنع والدة "جريس" من أن تطلب من ابنتها أن تساعد تلك الفتاة "كيري" في واجباتها المدرسية.

تساءلت "جريس":

- لماذا؟ لم تجدِ محاولتي للتقرب من الفتاة الأخرى.

ردت والدتها:

- كلَّا، تلك فتاة أخرى، وتحتاج لمساعدة في واجباتها المدرسية.

تساءلت "جريس":

- ولِمَ لا تساعدها السيدة "كارسون"؟

- لأنها مشغولة. ستذهبين لمساعدتها الليلة، لقد أبلغت العائلة أنك ستذهبين.

ردت "جريس":

- وهذا لأنني عبقرية!

قالت والدتها:

- لا تكوني وقحة يا "جريس".

قالت السيدة "كارسون" لـ"جريس" أن غرفة نوم "كيري" هي الغرفة الأولى يمين السلم. هل عليها طرق الباب؟ لا تعرف "جريس" بالتأكيد.

خارج الغرفة قالت "جريس":

- مرحبًا.

ردت الفتاة من الداخل:

- ماذا تريدين؟

ثم جاءت للباب وكررت:

- ماذا تريدين؟

قالت "جريس":

- طلبوا مني أن أساعدك، هكذا قالوا لي.

ردت:

- من قال لك؟

- هم.

- فيم تساعديني؟
- الواجبات المدرسية.
ردت "كيري":
- أنا لا أذهب للمدرسة.
- إذًا لماذا طلبوا مني المجيء؟
أردفت "كيري":
- أذهب إلى أحد المراكز.
- لقد قيل لي إنني سأساعدك.
ردت "كيري":
- حسنًا، لا أريد أي مساعدة.
ثم أغلقت الباب.

ولكن والدة "جريس" أرسلتها لمساعدة الفتاة مجددًا الليلة التالية، متحدثة عن أهمية المثابرة، وبذل قصارى الجهد كلما استطعنا.

قالت "كيري" وهي تفتح الباب عند سماعها طرق "جريس" عليه:
- أنت ثانية؟

تجمعت أغراض "كيري" حول فراشها وكأن هناك مغناطيس يجذبها؛ ملابس ومجلات وجوارب طويلة متسخة لا تزال الملابس الداخلية عالقة بها وصفائح مشروب "الكولا". تشم رائحة مزيل العرق، ولكن تطغى عليه رائحة دخان السجائر. ألا تلاحظ عائلة "كارسون" هذا؟

خاطبتها "كيري":

- ألم تفهميني سابقًا؟ لم جئتِ ثانية؟

ارتسمت على وجه "كيري" علامات الغضب عندما جاء صوت "السيدة كارسون" من الطابق الأسفل تدعوها للنزول. كان هناك كتاب على غلافه صورة أرنب، وورقة بها تدريبات على طاولة الطعام. كان الأطفال الآخرون يلعبون في حديقة المنزل رغم تساقط أمطار خفيفة. قالت السيدة "كارسون" لـ"كيري":

- تذكَّري ما تحدثنا عنه من قبل. تذكَّرتِ؟ لن تأخذي مصروفًا إن لم تبذلي جهدًا في المذاكرة، وهذا يعني أنك لن تشتري ما يحلو لك.

قطبت "كيري" حاجبيها ونظرت لـ"جريس" الجالسة على الجانب الآخر من الطاولة، ثم أمسكت بذلك الكتاب الذي يتحدث عن الأرنب، وفتحت صفحة بطريقة عشوائية. جرت بإصبعها أسفل كل كلمة ببطء، وتحركت شفتاها قارئة الكلمات في صمت. قرأت ما يقرب من عشر صفحات بهذه الطريقة، و"جريس" تتطلع إليها.

تنهدت وأغلقت الكتاب قائلة:

- انتهيت.

سألتها "جريس":

- عمَّ يتحدث الكتاب؟

ردت "كيري":

- عن أرنب لعين، ألا ترين الغلاف؟

قالت "جريس":

- هذا الكتاب مقرر عليك في الدراسة؟

ردت "كيري":

- هل تظنين أنني سأعره أي اهتمام إن لم يكن مقررًا عليَّ؟ يتحدث عن أرنب وما يفعله.

ألقت الكتاب على الأرض، وأضافت:

- كان الكتاب الآخر يدور حول رجل مشرد.

سألتها "جريس":

- هل كان أفضل من هذا الكتاب؟

ردت "كيري":

- كلَّا. تعالي معي للغرفة، أريد أن أريكِ شيئًا.

ظنت "جريس" أن السيدة "كارسون" ستعترض، إلا أنها كانت مشغولة بالمطبخ، ولم ترد. وجدت "جريس" نفسها جالسة على فراش "كيري" الفوضوي. التقطت "كيري" شيئًا من وراء دولابها. جلست بجوار "جريس" وبيدها مجلة.

خاطبتها "كيري" قائلة:

- اتركيها هذا، وانظري هنا.

فتحت المجلة على صفحة بها صورة امرأة نائمة على أريكة وساقاها مفتوحتان، لم تكن عارية تمامًا، بل كانت ترتدي حذاءً ذهبيًّا عاليَ الكعب.

قالت "كيري" وهي تقرب المجلة لعيني "جريس":

- ما رأيك؟

لم تقل "جريس" شيئًا.

قلبت الصفحة لأخرى بها صورة امرأتان وسألتها:

- ما رأيك في هذا؟ وذاك؟

استطردت "كيري":

- لا تمانعين في أن تأتي هنا كي تخبريني عن هذا وذاك، ولكنك لا تعرفين كل شيء. انظري ثانية، انظري لهذه، الكل هنا، الكل في هذه العلبة الصفيح الصغيرة، تمامًا كالجميع.

أضافت:

- أنت لست طبيعية، أنت غريبة الأطوار. أراكِ جالسة مع ذلك الرجل وتلك المرأة، أمك وأبوك، تتصنعون التدين، وأجد نفسي أدعو لكم بالهداية. أتعرفين "هيلين واتسون" التي كانت تعيش هنا.. كانت تقول عنكِ الكلام نفسه.. أنك مجنونة.

قالت "جريس":

- وأنت غريبة أطوار.

ردت "كيري":

- حقًّا؟ أنا لا أشبه جدة "ميكي ماوس".. مم تخافين؟ أن تحترقي في نار جهنم؟

قالت "جريس":

- لا، لن أحترق في جهنم.

ردت "كيري":

- حسنًا. سأسألك سؤالًا، متى وُلدت؟ في أي عام؟

ردت "جريس":

- 1980.

قالت "كيري":

- حسنًا.. 1980، إذًا في عام 1979 لم يكن لك وجود، هل ضايقك هذا؟ لا. إذًا عندما ينعدم وجودك ثانية، هل ستتضايقين؟ لا، لأنك لم تتضايقي من قبل، ولن تتضايقي عندما تموتين.

بدت على "جريس" إمارات التفكير.

قالت "كيري":

- نعم! تخيلي! ضعي تلك الفكرة في غليونك ودخنيها.. لا، أعلم أنك لن تفعليها لأن يسوغ علمك ألَّا تدخني.

1979.. العدم.

بدأت "كيري" قراءة توصيف سيدة المجلة، مخاطبة "جريس":

- اسمعي.. استمعي لهذا.

بدأت تقرأ، تتوقف لبرهة طويلة بين الكلمات، تقرأ بإيقاع طفلة تحرك إصبعها على السطر. "سندي".. تحب.. "سندي".. "تحب"..

تساءلت "جريس":

- ماذا؟ ماذا تحب "سيندي"؟

حيرت الكلمة "كيري".

استطردت "جريس":

- من الأحرى أن تعودي لكتاب الأرنب يا "كيري".

طوت "كيري" المجلة وضربت بها "جريس" قائلة:

- فلتقرئيها أنت.

التقطت "كيري" المجلة وطوتها بإحكام وصفعت بها "كيري" على خدها. قالت:

– لم أرغب أن آتي إلى هنا، أتفهمين؟

اندفعت "كيري" من الناحية الأخرى من الغرفة تجاه "جريس" وانقضت عليها ممسكة بشعرها وألقتها على الفراش، ثم لكمتها بقوة بمرفقها في معدتها. شهقت "جريس"، ولم تستطع أن تتنفس، ولكن تبين لها سهولة ضرب "كيري" على عكس ما ظنت. لكمتها "جريس" بقبضتها في بطنها الذي كان مشدودًا كالطبلة مرارًا وتكرارًا. سقطا على الأرض فوق الجوارب الطويلة والأطباق المتسخة. كانت "كيري" سريعة المبادرة وثقيلة، فطرحت "جريس" على وجهها أرضًا، وثنت ذراعها خلف ظهرها فأفقدتها القدرة على الحركة. استمرت في الضغط على جسد "جريس" حتى شعرت الأخيرة أنها على وشك التقيؤ، حتى توقفت "كيري". كانت تلهث وتحاول أن تلتقط أنفاسها، أما "جريس" فلم تستطع أن تشم إلا رائحة أعقاب السجائر ومنعم الأقمشة، يبدو أن السيدة "كارسون" تضيف الكثير منه للغسيل. أمسكت "كيري" بخصلة من شعر "جريس" ثانية، وظنت الأخيرة أنها ستضربها مجددًا، ولكن في الواقع كانت شفتا "كيري" ناعمتين رُغم طعم الدم الذي يذكرك بطعم العملة المعدنية.

كانت والدة "جريس" في المنزل تخيط حافة فستان. وسألت "جريس":

– سار كل شيء على ما يرام؟

ردت "جريس":

- كان وقتًا طيبًا.

قالت والدتها:

- يمكنك إعطاؤها بعض الكتيبات المرة القادمة.

ردت:

- بالتأكيد.

شدَّت يد والدتها خيط وإبرة الحياكة لتخيط غرزة مزدوجة أخيرة، ثم قطعت الخيط.

عندما ذهبوا للكنيسة ثانية كانت هناك مساحة شاغرة كبيرة على حافة المقعد الذي اعتادت أسرة "كارسون" الجلوس عليه، ولم تحضر "كيري"، واستمر الحال على ما هو عليه أسبوعين متتاليين. بعد الصلاة جاءت السيدة "كارسون" لتتحدث مع "جريس"، قائلة إنها ممتنة لمساعدتها "كيري"، ولكن الأخيرة عادت لوالدتها ثانية. ثم أعطت "جريس" ورقة مطوية عليها عنوان ورقم تليفون، وقالت:

- يأتون ويرحلون.. تفضلي.

كانت ورقة ذات حواف مقطوعة من دفتر سلك، كتبت عليها "كيري" بخط كبير مليء بالدوائر كلمات مكتوبة ببطء وتأنٍّ حتى بدا وكأن القلم قد اخترق الورقة. احتفظت "جريس" بالورقة رغم علمها أنها لن تتصل بـ"كيري" تليفونيًّا أو تزورها بمنزلها. لم تتحمل فكرة ذهابها للسينما أو للمطعم مع "كيري" أو تبادل كروت معايدة عيد الحب معها. بدت لها أفكارًا خرقاء.

لم تذهب "جريس" للكنيسة الأسبوع التالي، بحجة أنها مريضة، ولكن عندما جاءت والدتها لغرفتها قالت إنها سوف تتوقف عن الذهاب للكنيسة في الفترة الراهنة. تعلم أنهما كانا يدعون لها بالهداية طوال الوقت، حتى أن "د. إمري" جاء لزيارتها. ارتشفت الشاي ببطء، وهو يحدثها عن الخروف الضال والابن الضال، وحاول بث الخوف في قلبها بحديثه عن فتيات حدن عن الطريق القويم، وكانت نهايتهن كلهن بلا استثناء حزينة. بعدها يجتمع "د. إمري" بوالديها أمام باب المنزل ويتهامسون، ثم يمضي في طريقه. بعدها تطرق والدتها باب غرفتها بهدوء، وبصوت مفعم بالأمل تتساءل:

- هل كل شيء على ما يرام يا "جريس"؟

تومئ "جريس" وترد:

- على ما يرام.

كان هناك ألم وشغف، ولكن لا رب. يقضي البعض عمرهم كله حتى يتوصلوا لمثل تلك الأفكار، وقد يدرسون كتبًا كثيرة ويتطلعون للنجوم، ولكن وضحت لها الصورة في هذه السن الصغيرة، عندما ضربتها إحداهن بمجلة إباحية. قد لا تتعرض للحظة التجلي العارم تلك ثانية أبدًا.

لقد عشت حياتك دون توقعات كبيرة. سافرت في العطلات وأكلت وجبات وشاهدت الأفلام في السينما وقضيت إجازات قصيرة في المدينة. تعمل في الحضانة، وهو عمل ممتع معظم الوقت. أما كل هذه المشاعر العارمة مضت منذ زمن. أحبت "كايل"، ولن تتركه.

هل كان سينتهي به المطاف هكذا دون شقيقه "ديفي" الذي أفسده؟ فليذهب "ديفي" إلى الجحيم. "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ".

متي 26:52. تستطيع أن تتذكر هذه الآية ورقمها. اكتشفت "جريس" أنها عاقر، جربا الحقن المجهري بلا جدوى. خشيت أن يتركها ويبدأ علاقة مع إحدى عشيقاته، ولكنه لم يفعل. وأخبرها أن الإنجاب لا يهمه، وأنها معه وهذا يكفي. فأصبحت ممارسة الجنس فاشلة لأنها شعرت بأنها بلا جدوى.

ذهبت للكنيسة مرة واحدة عندما شعرت بالحنين لطفولتها. رأت ملصقًا عن حملة تبشيرية، ولكنها كانت فاعلية صغيرة في صالة تم تحويلها لملعب كرة الريشة وكرة السلة عن طريق لصق شرائط ملونة على الأرض. كان الحاضرون جميعًا من كبار السن، وقد وجدوا الخلاص منذ زمن بالفعل. لم يغنوا، فقط رجلًا يقرأ من عرض تقديمي "باوربوينت"، ولكن انتهى بها المقام إلى المساعدة في تقديم الشاي لوجود مشكلة في الغلاية.

انتوت "جريس" تسليم بعض الملابس للمغسلة ذلك الصباح، ثم الذهاب لصالون التجميل، الذي كانت تزوره تقريبًا مرة كل أسبوعين منذ افتتاحه. في الماضي لم ترَ الاعتناء بنفسها صعبًا أبدًا، لكن الآن اتضح لها العكس. لم تكن لتفكر في اعتيادها الذهاب للصالون إن لم تكن رأت هذا الإعلان والخصم في الجريدة، ومديرته في بداية طريقها المهني. صالون صغير غريب، لكنه يعجبها، فقد كان دافئًا دائمًا، وتعبقه رائحة جوز الهند. لم تتحدث المديرة كثيرًا، وهذا مستحب. طلبت خدمة إزالة شعر ساقيها بالشمع في أول زيارة لها هناك، وآلمتها كثيرًا. نصحتها السيدة أن تأخذ قرصي "باراسيتامول" قبل الحضور المرة القادمة. لا، أظن أنها نصحتها أن تأخذ قرصي "باراسيتامول" وبعض "البراندي"، قائلة إن هذا أفضل. لم تأخذ "الباراسيتامول" ولم تشرب "البراندي" يومها. أحيانًا كان وجه السيدة يقترب من وجهك بشدة

حتى يفصلهما فقط بضع البوصات، تستطيع أن تحرك أصابعك على تجاعيد وجهها التي يبرزها التركيز في عملها. أما شعرها الملموم في ذيل حصان فقد تستطيع أن تلفه حول قبضتك وتشده بقوة إن أردت. بدت تلك السيدة دائمًا مشغولة، وكانت "جريس" تفكر فيها طوال الوقت. ماذا عن الآخرين، فيم يفكرون؟ الاستلقاء على الشواطئ؟ قضاء الوقت على البحر الكاريبي؟ قوائم المهام اليومية؟ كانت "جريس" تفكر في طعم الدم، وفي سيدة ترتدي حذاءً عالي الكعب وتستلقي على وجهها على فراش. دائمًا ما كانت "جريس" تشعر بخيبة الأمل عندما تنهي السيدة المطلوب منها قائلة: "حسنًا، لقد انتهيت، سأتترك ترتدين ملابسك وأراك بالخارج". تقع عليها "حسنًا لقد انتهيت" وقعًا ثقيلًا.

وها هي ذا، تعود لتطلب المزيد، جالسة تنتظر السيدة حتى تجهز الغرفة. تطلعت لمجموعة المرطبات المصطفة، وألوان الأظافر وكومة المجلات.

عندما ظهرت السيدة، تساءلت "جريس":

- ماذا حدث للنافذة؟

ردت:

- سيصلحها الفني إذا جاء صباح الغد. تفضلي في الغرفة، فهي جاهزة وسأتبعك خلال لحظات.

إناكين



قرر "مالكوم" - ابن "جين" - أن يقوم بإحدى زياراته غير المنتظمة لوالدته. جلس أمام التليفزيون، وعندما شغَّله، سمعته "جين" يطلق إحدى تنهيداته المعهودة المعبرة عن سوء اختيار القنوات. جلست "جين" على طرف الأريكة، وهو المكان الأفضل لمراقبة الشارع.

أخبرها "مالكوم" بتعيين رئيس جديد له في العمل، وقد شغل الأخير الوظيفة منذ بضعة أسابيع فقط، ولكنه لا يعجبه. قد يعجب الآخرين وهذا شأنهم، لكنه لا يعجبه.

قالت "جين":

- بضعة أسابيع فقط؟ لا يزال الوقت مبكرًا للحكم عليه، أليس كذلك؟
أجابها "مالكوم":
- بضعة أسابيع، ولكنها لم تمر على ما يرام.

رأت "جين" جارتها "الشراع الأسود" اللين على الناحية الأخرى من الطريق، وقد حملت كيس قمامة بيديها الاثنتين بصعوبة، ثم انفرج الباب قليلًا وظهرت "إناكين" حاملة ما يشبه شمعة ضخمة. لا، ليست شمعة، بل قاعدة أباجورة طويلة، ألقتها في سلة المهملات. لا أثر لـ"و7".. ربما ما زالت في العمل؛ ولكن، ها قد ظهرت هي الأخرى.

أخرج "مالكوم" تليفونه من جيبه وبدأ يتصفح الصور.

قالت "جين":
- أنا متأكدة، لقد تحدثوا عنها في نشرة الأخبار.
رد "مالكوم":

– لا أدري. آه.. هذا.

كان قد استقر على مشاهدة أحد الأفلام، وقال:

– لقد شاهدته من قبل. إن الشخصيات في هذا الفيلم ليست سوى مجموعة من الأغبياء.

قالت "جين":

– ذهبت إلى وسط المدينة أمس.

رد "مالكوم":

– حقًّا؟

قالت "جين":

– لم أذهب إلى هناك ليلًا منذ مدة طويلة.

رد "مالكوم":

– حسنًا.

قالت "جين":

– نعم.

قال "مالكوم":

– حسنًا، فعلتِ شيئًا جديدًا؛ ذهبتِ لوسط المدينة.

أكملت "جين":

– كنت في معرض لصور فوتوجرافية.

رد "مالكوم":

– حسنًا.

قالت "جين":

– اشتركت في مسابقة لأعضاء نوادٍ مختلفة مخصصة لفن التصوير الفوتوجرافي، وكانوا يعرضون بعض الصور التي تم تقديمها للمسابقة في معرض يقع خلف تلك الكنيسة القديمة هناك، بالقرب من محل الملابس النسائية.

قال "مالكوم":

– تعنين أنك تقدمت للمسابقة.

ردت:

– نعم، تقدمت لها.

رد:

– وهل حصلت على أي جائزة؟

قالت "جين":

– لا، لم أحصل على أي جائزة.

في الواقع، لم تنل الصورة التي تقدمت بها "جين" حتى شرف اختيارها للعرض على العامة، رغم كثرة الصور التي غطت جدران المعرض.

قال "مالكوم":

– حظ سعيد المرة القادمة. يا إلهي، يا له من أبله، لم يلحظ أنها تحمل السلاح.

نُصِحت "جين" بالانخراط في الأنشطة الاجتماعية منذ صارت وحيدة، ظنًّا أن هذا سيحميها من الدخول في نوع من الاكتئاب الحاد. بدأت بتجربة الانضمام إلى نادي القراءة في المكتبة، لكنها نادرًا ما كانت تكمل القراءة بعد الفصل الأول من الكتاب؛ هذا إذا كانت الكتب مقسمة إلى فصول من

الأساس. رسمت لاحقًا لوحات رديئة في دورة رسم بألوان المياه، لكنها لم تشعر سوى بالارتياح عندما أعلن المدرب أن الدورة لن تستمر بعد انقضاء الصيف. في الفترة الأخيرة، انضمت إلى نادي التصوير وتتطلب الأمر منها شراء كاميرا. كانت السيدة الأخرى الوحيدة فيه مطلقة وتدعى "آنجي". أول معلومة قدمتها "آنجي" عن نفسها كانت: "أنا مطلقة منذ وقت قريب، وقد كانت تجربة مريرة جدًّا". أحيانًا، كانوا يدرسون التصوير نظريًا، فكانوا يجلسون في دائرة وتُلقى عليهم معلومات حول أنواع فتحات الكاميرا مثلًا؛ أمَّا المحاضرات العملية فكانت تدور حول موضوع معين.. في أحد الأسابيع، كان الموضوع عن الآلات الموسيقية، وفي الأسبوع التالي، عن تصوير "البورتريه". لم يحبذ بعض الرجال فكرة تصويرهم لبعضهم بعضًا، فأعطاهم المدرب "سام" محاضرة حازمة قصيرة حول أهمية الرؤية الموضوعية. ذهبوا أيضًا في رحلات ميدانية؛ واحدة إلى مزرعة مهجورة، حيث التقطوا صورًا للصدأ المنتشر على الحديد المموج، وأشعة الضوء المارة عبر الأسقف المكسورة. كانت الرحلة الأخرى إلى قلعة "كاريك فيرجوس"، حيث سنحت لهم الفرصة لتصوير شابة ترتدي فستانًا أبيض.

رأت "جين" هذا الباب ينفتح ثانية.. نعم، ها هي ذا "إناكين" والكوب، هذا الكوب الذي تستخدمه في ري النباتات المزروعة في الأصص الثلاثة خارج المنزل، حيث تصب الماء من الكوب عليها جيئة وذهابًا. ألم تفكر في شراء مِسقاة؟ حتى إن حلة كبيرة قد تفي بالغرض. ربما خشت من إغراق النباتات بالماء. لم ترتدِ "إناكين" كامل زيها المعقد أثناء وقوفها أمام باب منزلها فقط دون الخروج، فلم يظهر منها سوى وجهها الصغير الشاحب.

ماذا عن "الشراع الأسود"؟ لا ترى إلا عينيها، ولا شيء سواهما. أما "و7" فترى وجهها كله، مستديرًا كحلوى "البون بون".

لن ينخدع "مالكوم" ثانية بعد انفصاله عن "مارييل"؛ أم ابنه "أنطون" البالغ من العمر ثلاث سنوات. في أحد الأيام بعد وفاة زوج "جين"، وأثناء جلوس الناس في الغرفة منخرطين في أحاديث تبدأ تافهة ثم تنساق تدريجيًّا للعمق وتعود للتفاهة مجددًا، والشاي يبرد في أكوابهم.. رأت "جين" شابة كتبت على يدها ملاحظة حتى لا تنساها. كانت الشابة تحمل صينية من منضدة القهوة الموجودة في منتصف الغرفة إلى المطبخ. عندما دخلته "جين"، لاحظت أن أحدًا قد غسل كل الأطباق ووضعها في أماكنها، ثم ظهر "مالكوم".

قال:

– أقدم لك "مارييل".

ثم وضع ذراعه حول خصرها، وأردف:

– إنها كندية.

ثم وجه حديثه إلى "مارييل" قائلًا:

– ألست كذلك؟

ردت "مارييل":

– أشكرك لتذكيري.

ثم ابتسمت لــ"جين" ابتسامة كالغمزة.

كانت "مارييل" من "كيبيك". لم تختفِ لهجتها الأجنبية أبدًا حتى بعدما قضت معها "جين" ساعات وأيام.

اتصفت صديقات "مالكوم" السابقات اللائي قابلتهن "جين" بجمال طاغٍ، بشراتهن صافية وصدورهن مكشوفة. أما بالنسبة لـ"مارييل" فأسفل ملابسها الفضفاضة كان جسدها نحيلًا، وشعرها الباهت مضموم برباط مطاطي للوراء. عندما أخبرها "مالكوم" بأنه سيصير أبًا، ظننت أن هناك خطأ ما في حساباته أو حسابات "مارييل" لأنهما لا يبدوان مناسبين لبعضهما إطلاقًا.

قال "مالكوم":

- ربما تحتاجين إلى كاميرا جديدة، ككاميرا "نيكون دي سيريز"، يقولون إنها رائعة، هل سمعت عنها؟

ردت "جين":

- لا.. أعني أنني سمعت عن "نيكون"، ولكن لم أسمع عن الـ"دي سيريز".

أردف "مالكوم":

- قد تكون الكاميرا هي المشكلة، ربما لا تمتلكين الكاميرا المناسبة.

ردت "جين":

- لا أظن أن الكاميرا تحدث فارقًا كبيرًا.

قال "مالكوم":

- سعرها 500 جنيه إسترليني، أظن الفرق بينها وبين الكاميرا التي تمتلكينها بالفعل 400 جنيه إسترليني.

ردت "جين":

- لست أدري.

قال "مالكوم":

- للجودة سعرها.

هزت "جين" كتفيها.

أكمل "مالكوم":

- هناك فارق، صدقيني. أنا عضو في نادي ذواقة النبيذ. أتعرفين الفارق بين زجاجة نبيذ سعرها خمسة جنيهات وأخرى سعرها عشرون؟ قفزة هائلة في الجودة. إذا أردت التميز يجب أن تضحي بالنقود. لا أنفق أكثر من عشرين جنيهًا إسترلينيًّا على النبيذ. نذهب كأعضاء نادي الذواقة إلى أحد المطاعم كل عدة أشهر.. لتناول وجبات فاخرة، أتفهمين؟ نشرب نبيذ تصل تكلفة الزجاجة منه إلى ثلاثة أصفار على اليمين. يقوم على خدمتنا "سوميلييه" في مثل هذه المطاعم.

ثم أضاف:

- "سوميلييه".. تعني سقاة النبيذ.

لم ترَ "جين" أي من "الشراع الأسود" و"إناكين" و"و7" بعد تلك المرة الأولى لفترة من الزمن. لم ترهم ينقلون أثاثهم للمنزل، يبدو أنهم فعلوا ذلك ليلًا. ولكن كشفت إحدى رحلات "جين" للسوق عن "و7" و"إناكين" وهما تتسوقان في قسم الخضروات، وتنظران إلى أكياس البصل. حدق الآخرون فيهما أيضًا، لكنهم تظاهروا بالتسوق. ثم دخلت "الشراع الأسود" للمشهد حاملة اثني عشر كيسًا من رقائق البطاطس.

نادت "الشراع الأسود" بنفاد صبر، مشيرة إلى "الكاشير":

- "إناكين"!

"إناكين".. رددتها "جين" لنفسها بعد ذلك في حجرة معيشتها. أعجبها إيقاع الكلمة اللطيف. بدا لها اسمٌ قد يطلقه أحدهم على منزله، لكن معناه هو "أم" أو "ماما" أو ربما "مامي". من الواضح أن "إناكين" أكبر سنًّا، فحركتها أبطأ.

التقطت "جين" كيس برتقال، وتبعتهن للكاشير. تلك الفتاة.. الموظفة الجالسة خلف جهاز عدّ النقود، لديها وشم نجوم على إحدى وجنتيها.. لاحظت "جين" أنها تحاول أن تخمِّن أيًّا من العدادات قد تصل إليه السيدات ذوات الرداء الأسود، وبدا أنها تتمنى ألا يكون عدادها. كانت إحدى سحابات حقيبة ظهر "الشراع الأسود" مقطوعة، وحملت "إناكين" حقيبة بنية ذات حلية معدنية وحزام كتف، أما حقيبة "و7" فقد زينتها حلى فضية صغيرة وزخارف مطرزة.

أراحت "إناكين" كفها على حقيبتها. كانت كفًّا صغيرة، لونها لا يختلف كثيرًا عن لون الحقيبة، إلا أن جلد الحقيبة كان أكثر نعومة. سمعت "جين" ضحكات فتاتين مراهقتين خلفها.. كانتا تمسكان بهاتفيهما. نادتا "يا حضرات!""، ثم التفتت إحداهما للأخرى قائلة:

- يا للغرابة! يا للمهزلة! كيف يتجولن في المكان هكذا بحق الجحيم؟ تك تك تك.. بووم!

تحركت "جين" قليلًا متظاهرة بالنظر إلى أحد الأرفف، حتى تحول دون رؤية الفتيات للسيدات الثلاث مؤقتًا.

وجهت "جين" سؤالها لـ"مالكوم":

- لا أظن أنك على اتصال بـ"مارييل"، أليس كذلك؟

تنهد ثانية.

استطردت "جين":

- إنه مجرد سؤال.

رد "مالكوم":

- لا يا أمي، لم أتصل بها خلال الأسابيع القليلة الماضية، ولكن أظنكِ اتصلت بها، أليس كذلك؟

اتصلت بها بالفعل، ولكن كانت مكالمة قصيرة عبر الإنترنت على الكمبيوتر. كان "أنطون" لا يطيق صبرًا حتى يذهب ليلعب بألعابه، ولهذا استمرت "مارييل" في إجباره على الجلوس على قدمها. أخذت "مارييل" تشير إلى صورة "جين" على الشاشة قائلة:

- جدتك! جدتك!

حدق "أنطون" في صورة العجوز على الشاشة، ثم تجمدت الصورة، ثم عاد الاتصال لمدة ثلاثين ثانية، ثم تجمدت الصورة ثانية.

قال "مالكوم":

- حسنًا.. ها قد بدأنا. كنت أسأل نفسي متى ستفتحين هذا الموضوع، ومتى سنبدأ الحديث عن تلك العاهرة. إذًا، أخبريني بكل شيء، حدثيني عن كل أخبار "مارييل" وعن كل أخبار "أنطون" ابني.

قالت "جين":

- بدا لي أنهما بخير. لم أتحدث معهما إلا لمدة قصيرة جدًّا.

رد:

- حسنًا.

قالت "جين":

- لقد كبر "أنطون".

رد "مالكوم":

- طفل يكبر؟ يا لها من صدمة.

قالت "جين":

- "مالكوم"، أرجوك.

رد "مالكوم":

- لم أوافق على اسم "أنطون" مطلقًا.. "أنطون". اسم يليق بخادم. أتدرين ما الاسم الذي أردت أن أسمِّيه؟ "لورنس" على اسم أبي. ولكن، لا، كالعادة، رفضت "مارييل" اللعينة، وهكذا انتهى بنا المطاف لاسم "أنطون". لم يعجبني الاسم أبدًا، لم أرغب في منحه إيَّاه.

ردت "جين"، وهي تفكر في الفارق بين اسمي "أنطون" أو "لورنس":

- إنه مجرد اسم..

رد "مالكوم":

- حسنًا، إن الأمر كله دعابة سخيفة بحق الجحيم. لديَّ ابن، وبغض النظر عن أنه يعيش في الناحية الأخرى من العالم فهو حتى لا يتحدث اللغة نفسها التي أتحدثها. يا إلهي.. الفرنسية!

ثم استطرد باستهجان بالفرنسية:

- Ou est le restaurant. J'habite à Belfast.

وأكمل:

- يا إلهي.. الفرنسية اللعينة.

قالت "جين":

- لا يتعلم الكثيرون اللغات هذه الأيام، الإقبال على تعلم اللغات في تراجع.

اعتاد "مالكوم" إلقاء حقيبته على باب المنزل عند عودته من المدرسة، ثم يذهب لغرفته لمشاهدة أشرطة الفيديو الشائعة آنذاك. طلب ستائر مانعة للضوء في حجرته لأن الستائر العادية تسمح بدخول الكثير من الضوء للغرفة وهو يشاهد أشرطة الفيديو على التليفزيون . اشترت له الستائر ومعهم لحاف باللون نفسه.

رد "مالكوم":

- هذا متوقع، فتعلم اللغات مضيعة للوقت..

ثم أكمل:

est le restaurant. J’habite à Belfast. Ou –

كانت "جين" كثيرًا ما تزورهم في منزلهم عندما كان "أنطون" رضيعًا. اعتادت هي و"مارييل" أن تتمشيا معًا في طرق طويلة إن كان الطقس معتدلًا، تدوران في الطرق نفسها، وتدفعان عربة "أنطون" أمامهما على رصيف أحد الطرق، ثم تنزلانها الناحية الأخرى. كانتا تمران بالمحال الخيرية، والصيدليات، والمقاهي، وصالونات تصفيف الشعر. أما إذا كان الجو ممطرًا فكانتا تلتزمان المنزل وتشاهدان فيلمًا؛ أي فيلم يعرضه التليفزيون؛ سواء كان فيلم رعاة بقر، أو فيلمًا رومانسيًّا. لا يهم الفرق. كان جهاز التدفئة يعمل دائمًا. كان الجو دافئًا. ملأ المكان الصوت الحنون لجهاز تعقيم أدوات الرضيع، ودفء الرضيع، والدفء المنبعث من غسالة الملابس، ورائحة اللبن.

افتقدت "جين" "مارييل" و"أنطون" أكثر مما افتقدت "لورنس". كان زوجها شخصًا سمعت أحدًا بالصدفة يصفه بأنه "استغلالي". لم يهتم الطرف الثاني في هذا الحوار بالاختلاف مع الأول، لكن الموت أعتق هذا الرجل خائر القوى المستلقي على سرير المستشفى محدقًا في نشرة أخبار لا تنتهي عتقًا رحيمًا. أدى سفر "مارييل" و"أنطون" لحدوث انعدام توازن. لها أن تعتبر "مارييل" عاهرة إن أرادت، وكما وصفها "مالكوم"، ولكنها كانت تعلم أنها ليست كذلك.

في أحد الأيام، عندما كانتا تتبادلان دفع عربة "أنطون"، قالت "مارييل" لـ"جين" إن هناك أمرًا يجب أن تخبرها إياه؛ وهو أنها و"مالكوم" سينفصلان.

سألت "جين":

- هل هذا أكيد؟

ردت "مارييل":

- نعم، بكل تأكيد.

ردت "جين":

- يا إلهي!

تساءلت "مارييل":

- هل يدهشك الخبر حقًا يا "جين"؟

ردت "جين":

- لا، لا أظن.

تساءلت "جين" عن شعور "مالكوم" تجاه الانفصال.

ردت "مارييل":

- تجاه انفصالنا؟

ثم هزت كتفيها واستطردت:

- يشعر بما أشعر به وانتهينا. انتهى. سيترك المنزل الأسبوع القادم وينتقل للعيش مع إحدى صديقاته . لا، إن الأمر ليس كما تظنين . مجرد صديقة.. صديقة فقط لا غير.

رددت "جين":

- فقط هكذا.. النهاية.

ردت "مارييل":

- نعم، هكذا تسير الأمور أحيانًا.

قالت "جين":

- هذا محزن.

أردفت "جين":

- هذا محزن حقًّا، ولكن على الأقل ولُدت تلك القطعة الصغيرة من الإنسانية من هذه العلاقة.

قالتها وأومأت إلى عربة "أنطون".

رددت "مارييل" ضاحكة:

- القطعة الصغيرة من الإنسانية؟ يا إلهي، إن هذا قول عميق حقًّا يا "جين".

مرتا بمحل تلو الآخر، وعندما توقفتا عند إشارة المرور، قالت "مارييل":

- ما أردت أن أقوله يا "جين" - وهذا هو الأمر الذي نختلف أنا و"مالكوم" حوله – هو أن أخبرك بأنني أنوي العودة إلى وطني، إلى كندا.

ردت "جين":

- لا، لا يمكن أن تكوني جادة.

ولكن، كانت "مارييل" جادة، وكانت لديها أسباب متعددة، ومنها مرض والدتها، وأن مستقبلها الوظيفي هناك أفضل، وأنها لم تكن تنوي البقاء في أيرلندا لفترة طويلة منذ البداية.

وماذا عن "مالكوم"؟ هل ستأخذ "أنطون" بعيدًا عنه... بعيدًا عنه بهذه البساطة؟

ضبطت "مارييل" ربطة شعرها، وقالت:

- هذا ليس سهلًا، لكنه الحل الأفضل.

تساءلت "جين":

- الأفضل لمن؟

كررت "مارييل":

- والدتي مريضة، ولا أحد يرعاها غيري.

بدأت الأمطار في الهطول، وأصبح كل ما حولهما قبيحًا. الناس بوجوههم البائسة، الإعلانات الصارخة عن العروض الشرائية وعن التخفيضات . أرادت "جين" أن تقول "أنا هنا. أنا هنا. أنا هنا".

ولكنهما سارتا في صمت كئيب، حتى طرحت "جين" فكرة أن هذا قد لا يستمر إلى الأبد. قالت:

- لا نعلم، ربما تتمكنين من العودة في أي وقت بعد بضعة أشهر. قد تتحسن الأمور، يحدث هذا أحيانًا.

لم تعارضها "مارييل"، وتواطأت مع "جين" في أكذوبة كونه وضعًا مؤقتًا.

وصل الأمر إلى محكمة الأسرة. لم يوافق "مالكوم" على السفر، ولكن القاضي حكم لمصلحة الأم كالعادة. وكان له حق الزيارة أثناء العطلات، ولكن رحلته الوحيدة إلى كندا كانت كارثية. تعامل "أنطون" معه مُعاملة غريبة، فبكى عندما حمله "مالكوم" بين ذراعيه، كما تشاجر مع رجل قالت "مارييل" إنه زميلها في العمل. كاد الأمر يتطور إلى شجار بالأيدي.

وجد "مالكوم" الصورة التي كان يبحث عنها من قبل. قال:

- انظري، ها هي.

كانت صورة لشابة على الشاطئ تبتسم ابتسامة واسعة للكاميرا وتقف على قدم واحدة كراقصات الباليه.

أردف "مالكوم":

- إنها اليوجا.

ردت "جين":

- تبدو لطيفة جدًّا.

أكمل "مالكوم":

- تحب اليوجا وما شابهها كثيرًا.. لا أعني السخافات الروحانية مثل "الشاكرا" وكل هذا الهراء، بل التمارين فقط.

ردت "جين":

- يوحي شكلها بأنها تتمتع بصحة جيدة.

استمرت "جين" في المشي في الطريق نفسه حتى بعد مرور عامين على سفر "مارييل" و"أنطون"، تصعد أحد جوانب رصيف الطريق وتقطعه ثم تنزل من الناحية الأخرى. أفلس المطعم الهندي، ويبدو أن حريقًا شب بالحانة، أما محل الآنية الخزفية الذي صمد في مكانه فترة طويلة فلم يعد هناك، وحل محله متجر يبيع مكملات غذائية لكمال الأجسام. كان هناك أيضًا مكتب سمسار عقاري جديد، يعلق صور بحجم 3×3 لمنازل جديدة على واجهة عرضه. كانت هناك أيضًا صيدلية جديدة. وقفت "و7" بالداخل في قسم "و7"؛ وهي علامة تجارية لمستحضرات تجميل اقتصادية السعر، وكانت منتجاتها مصفوفة بطول الصيدلية كالعديد من

شبيهاتها من العلامات التجارية الأخرى. وقفت "و7" حاملة الحقيبة المرصعة بالحلي الفضية نفسها، ولكن عندما اقتربت "جين" لاحظت أن بعض تلك الحلي قد سقط، ورأت بعض الخيوط المفكوكة التي كانت تربط تلك الحلي في مكانها. لم ترتدِ "و7" الأحذية الرياضية مثل "الشراع الأسود" أو الأحذية ذات الكعب العريض مثل "إناكين"، بل كانت دائمًا ترتدي الكعب العالي. كانت "و7" تضع ألوان ظل الأعين على ظهر كفها؛ ألوانًا مثل الأخضر الداكن والبنفسجي والبني، تلك الألوان التي تشبه ألوان الكدمات. فكرت "جين" في شراء فرشاة رموش كبيرة من ماركة "ميبيلين" في القسم المجاور لـ"و7". انتقلت "و7" إلى أقلام رسم العين السائلة، ورسمت شكل الرقم ثمانية "8" باستمرار على رسغها باستخدام أحد الفرش المنمنمة. استطاعت "جين" أن ترى قماش حجاب "و7"، والتفافته وخيوطه، والثقوب التي نتجت عن استخدام الدبابيس في تثبيته. ارتدت "و7" بنطالًا، ورغم دكانة لونه استطاعت "جين" أن تلاحظ ابتلال بوصة أو اثنتين من طرفه السفلي، والذي أكد على أنها مشت على الشاطئ. وقع أحد أقلام الأعين من يد "و7"، فانحنت "جين" لالتقاطه. أخذته منها "و7" وابتسمت لها وأعادته إلى مكانه.

تساءلت "جين":

- لا أظنك جائعًا، أليس كذلك يا "مالكوم"؟ ربما تريد البقاء واحتساء الشاي؟ من الأفضل أن تبقى. لقد ذهبت للتسوق أمس.. لديَّ بعض المشروبات اللذيذة.

رد "مالكوم":

- لا، سأرحل بعد قليل. إنها مجرد زيارة عابرة.

قالت "جين":

- حسنًا.

قال "مالكوم":

- هل ذكرتني "مارييل"؟

لم تتذكر "جين".

كرر "مالكوم":

- هل ذكرتني أو قالت أي شيء عني؟

ردت "جين":

- بالتأكيد.

رد "مالكوم":

- ربما يجب أن أعود للمحكمة ثانية، وأحاول أن أوكِّل محاميًا محترفًا يستطيع أن يحول حياتها إلى كابوس.

أكمل "مالكوم":

- الرب وحده يعلم تلك الأفكار التي ستنتقل إلى هذا الولد. لن يتعرف عليَّ بعد مرور سنة بحق السماء، هذا إن كان يعرفني الآن من الأساس.

قالت "جين":

- قد يعودان يومًا ما.

رد "مالكوم":

- نعم، وكأن أحد يصدق هذه الأكذوبة.

قالت "جين":

- يجب أن تزورهما ثانية، ربما الصيف القادم. أنا واثقة أن هذه المرة ستكون أفضل من سابقتها.

رد "مالكوم":

- نعم، يا لكرم "مارييل".. تمنحني فرصة رؤية ابني.

صمتت "جين".

أردف "مالكوم":

- حسنًا، على العموم إنها زيارة عابرة كما قلت.

قالت "جين":

- هل يمكنك إلقاء نظرة على غرفتك بالطابق العلوي قبل أن ترحل؟ أحاول أن أنظم بعض الأغراض، وهناك بعض الصناديق في غرفتك.. لا أريد أن أتخلص من أشياء قد تود الاحتفاظ بها.

قال "مالكوم":

- وكأنني يجب أن أشعر بالعرفان لفرصة رؤية ابني.

ثم هز رأسه وقال:

- هيا نلقي نظرة على تلك الأغراض.

اعتادت "جين" النظام اليومي للأحداث التي تقع على الطريق المجاور لمنزلها. صارت مغادرة "و7" للمنزل في الصباح الباكر وعودتها بعد الظهر حاملة حقيبة يبدو أنها حقيبة "لابتوب"، من الحقائق الكونية. تغادر "إناكين" و"الشراع الأسود" المنزل تقريبًا في الساعة السابعة والنصف في معظم الأيام، أحيانًا سيرًا على الأقدام، وأحيانًا أخرى يقُدن

السيارة. أحيانًا يعدن بأغراض اشترينها، وأحيانًا أخرى بلا شيء. يغادرن المنزل جميعًا ظهيرة الجمعة وقت شرب شاي الظهيرة، ويعدن في المساء.

دائمًا ما كانت تفتح الستائر على أساس نظام صارم؛ أولًا في الغرف العلوية، والتي توقعت "جين" أن تكون غرف "إناكين" و"و7"، ثم ستائر الدور الأسفل. تخيلت "جين" أن "الشراع الأسود" قد أخذت الغرفة الخلفية على مضض لأنها الأصغر مساحة، ولكنها في الواقع راضية عنها لأنها مشمسة في الظهيرة، وتطل على الحديقة الخلفية. كانت "جين" تستطيع التعرف على هوية من تفتح الستائر؛ إن كانت "و7" فمن السهل رؤيتها لأنها تقف أمام الستائر كي تغلقها، أما "إناكين" فلا تراها أبدًا.

دائمًا ما كانت "الشراع الأسود" مختفية أيضًا، إلا أن "جين" كانت تستطيع التعرف عليها من طريقتها في جذب الستائر بعنف. في صباح أحد أيام الشهر الماضي، ظلت الستائر مغلقة في إحدى غرف الطابق العلوي، واستمرت على هذه الحال لمدة يومين. وبعد ذلك، ظلت ستائر الغرف الأخرى مغلقة أيضًا. ظنت "جين" أنهما ربما يكونان مرضى، فتركت منزلها وسارت على الطريق الموازي لمنزلهما كي تراه من الناحية الخلفية، وهناك رأت أن ستائر الغرفة الخلفية مغلقة هي الأخرى. سألت "جين" نفسها ما إذا كانت تستطيع مساعدتهما، ثم قررت أن تعلق كيسًا على باب المنزل يحتوي على رغيف من الخبز ولتر من الحليب. نقرت الجرس، والذي أحدث ضجيجًا غير متوقع وطويلًا ومعقدًا. لمست "جين" أوراق أحد نباتات "إناكين" على الباب وهي في انتظار سماع وقع أقدام، ولكن لم يأتِ أحد للباب. ظل الكيس معلقًا على الباب حتى اليوم التالي. هل يجب أن تسترجعه؟ انتظرت "جين" حتى انتصف اليوم، ثم ذهبت

لتسترجعه. كانت الأمطار قد هطلت، وتجمعت في جوانب الكيس. استرقت النظر من شباك حجرة المعيشة وهي تمر بجواره. كانت هناك أريكة كبيرة، بدا القماش الذي يغطيها ناعمًا، قد يكون قماش القطيفة المضلعة.. وهناك العديد من الأغراض المتناثرة على الأرض.. مجلات وأحذية. تخيلتهما تضحكان على أمر ما، مستلقيات على الأرض وأرجلهما على الأريكة. سرت "جين" لانفتاح ستائر الغرفة الأمامية اليمنى اليوم التالي، ثم ظهرت "و7" حاملة حقيبة اللابتوب. احتاجت "إناكين" للقليل من الوقت الإضافي حتى تتغلب على سبب غلق الستائر أيًّا كان، لأن ستائر غرفتها ظلت مغلقة لبضعة أيام أخرى.

ولكن اسم "إناكين" لا يعني "أمًّا". كان هذا اكتشافًا غير متوقع. ذهبت "جين" الشهر الماضي للطبيب، لأنها كانت قد بلغت هذه السن التي تستطيع فيها الحصول على تطعيم الأنفلونزا مجانًا. شعرت أنها مضطرة للذهاب لأن مكتب الطبيب أرسل لها خطابًا. كانت حجرة الانتظار مزدحمة، وكلما رن الجرس الذي يسمح بدخول المريض التالي كانت رؤوس الجميع تدور باحثة عنه. تسببت تلك السيدة التي حاولت دفع عربة طفلين توأم من الباب في حدوث ضجة، وكذلك هذا الرجل الذي كان يرتدي معطفًا أصفرَ، ويغطي إحدى عينيه بضمادة. دُهِشَت "جين" لظهور "و7". نظر الناس إليها ثم إلى بعضهم بعضًا للحظات كما فعلوا مع سابقيها، ثم عادوا لقراءة المجلات الرخيصة أو مشاهدة التليفزيون. ليتها "الشراع الأسود" هي من اقتحمت المكان، بكامل زيها، وعيناها تتساءلان "ماذا هناك؟ ماذا هناك؟ ألديكم أي اعتراضات؟".. منظر يستحق المشاهدة. ولكن "و7" لم تنضم

للمنتظرين، بل ذهبت لتتحدث لأحد موظفي الاستقبال، وبدا لـ"جين" أنها انتقلت بعد ذلك للمكان المخصص للأطباء.

قالت الممرضة التي أعطت "جين" الحقنة إن العيادة مزدحمة جدًّا صباح اليوم، لأن الكثيرين يتدفقون إليها عندما يتم إرسال تلك الخطابات للناس.

أكملت الممرضة:

- ولكن الوقت يمر سريعًا.

أنزلت "جين" كُم قميصها.

حاولت أن تضفي نبرة مرحة على صوتها وهي تقول:

- لاحظت أيضًا استقبالكم لسيدات يرتدين الحجاب.

ردت الممرضة:

- ماذا؟

ردت "جين":

- إحدى تلك السيدات اللاتي يرتدين الحجاب.

قالت الممرضة:

- آه، نعم، تلك الفتاة الصغيرة؛ إنها مترجمة اللغة الصومالية. يجب علينا أن نطلبهم هذه الأيام، ولكن يأتي مترجمون آخرون صباح أيام مختلفة.

ردت "جين":

- فهمت.

قالت الممرضة:

- هكذا صار الوضع هذه الأيام. سيأتي عدد من المرضى الصوماليين هنا بعد قليل.

ردت "جين":

- تغير الزمن.

عند مرور "جين" بمكتب الاستقبال في طريقها للخارج رأت "و7" تجمع بعض السجلات الطبية هناك.

قالت "جين":

- من فضلك.. لو سمحت.

رفعت "و7" عينيها إليها. رأت "جين" الكحل المسحوب فوق عينيها.

قالت "جين":

- أردت فقط أن أقول..

جاءت إليها موظفة الاستقبال متسائلة:

- ماذا هناك يا عزيزتي؟

ردت "جين":

- اممم.. كل ما في الأمر.. من المفترض ألا أدفع شيئًا، أليس كذلك؟

ردت الموظفة:

- بالطبع لا يا عزيزتي. إن التطعيم مجاني لمن تجاوزوا سن الخامسة والستين.

عندما عادت "جين" للمنزل، جلست أمام الكمبيوتر وكتبت "إناكين" لتبحث عن ترجمته من الصومالية إلى الإنجليزية. لم يكن معناها "أمًّا" أو "ماما". كان معناها "هيا بنا"، ولكن "إناكين" كانت قد صارت "إناكين" على أي حال الآن، ولم تكن "جين" على استعداد للبحث عن اسم جديد يناسبها.

- كنت فقط أريد أن أقول إنني أسكن المنزل المقابل لمنزلكم.

قال "مالكوم" ممسكًا كرة "رجبي" مفرغة من الهواء:

– لا أريد من تلك الأغراض في الغرفة العلوية إلا هذه. لقد اشتراها لي أبي. تخلصي من الباقي.

ردت "جين":

– حسنًا.

قال "مالكوم":

– أشعر بالحزن الشديد لأن أبي لم يعش حتى يرى حفيده.

ردت "جين":

– نعم، ولكن لا نستطيع تغيير الواقع.

أكمل "مالكوم":

– إنه واقع مؤسف حقًّا. لم يكن كل هذا الهراء حول كندا ليسر أبي، لا أظن هذا. ماذا قد يكون رأيه إن كان حيًّا؟

ردت "جين":

– أظنه كان سيرى أن الوضع ليس مثاليًّا.

قال "مالكوم":

– لا أظن أنه كان سيعجب بـ"مارييل" كثيرًا. لا أدري لمَ أعجبت أنا بـ"مارييل" كثيرًا.

أكمل "مالكوم":

– إذًا، من كان الرابح؟

ردت "جين":

- رابح ماذا؟

قال "مالكوم":

- هذا الموضوع الذي كنت تتحدثين عنه.. المسابقة.. تلك التي أخفقت فيها.

قالت "جين":

- آه، المسابقة. كان هناك العديد من الصور التي تستحق الإشادة، العديد حقًّا. حصلت صورة كوخ قديم في "دونيجال" على المركز الثالث، أما المركز الثاني فذهب لصورة مقرَّبة لجانب وجه رجل، والأول حصدته صورة لقلعة "كاريك". كانت صورة لامرأة في قلعة "كاريك" والتقطها أحد أعضاء النادي؛ الذي كنت عضوة فيه.

رد "مالكوم":

- امرأة في قلعة "كاريك".. ما هذا الهراء! تلك هي الصورة الرابحة؟!

قاد "سام"؛ مدرب التصوير "جين" و"آنجي" المطلقة إلى قلعة "كاريك" في رحلة نادي التصوير إلى هناك. جلس "سام" و"آنجي" في المقاعد الأمامية وجلست "جين" في المقعد الخلفي. استمعت "جين" إلى "سام" وهو يتحدث عن عمله في كلية الفنون. زوجته تعمل هناك أيضًا. ترقت "آنجي" إلى درجة جديدة في الخدمة المدنية.. ترقية غيرت كل شيء. ارتدت "آنجي" حذاء ذا كعب عالٍ وذا رباط معقد، لم يكن أفضل اختيار للسير على الأرض الحجرية للقلعة أو الممرات المتعرجة. رأت "جين" الحذاء و"آنجي" تتجه إلى لسيارة. كانت هناك مشكلة في الكاميرا الخاصة بها. هل يمكن لـ"سام" أن يحلها؟

استطاعت "جين" أن ترى لمعان ركبة "آنجي" من خلال الفراغ بين كراسي السيارة، وأن يد "سام" كانت قريبة جدًّا من ركبة "آنجي". نسيا وجودها في المقعد الخلفي. أدركت "جين" أن "سام" لا يرى إلا الخطوط البيضاء على الطريق عندما نظرت إلى عينيه في المرآة الخلفية.



مراقبة



- مشكلة أمثالها؛ أمثال "كيم كاسيلز" أنهم يظنون أنفسهم منقطعي النظير.

كانت والدة "كاث" تكوي قميصًا. ضغطت أعلى الكم عند الكتف مع السوار كي يظهر خط الكي واضحًا، وأردفت:

- ولكنهم ليسوا كذلك.

وضعت المكواة جانبًا، ثم كررت الخطوات نفسها مع الكم الآخر. أرادت "كاث" أن تعرف المزيد، فتساءلت:

- ماذا تعنين؟

ردت والدتها:

- يظن أمثالها أن العالم مدين لهم، ولكن العالم لا يدين لهم بشيء، ولا يكترث بأي شكل بجمال وجههم اليوم أو في الماضي.

شعرت "كاث" بنوع من أنواع الرضا عن العالم لعدم اكتراثه بمثل تلك الأمور. كانت "كيم كاسيلز" والدة أعز صديقات "كاث"؛ وهي "لورين". دائمًا ما كان يشار إليها باسم "كيم كاسيلز"، لا "كيم" أبدًا. كان على "لورين" أن تغسل ملابسها بنفسها، فلا يتطلب تحريك مؤشر الغسالة أي نوع من العبقرية، كما قالت لها "كيم كاسيلز". عندما زارت "كاث" و"لورين" وسط المدينة يومًا قالت "لورين" إنها بحاجة إلى بعض مفروشات غرفة النوم. تساءلت "كاث":

- من أين تظنين أنك ستشترين شيئًا كهذا؟

ردت "لورين":

- إنها موجودة في العديد من المحلات، أنت فقط لا تعرفينها.

قالت إنها بحاجة إلى ملاءة سرير مشدودة، واضطرت أن تشرح لـ"كاث" ماهية ملاءة السرير المشدودة. دائمًا ما كانتا تذهبان إلى مطعم "تشيب تشوب" في وسط المدينة إذا أرادتا تناول الطعام، وتتحدثان عن آخر مقالب الطلبة المتمردين بالمدرسة. تذهبان إلى مدراس مختلفة، لكن تقابلان الشخصيات نفسها؛ شديد الطموح، والفتاة مزدوجة الميول الجنسية (لا ليست مثلية، بل مزدوجة الميول الجنسي)، والطالب الذي لا يتوقف عن نشر الإشاعات. في أحد الأيام كانتا في "تشيب تشوب"، وقد تحدثتا عن كل شيء يحدث في المدرسة، فتوجهت دفة الحديث إلى "كيم كاسيلز". جلست مجموعة من الأولاد هناك في اليوم نفسه، وانشغلوا بتحميل نغمات إباحية على هواتفهم، وظلوا يتصلون ببعضهم بعضًا فقط كي يسمعوا صوت تصاعد الشهقة الأنثوية المطولة. قالت "لورين" إن لوالدتها صديقًا جديدًا. لم يكن خبرًا استثنائيًّا، لأن "كيم كاسيلز" دخلت في الكثير من العلاقات منذ بداية صداقتهما. كان أحدهم مندوب تسويق عقاري، والآخر محاسبًا، أما الثالث فكان لاعب كرة قدم في نادٍ محلي. ظهرت صورتها مع هذا الأخير في إعلان إطلاق مشروب الـ"فودكا" في الصحيفة. كانت دائمًا ما تذهب إلى وسط المدينة لتناول الطعام مع أحدهم ليلة عيد الحب. رأى والد "كاث" أن من يقضون ليلة عيد الحب في وسط المدينة هم فقط الأغبياء الذين يبحثون عن الجنس.

أكملت "لورين":

- نعم، اسم هذا الشاب الجديد هو "ستيوارت".

تساءلت "كاث" عن شكله. هزت "لورين" كتفيها وقالت:

- عادي، شاب عادي. يقضي الكثير من الوقت بمنزلنا.

أغلقت علبة الـ"نودلز" الورقية الخاصة بها، واستطردت:

- سآكل الباقي لاحقًا. هذا الشاب أصغر بعض الشيء من بعض سابقيه؛ هو في السادسة والعشرين.

قالت "كاث":

- هذا ليس فارقًا كبيرًا في السن.

ردت لورين:

- سنه أقرب لسني، لا لسنها.

دفعت "لورين" علبة الـ"نودلز" على الصينية أمامهما على الطاولة، وقالت:

- أشعر بالشبع التام، لا أستطيع أن آكل أكثر من هذا.

ردت "كاث":

- ربما يجدر بنا أن نذهب، لأنني حقًّا سئمت صوت هذه النغمات.

قابلت "كيم كاسيلز" صديقها "ستيوارت" في "الجيم" المحلي. لا يخفى ولعها بالتمارين الرياضية، فمجرد نظرة خاطفة لقوامها تشي بهذا. دائمًا ما شعرت "كاث" أنها قبيحة عندما تقارن نفسها بـ"كيم كاسيلز". أحضرت إلى المنزل أجهزة رياضية لتكمل تمارينها بالمنزل، وكانت تمارس الجري مساء معظم أيام الأسبوع. ولديها برطمانات بيضاء تملؤها مكملات البروتين الغذائية وتصطف في المطبخ، أما في غرفة المعيشة فوضعت أثقالًا يدوية مختلفة الأوزان. كانت تختار الإقامة في فنادق بها صالة ألعاب رياضية إن سافرت في إجازة، ودائمًا ما تسافر مع أصدقائها وتترك مسؤولية رعاية "لورين" لهذا أو ذاك. تختار منتجعات

للكبار فقط، فـ"كيم كاسيلز" لا تقضي عامًا في العمل الشاق كي تقضي مقابله أسبوعًا تنزعج فيه من صراخ أطفال النزلاء الآخرين.

قالت "لورين" لـ"كاث" وهما تترجلان من الباص في طريقهما للمنزل إن هناك أمرًا تريد أن تخبرها إياه، ولكنه بالغ السرية. كثيرًا ما قيل هذا لـ"كاث" من قبل، مما يرفع من سقف توقعاتها، ولكن دائمًا ما يكون أمرًا تافهًا تمامًا. عمومًا من السهل دومًا كبت السر إن كان لا يهم أحدًا. قالت "لورين":

- حسنًا. إنه "ستيوارت".

ردت "كاث":

- صديق والدتك؟

قالت "لورين":

- نعم. كل ما في الأمر أنني قبَّلته وحدثت بعدها أشياء أخرى.

ردت "كاث":

- حسنًا.. رباه.

كانت "كاث" مهتمة بمعرفة المزيد عن "الأشياء الأخرى" التي حدثت بينهما. تساءلت:

- هل هو وسيم؟ أعني هل هو جذاب جدًّا؟

فكرت "لورين" ثم ردت:

- ليس جذابًا كالمشاهير، بل هو جذاب نوعًا ما.. كشخص عادي. إن سنه أقرب من سني مقارنة بسن أمي.

لم تقل "كاث" لصديقتها إنها أخبرتها بذلك من قبل بالفعل.

قالت "لورين":

- كانت إحدى تلك اللحظات العفوية.

كانت "لورين" تنزل السلم، في أثناء صعوده هو، فتحركت للجانب كي تفسح له المجال للمرور، فتحرك في اللحظة نفسها، فضحكا كما هو متوقع عند حدوث هذا الموقف، ثم وضع يده على مؤخرة رأسها (أشارت "لورين" إلى صديقتها على المكان بالتحديد)، ثم جذبها ناحيته وحدث ما حدث. قالت "لورين" إنها كانت ترتدي رداء النوم. رأت "كاث" هذا الرداء من قبل، وتذكر أنه منقوش كالسجاد وله غطاء رأس. قالت "لورين" إنها لم تكن ترتدي أي ملابس تحته، لأنها كانت قد انتهت من الاستحمام لتوها. كانتا قد وصلتا إلى منزل "لورين". تساءلت "كاث":

- ماذا حدث بعد ذلك؟ هل واصلت نزول السلم وواصل هو صعوده؟

ردت "لورين":

- نعم، فقد كان متوجهًا إلى الحمام، وكنت أنا ذاهبة لإحضار كوب من الماء.

قالت "كاث":

- ماذا عن والدتك؟ ماذا سيحدث إن علمت؟

خَلُصت "كاث" لاحقًا إلى أن معظم الرجال إن كانوا في موضع الاختيار سيختارون قضاء ليلة مع "كيم كاسيلز" لحسن مظهرها، لا "لورين". هكذا ظنت "كاث" رغم أن معرفتها بالرجال كانت نظرية إلى حد كبير. قد تتصف "لورين" باللطف، فهي ليست بغيضة كوالدتها إطلاقًا، ولكن

قد لا يهم اللطف كثيرًا على المدى القصير. لكن لمَ الاختيار بين "كيم كاسيلز" أو "لورين" من البداية؟ قد يكون من الخطأ افتراض وقوع الاختيار على إحداهما فقط، فربما يختار الرجال كلتيهما إن سنحت الفرصة كما فعل هذا الشاب "ستيوارت".

حدقت "كاث" إلى والدها الجالس على الأريكة، حاولت أن تنظر إليه وكأنها المرة الأولى، وتساءلت عما إذا وجدته إحدى زميلاتها في المدرسة جذابًا. قد يحدث هذا إن كان مليونيرًا، أو ربما مليارديرًا، لكن دون إغراء الثراء الفاحش فهي لا تظن أن أحدًا سينجذب إليه. تدرج لون سوالفه من البني إلى الأبيض، وصار البنطال الرياضي الذي بدأ يرتديه في المنزل ممطوطًا من الأسفل، وكأنه جني مسترخٍ في منزله.

سألته "كاث":

– أبي، هل كانت لك صديقات كثيرات قبل أن تتزوج؟

رد والدها:

– لا أذكر.

أصرت "كاث":

– بالطبع تذكر. فكر، هل كانت لك صديقات كثيرات قبل أن تتزوج؟

أعاد والدها التفكير، وقال:

– لا، ولكن ربما كان لديَّ. غالبًا نعم. لماذا تسألين؟

ردت "كاث" بأنه مجرد سؤال طرأ على ذهنها.

استطرد قائلًا:

– لقد قابلت والدتك وانتهى الأمر!

لم يقل "انتهى الأمر" بالكثير من الحماسة، لأن تركيزه كان منصبًّا على فيلم في التليفزيون. كان هناك مشهد لسيدة ذات شعر بني طويل جالسة إلى مكتب تفكر في أمر ما. تساءلت "كاث":

- هل ترى تلك السيدة جميلة؟

رد والدها:

- أظنها متوسطة الجمال، ليست قبيحة إطلاقًا.

صعدت "كاث" إلى غرفتها بالطابق العلوي لتنام، وعلى الرغم من أنها لم تكن بحاجة إلى النزول ثانية، فإنها نزلت فقط كي تجرب الوقوف على السلم، وأمالت رأسها جانبًا، متخيلة شخصًا واقفًا على درجة السلم أسفلها، ولكنه لا يزال أطول منها. وضعت يدها على رأسها وفتحت شفتيها بعض الشيء.

جاء صوت والدها من أسفل الدرج قائلًا:

- ماذا تفعلين؟ إلام تنظرين؟

ردت:

- لا شيء، كل ما في الأمر أنني ظننت أن هناك شرخًا في السقف.

قال والدها:

- السقف؟ هل أنت جادة؟

صعد والدها السلم مسرعًا وهو يخطو درجتين في كل خطوة، ونظر إلى السقف فلم يرَ إلا جبسًا أبيضَ ناعمًا. قال:

- لا، لا يوجد شرخ في السقف، يبدو أنك تعانين من التهيؤات.

تظاهرت "كاث" بأنها في حاجة إلى كنزتها الصوفية التي كانت قد أعارتها لـ"لورين" منذ بضعة أشهر كي تزور منزل صديقتها.. فقط لأنها أرادت رؤية "ستيوارت". قالت "لورين" وهي تصعد السلم إلى غرفتها:

– تبًّا، هل حقًّا تحتاجين إلى هذه الكنزة؟ أتمنى أن أجدها.

كان التليفزيون مفتوحًا رغم خلو غرفة المعيشة، وكان أحد الأثقال الرياضية متروكًا وسط سجادة الغرفة. اقتربت "كاث" منه وجربت حمله. لم يكن هناك أحد في المطبخ أيضًا. ربما يأتي "ستيوارت" ليلًا، أو ربما لن يأتي إطلاقًا. لم يترك علامة على وجوده، كمعطف على أحد مقاعد طاولة المطبخ، أو حقيبة رياضية في الصالة. كانت سيارة "كيم كاسيلز" واقفة في الطريق الخاص المؤدي إلى الجراج، ولكن لا علامة على وجودها هي الأخرى في المنزل سوى من بنطال رياضي من قماش "الليكرا" معلق على درابزين السلم. التقطته "كاث" ولاحظت قصره؛ بالكاد وصل إلى أسفل الركبة. ثم انفتح باب الحمام وظهرت "كيم كاسيلز" وقد لفت جسدها بمنشفة. قالت "كاث":

– مرحبًا.

كانت بشرة "كيم كاسيلز" لا تزال مبتلة. لاحظت "كاث" قطرات المياه على كتفها، ورأت على ذراعها ندبة مُستديرة، تلك التي تتسبب فيها الحقنة التي كانت تُعطى للناس في الماضي. كان أيضًا لديها وشم نصي على كتفها، وعندما استدارت قرأته "كاث": "لا يحكم عليَّ إلا الرب". شخصية قوية لا تهمها آراء البشر الفانين.

قالت "كيم كاسيلز":

- "لورين"، أين مجفف الشعر الخاص بي؟

سارعت "لورين" إلى غرفتها، وأحضرت المجفف الذي أحاطت به سلكه بعناية، وقالت:

- آسفة، لقد استعرته صباح الأمس، وكان يجب عليَّ أن أعيده.

جلست "كاث" على فراش "لورين" والأخيرة تبحث عن هذه الكنزة التي لا تكترث بها "كاث" في الواقع إطلاقًا. كانت "لورين" تحتفظ بصناديق بلاستيكية مليئة بالملابس تحت فراشها، بجانب زينة عيد ميلاد قديمة، وتلك الديكورات التي تشبه الثلج، وشجرة عيد ميلاد مصغرة تعمل بالكهرباء. اعتادت "لورين" تزيين غرفتها بديكورات بسيطة وقت عيد الميلاد، لأن "كيم كاسيلز" تقريبًا لا تحتفل به. فجأة تصاعد صوت مجفف الشعر من الغرفة المجاورة عندما رفعت من سرعته. لم يفصل بين غرفتي "لورين" و"كيم كاسيلز" إلا حائط، وكانت حوائط المنازل بشارع منزل "كيم كاسليز" رفيعة، بنيت فقط من الألواح الجبسية. دُهنت حوائط غرفة "كيم كاسيلز" باللونين البنفسجي الفاتح والرمادي. استرقت "كاث" نظرة إلى الغرفة من أسفل السلم.

سألت "كاث" صديقتها:

- إلى أين سيذهب الجميع الليلة؟

قالت "لورين" إنهم سيخرجون لشرب النبيذ في حانة جديدة.

تساءلت "كاث":

- من "هم"؟

ردت "لورين":

- والدتي و"ستيوارت" بالطبع.

سحبت "لورين" الكنزة من أحد الصناديق البلاستيكية، وقالت:

- وجدتها! إنها في حال سيئة.

قالت "كاث":

- لا يهم، لا تشغلي بالك.

قالت "لورين" إنها بحاجة إلى القيام ببعض الأعمال، وإن مدرستها الجديدة في المدرسة الجديدة دائمًا ما تطلب منهم تحضير الدروس قبل شرحها في اليوم التالي.

قالت "كاث" إن هذه الكنزة عملية بالفعل، فهي تناسب الكثير من قطع الملابس.

ردت "لورين":

- آسفة على حالتها السيئة.

تساءلت "كاث":

- هل يمكن كي الصوف؟ أم لا يجب كيه؟ لا أدري إن كانت هذه الكنزة من الصوف أصلًا، قد تكون من قماش آخر.

ردت "لورين":

- لست أدري حقًّا يا "كاث".

رن جرس الباب. صاحت "كيم كاسيلز" من غرفتها:

- جرس الباب!

استمرت "كاث" في البحث عن البطاقة اللاصقة بالكنزة التي تشير إلى نوع القماش، رغم أنها كانت قد وجدتها بالفعل، ووجدت أنها مصنوعة من مزيج من النايلون والأكريليك/ الفسكوز. رن جرس الباب ثانية. لم تدخل "كاث" مطلقًا من باب المنزل الأمامي في أي من زياراتها غير المنتظمة لمنزل "لورين"، بل كانت تدخل من الباب الخلفي دائمًا، فقد كان مفتوحًا معظم الوقت.

صاحت "كيم كاسيلز" ثانية:

- افتحي الباب يا "لورين"! ما زلت أضع المكياج!

وضعت "لورين" الكتاب الذي كانت تمسكه، ونزلت السلم تتبعها "كاث". بدا الشخص الواقف على الناحية الأخرى من الباب وكأنه شبح عديم الملامح، لونه مزيج من الأبيض والأزرق من خلف الباب الزجاجي خشن الملمس. صاحت "كيم كاسيلز" للمرة الثالثة:

- "لورين"!

أدارت "لورين" المفتاح، ثم فوجئت "كاث" أنها هرولت إلى الطابق العلوي ثانية، تاركة "كاث" واقفة أمام الباب الأمامي المفتوح جزئيًّا. لم يتحرك الشخص الواقف خارجًا والذي تمنت "كاث" أن يكون "ستيوارت" ليدفع الباب. انتظرت "كاث" بضع ثوانٍ، ثم قررت أن تمسك مقبض الباب وتفتحه. فعلتها ببطء، لتجد أمامها رجلًا طوله تقريبًا متر وثمانون سنتيمترًا، يرتدي بنطال جينز أسود و"تي شيرت". هل حلق شعره مؤخرًا؟ كان شعر أحد جانبي رأسه حليقًا. نظرت "كاث" إلى حذائه الرياضي، الذي كان نظيفًا تمامًا بصرف النظر عن بقعة سوداء على

تلك المنطقة الفاصلة بين جلد الحذاء وكعبه ناحية إبهام قدمه اليُمنى. لم يكن الجو دافئًا، ومع هذا فهو لم يرتدِ معطفًا.

قالت "كاث":

- مرحبًا.

أومأ برأسه سريعًا، وقال:

- مرحبًا؟

قالت "كاث":

- نعم، أنا مجرد صديقة.

رد "ستيوارت":

- حسنًا.

قالت "كاث":

- أؤكد لك فقط أنك في العنوان الصحيح، حسنًا؟

رد "ستيوارت":

- نعم، أعلم هذا.

أدركت "كاث" أنها لم تفتح الباب بشكل كافٍ ليسمح له بالدخول، فتراجعت خطوة إلى الخلف، وفتحته على مصراعيه، حيث التصقت بالحائط كي يحظى هو بالمساحة الكافية لدخول الصالة. نزلت "كيم كاسيلز" السلم بخطوات متأنقة قصيرة. كانت ترتدي فستانًا قصيرًا أزرق، وحذاءً ذا كعب عالٍ، ومعطفًا يبدو مصنوعًا من الجلد، إلا أنه في حقيقة الأمر مصنوع من مادة لامعة فقط. أدركت "كاث" هذا لأن المعطف لامسها عندما أحاطت "كيم كاسيلز" بذراعيها رقبة "ستيوارت" وقبلته.

أخذت "كاث" خطوات أكثر للوراء. وضع "ستيوارت" ذراعيه حول خصر "كيم كاسيلز"، ثم تحركت يده إلى الأسفل لترفع جزءًا من الفستان الشفاف الأزرق، لدرجة أن "كاث" رأت بضع السنتيمترات من ردفها العاري. قال "ستيوارت":

- هل تأخرت؟

ردت "كيم كاسيلز":

- لا، ولكني سعيدة لرؤياك.

لاحظت وجود "كاث" فخاطبتها:

- ماذا تفعلين؟ لماذا تقفين هناك؟

ردت "كاث":

- أنا واقفة هنا يا "كيم" لأنني نزلت لفتح الباب بينما تجففين شعرك.

منذ بضعة أسابيع لم تكن لتتحدث لـ"كيم كاسيلز" هكذا.

قالت إنها كانت على وشك الرحيل على أي حال وصاحت مودعة "لورين". تذكرت أنها نسيت أن تأخذ الكنزة في منتصف طريقها للمنزل.

تم نقل "كاث" إلى "الكاشير" في وظيفتها التي تشغلها بدوام جزئي، وكان لهذا مزاياه، لأن رائحة شوَّاية الدجاج في قسم اللحوم الذي كانت تعمل فيه سابقًا كانت تعلق بملابسها. أحيانًا، كانت تشعر أن المحل ضخم الحجم وكأنه حظيرة معدنية كبيرة.. يراودها هذا الشعور عندما يكون فارغًا من الزبائن. كان النص ذو اللون البرتقالي المكتوب على صدر زيها سخيفًا، وكان عليها ارتداء قبعة "بيسبول".

قابلت "كاث" في عملها هذا ساعي المدرسة العجوز الذي يشتري كميات من طعام الكلاب، وسيدة تُدرِّس الفرنسية سابقًا وتطلق دائمًا الدعابات حول كم النبيذ في عربة التسوق الخاصة بها. كان هذا المحل هو الوحيد في المنطقة الذي يستطيع الناس أن يشتروا منه كل احتياجاتهم الأساسية. ظهرت "كيم كاسيلز" و"ستيوارت" في صف "الكاشير" الذي تعمل به "كاث" مساء أحد الأيام، في الوقت نفسه، دخل طائر للمحل. رفرف من جنب إلى جنب في سقف المحل، على ارتفاع عالٍ حيث يصعب الإمساك به. قال المشرف:

- يا له من لعين غبي.. ستتسخ الأرفف ببرازه.

طار الطائر بعنف باتجاه الحائط، ثم سقط ميتًا.

خاطبتها "كيم كاسيلز":

- إنه أنتِ.. لم أكن أعلم أنك تعملين هنا.

ردت "كاث":

- لم أكن أعلم أنني أعمل هنا أيضًا. فجأة وجدتني نفسي جالسة إلى هذه الماكينة، وهذا غريب جدًّا.. غريب جدًّا حقًّا.

لم ترد "كيم كاسيلز"، ووضعت باقي مشترياتها على السير الناقل. هذه الإضاءة الباردة البيضاء لا تُجَمِّل أحدًا أبدًا. ذكَّر لون شعر "كيم كاسيلز" البني الدهني عند الجذور والأبيض عند الأطراف "كاث" بلوني بيضة "كندر" المكسورة.. تدلى حجرا النرد المعلقان في العقد الذي كانت ترتديه على ذقنها عندما مالت بجسدها إلى عربة التسوق.

خاطبت "كاث" "ستيوارت" قائلة:

- مرحبًا، أنا من فتحت لك الباب منذ أيام.. أتتذكر؟ قبل أن تذهب إلى الحانة.

تظاهر "ستيوارت" بأن هوية "كاث" كانت تشغله، وأنه عندما عرف هويتها انزاح الهم عن صدره. قالت "كاث":

- نعم، أنا صديقة "لورين".

بدأت "كيم كاسيلز" في التحدث إلى "ستيوارت" بصوت منخفض بحيث لا تسمعه "كاث". وضعت ذراعها حول خصره وعلقت إحدى أصابعها في حلقة من حلقات حزام بنطاله الجينز. تم إدخال باقي المشتريات على جهاز "الكاشير"، وهي مسحوق غسيل ورغيف خبز وحزمة أكياس قمامة.

سألت "كاث":

- ماذا ستفعلين الليلة؟ أمرًا شائقًا؟

فتحت "كيم كاسيلز" حقيبتها لتبحث عن محفظة النقود. ردت:

- لا، لماذا تسألين.. هل تخططين أنتِ لأمر شائق؟

ردت "كاث":

- لست أدري.. سأنتظر.. الليلة لا تزال في بدايتها.

كانت هذه السخافة ممتعة جدًّا. لم تستطع "كيم كاسيلز" أن تجد محفظتها.

قالت "كاث":

- لا تقلقي يا "كيم"، خذي وقتك. أنا أيضًا مثلك، لا أجد أغراضي بسهولة أبدًا.

أخيرًا، وجدت "كيم كاسيلز" المحفظة، وناولت "كاث" الكارت الائتماني الخاص بها. تساءلت:

– أين الأكياس؟ قلت إنني بحاجة إلى أكياس.

لم تكن قد طلبت أكياسًا، لكن سحبت "كاث" مجموعة منها وقدمتها لها، وقالت:

– أنا آسفة جدًّا، تفضلي.

كانت أكياسًا رخيصة، ولكن كانت هناك أيضًا أكياس أمتن وأغلى عشرين قرشًا. مزق "ستيوارت" أحد الأكياس الرخيصة دون قصد وهو يحاول الفصل بينها. قالت "كاث":

– سأعطيك واحدًا آخر.

أومأ "ستيوارت" إلى "كاث" مودعًا إياها، أما "كيم كاسيلز" فلم تنظر باتجاهها. لاحظت "كاث" قلمًا أزرقَ من نوع "بيرو" في جيب "ستيوارت" الخلفي عندما ولَّى ظهره لها ورحل مع "كيم كاسيلز".

لم يشغل مطعم "تشيب تشوب" الموسيقى الراقصة المعتادة عندما زارته "لورين" و"كاث" المرة التالية، بل الموسيقى الصينية. علقت "كاث":

– لقد غيرت الموسيقى مذاق الطعام. أتفهمين قصدي؟ لقد حسنته.

كانت "كاث" في انتظار سماع الجديد عن "ستيوارت".

قالت:

– إذًا..؟

ردت "لورين":

- ماذا؟

قالت "كاث":

- كيف..؟

قالت "لورين":

- لا أفهم.

ردت "كاث":

- بل تفهمين تمامًا. هيَّا، أخبريني، كيف الحال؟

قالت "لورين":

- كيف حال ماذا؟

ردت "كاث":

- أفيقي يا "لورين"، وتوقفي عن هذا السخف.

أطلقت "لورين" تنهيدة طويلة. قالت "كاث":

- ما معنى هذا؟

هزت "لورين" كتفيها ونظرت إلى الفراغ، ثم خفضت عينيها إلى الجانب، ثم إلى الباب. حركت خصلة من شعرها إلى خلف أذنها، وعضت شفتها.

كانت قد صففت شعرها بشكل مختلف اليوم، ووضعت أحمر شفاه ذا لون جديد. لم يكن أرجوانيًا ولا ورديًّا. فكرت "كاث" أنها لا بدَّ تشعر بأنها جميلة الآن.. تظن نفسها جميلة لمجرد كونها على علاقة بشاب.. ربما قال لها إنها جميلة.

تنهدت "لورين" ثانية، وقالت:

- حسنًا.

أمسكت "كاث" زجاجة صوص الصويا وقرأت الملصق.. "صوص صويا طبيعية. 250 مللي. أكثر من 300 سنة من الجودة"، وخلف الزجاجة كُتبت المعلومات الغذائية.

قالت "لورين":

- كل شيء على ما يرام. أتعلمين؟ سيعطيني دروس قيادة.. أعني أنه سيساعدني على ممارسة القيادة، فهو ليس مدربًا محترفًا كي يعطيني دروسًا.

نشويات فيها نسبة من السكريات. ودهون فيها نسبة دهون مشبعة.

قالت "كاث":

- إذًا، هل مارست معه الجنس بالفعل؟ أم ليس بعد؟

ردت "لورين":

- نعم، منذ بضعة أيام.

قالت "كاث":

- منذ بضعة أيام؟ أين؟

قالت إنه حدث في المنزل. عادت إلى المنزل مبكرًا، وجاء هو. قالت إن احتمالية مباغتة والدتها لهما لم تؤرقها.

تساءلت "كاث":

- لِمَ لا؟

ردت "لورين":

- لأنها كانت في عملها. اسمعي، إنهما ليسا زوجين مثلًا، كما أن علاقتهما لم تبدأ منذ فترة طويلة.

قالت "كاث":

- ولو، هذه فكرة سيئة، قد تطردك من المنزل.

ردت "لورين":

- أستطيع أن أعتني بنفسي، لقد اعتنيت بنفسي لسنوات بالفعل.

ذهبت الفتاتان إلى السينما مع مجموعة من أصدقاء "لورين" في المدرسة. اختلف الجميع على الفيلم الذي سيشاهدونه، فانقسموا إلى ثلاث مجموعات. ذهبت "كاث" مع شاب وفتاة لم تقابلهما من قبل، واقتسموا جميعًا ثمن مشروب غازي كبير وفشار. كان الفشار بجوارها، أما المشروب الغازي فاستقر في الحامل على بعد مقعدين منها. لم ترد طلبه للمرة الرابعة بعد أن طلبته ثلاث مرات. كان للفشار طعم غير مستحب.. كان مالحًا جدًّا. أما الفيلم فكانت به لقطات لمناظر طبيعية كثيرة، ولم يكن مثيرًا، في هذه الظلمة ربما كان من الأحرى بها أن تكون وحدها.

استلقت "كيم كاسيلز" على الأريكة، وبيدها كأس نبيذ ومجلة. كانت ترتدي بنطالًا رياضيًّا قصيرًا ذا خامة حريرية وخفًا صوفيًّا. سألت "كاث" نفسها إن كان اسمرار بشرتها مصطنعًا باستخدام الصبغة أم نتيجة استخدام جهاز حمام الشمس الاصطناعي. قالت "كيم كاسيلز" وهي تشغل التليفزيون بجهاز التحكم عن بعد:

- لِمَ عُدتما؟ ظننتكما ستذهبان إلى منزلها.

قالتها وهي تومئ باتجاه "كاث". ردت "كاث":

- لا.

أردفت "لورين":

- لديهم ضيوف الليلة وهم مشغولون. ستقضي "كاث" الليلة هنا.

ردت "كيم كاسيلز":

- ستقضي الليلة هنا؟ هل لك أن تشغلي سخان المياه يا "لورين"؟ أريد أن أستحمَّ.

مدت ساقيها أمامها، ثم أعادت ضمهما أسفل جسدها.

تساءلت "كاث":

- "ستيوارت" ليس هنا الليلة؟

أدارت "كيم كاسيلز" عينيها حول الغرفة متظاهرة بالبحث عنه، ثم ردت:

- لا، لا يبدو أنه هنا.

ألقت المجلة على الأرض، ثم قالت:

- ألا تقابلا شبابًا جذابًا في وسط المدينة؟ أبدًا؟

قالت "لورين":

- لا، لم يكن هذا هو الغرض من الوقت الذي قضيناه معًا.

تساءلت "كيم كاسيلز":

- ماذا كان الغرض إذًا؟

ردت "كاث":

- قضاء مساء هادئ.

كان روب النوم الخاص بـ"لورين" معلقًا على شماعة الملابس خلف باب حجرة "لورين"، وقد بدا شبيهًا بملاك الموت تحت الإضاءة الخافتة. افترشت "كاث" أرضية حجرة "لورين" واستقر جزء من رأسها تحت المكتب. دفعت سلة المهملات الممتلئة بقطع القطن الرطبة والمناديل المبللة بعيدًا عنها قليلًا. تساءلت:

- هل تستخدم والدتك صبغة التسمير؟ أم تتردد على حمامات الشمس الاصطناعية؟ أم بشرتها سمراء بشكل طبيعي؟

ردت "لورين":

- حمامات الشمس الاصطناعية.. "بشرتها سمراء بشكل طبيعي".. يا لها من مزحة. تذهب إلى هذا الحمام الشمسي القريب من هنا، يقدم أَسِرَّة شمسية عالية الجودة. ألم تسمعي عنه؟ سُجن أحدهم لأنه كان يتلصص على الناس من ثقب المفتاح لأنهم جميعًا عُراة. من قد يريد رؤية مشهد كهذا؟ لا بدَّ أنه كان شخصًا بائسًا. سأطفئ النور.

كانت هناك رائحة دخان ملتصقة بفراش "كاث" المؤقت على الأرض، ربما لأنهم استخدموه من قبل في رحلة على قمة أحد الجبال حيث تساقطت عليهم قطرات الندى، وطبخوا طعامهم على اللهب المكشوف، ولا يحيط بهم شيء إلا الفراغ. ولكن هنا يوجد مكتب ومجموعة أدراج تستطيع "كاث" أن تلمسها بقدمها، وحوائط رفيعة، وحجرة أخرى مجاورة. جذبت الغطاء إلى وجهها. تحركت الساعة الرقمية ذات اللون الأحمر من 8 إلى 9، ولم يتطلب هذا إلا اختفاء خطين صغيرين في الرقم 8. سمعت صوت السخان.

استيقظت "كاث" الساعة 3:23 صباحًا على صوت طرق خفيف، صوت اختفى بالسرعة نفسها التي ظهر بها. ربما كان صوت المدفأة المركزية، أو صوت فرع شجرة يتحرك خلف النافذة. ولكن هل كانت هناك شجرة في الحديقة الخلفية من الأساس؟ كان هناك حبل يستخدم لتجفيف الملابس، لكن لا توجد شجرة. استندت "كاث" إلى المكتب. أصبح للصوت الآن طبقة جديدة، طبقة بشرية، وكانت لـ"كيم كاسيلز". كانت عينا "كاث" لا تزالان تعتادان الظلام، واستطاعت أن تميز حواف صورة معلقة على جدار الحجرة، وغطاء رأس روب النوم الخاص بـ"لورين".. لم تستطع أن تميز صوت "ستيوارت"، ولكن فقط "كيم كاسيلز". ثم أضيء مصباح وقطع ضوؤه ظلام الغرفة. كان أحدهم ذاهبًا إلى الحمام، ويبدو أنه "ستيوارت" من وقع أقدامه. بدا لـ"كاث" أن "لورين" قد وضعت وسادة على رأسها، ولكنها لم تكن متأكدة. نادتها "كاث":

- "لورين".

سمعت "كاث" صوت مياه تنظيف المرحاض، ثم انطفأ النور وعاد المنزل إلى وضعه السابق. لا بدَّ أنهما يحتضنان بعضهما الآن.

تلك الذرات التي تراها في الضوء هي أكثر ندرة من قوس قزح، فلا تراها إلا بين الحين والآخر: هي خيوط دقيقة من ملابس "لورين"، وسُترات "كيم كاسيلز" ذات غطاء الرأس، والجلد الميت، وذرات بالغة الصغر من الورق، والغبار الأبيض الذي يتركه الشامبو الجاف، والسكر المطحون الباقي من تلك الفطائر التي أكلوها منذ زمن، وكلها تتحرك في شعاع الضوء الرفيع المتسرب من بين الستائر. منزلهم مليء بتلك الذرات،

وجميعهم مغمورون فيها. استلقت "كاث" لعشر دقائق في الظلام بعد سماعها صوت مياه تنظيف المرحاض، ثم نهضت. بدا الواقي الذكري المعقود والطافي في المرحاض صغيرًا ووحيدًا نوعًا ما. لم ترد لـ"لورين" أن تراه، فأزالته.

وقف "ستيوارت" في الطابق السفلي ونصفه العلوي عاريًا. كان يقلي شرائح لحم الخنزير، ويعلق منشفة صغيرة في جيبه الخلفي. خاطبهما:

- هل تريدان بعضًا من هذا يا فتاتين؟

ردت "كاث":

- لا أمانع إن كانت الكمية تكفي.

هزت "لورين" رأسها، وجلست إلى الطاولة. لم يرتدِ "ستيوارت" البنطال الجينز نفسه الذي ارتداه سابقًا وهو يتسوق مع "كيم كاسيلز". كانت جيوب هذا البنطال أكثر انخفاضًا، وضيقًا أكثر حول كاحليه. هناك بقع صغيرة وردية على ظهره.. علامات حب شباب باهتة.. تُرى، هل هذه منذ عشر سنوات؟ انبعثت موسيقى راقصة من الراديو، وأخذ يحرك رأسه مع نغماتها، وهو يقلب شرائح لحم الخنزير في المقلاة. قال:

- هلا تضعين بعض شرائح الخبز هنا يا "لورين" من فضلك؟

ردت "لورين":

- فلتضعها أنت. لن آكل.

قال:

- وهل هذا يمنعك من وضع شرائح الخبز؟

قالت "كاث":

- لا عليك، سأضعها أنا.

حدق "ستيوارت" إلى خزانة المطبخ المفتوحة وتساءل:

- هل لديكم أي نوع صلصة هنا؟

كانت خزانة المطبخ خاوية تقريبًا، إلا من علبة بسكويت ناعم قديمة، وبضع العلب الصفيح والآنية الزجاجية. كانت "كيم كاسيلز" تفضل الوجبات السريعة ذات السعرات الحرارية المنخفضة. تساءل "ستيوارت":

- أين الصلصة؟

تحركت "لورين" إلى إحدى الخزائن الأخرى، والتي كانت بها أطباق عميقة ومسطحة، وأطباق فناجين، ووعاء بلاستيكي يحتوي على أنواع محليات للشاي وإناء عسل، وزجاجة تحتوي على شيء ما. وضعت تلك الزجاجة التي كانت زجاجة صلصة شواء منخفضة السكر على طاولة المطبخ بجواره. قالت "لورين":

- ها هي الصلصة.

التقطها ونظر إليها، وقال:

- لست أدري إن كانت تستحق التجربة.

وضعها ثانية. ردت "لورين":

- إذًا، لا تجربها. أنت فقط من كنت تبحث عن الصلصة، لا أحد غيرك، فلا يهم إن كنت لا تريدها.

كانت "كاث" قد ارتدت سُترتها من اليوم السابق، أما "لورين" فكانت لا تزال ترتدي البيجاما، والتي كانت عبارة عن "تي شيرت" ذي فتحة صدر واسعة. لم تتذكر "كاث" ملاحظة استدارة صدر "لورين" من قبل. اهتز صدرها تحت الملابس الخفيفة عندما تحركت لتتناول الجريدة القابعة على الناحية الأخرى من المنضدة. لاحظت "كاث" أيضًا خطًّا ممتدًّا أفقيًّا من الحلمة إلى الأخرى. ظنت "كاث" أن "لورين" ذاهبة لإحضار بعض الخبز عندما وقفت، ولكنها وضعت ذراعيها حول جسد "ستيوارت". جفل بفعل المفاجأة، وعندما استدار كانت "لورين" تحاول تقبيله.

قال:

- ماذا تفعلين؟ توقفي بحق الجحيم. رباه.

دفع ذراعيها من على جسده واحدة تلو الأخرى.

قال وهو ينظر تجاه "كاث":

- كوني عاقلة يا "لورين".

قالت "لورين":

- لا تقلق حيال "كاث" بحق الرب، فهي تعرف كل شيء عن أي شيء.

ردت "كاث":

- لا، لا أعرف كل شيء.

قال "ستيوارت":

- حسنًا، توقفي. أعني ما أقول. توقفي.

وضع شريحتي لحم خنزير في طبق وناوله لـ"كاث"، وظلت "لورين" تحدِّق إليه. لم ينطق بكلمة واحدة، فاستمرت في التحديق، فقال:

- ماذا هناك؟ ماذا هناك؟

جلس إلى الطاولة، وقال:

- حسنًا، أين السكاكين والشوك؟ أين السكاكين والشوك في هذا البيت اللعين؟ رباه.

رغم أن "لورين" كانت تستطيع المرور بسلاسة بين أثاث المطبخ والمنضدة، فإنها اصطدمت بكتفه بعنف.

قالت "لورين":

- آسفة!

صعدت "لورين" السلم، ولا بدَّ أنها قابلت "كيم كاسيلز" في الطريق وهي تنزله. قالت "كيم كاسيلز" وهي تدخل المطبخ:

- مرحبًا.

كان "ستيوارت" قد وجد الدرج حيث توجد السكاكين والشوك، لأنه كان ممسكًا ببعضها بالفعل. اقتربت منه "كيم كاسيلز" واحتضنته، وقالت:

- حبيبي.

ثم وضعت يدها في جيب بنطاله الخلفي. فصلت الحمالة الرفيعة للبلوزة التي كانت ترتديها بين "وحده الرب"، و"يحكم عليَّ" الموشومة على ظهرها. جلست "كيم كاسيلز" على المقعد الذي شغلته "لورين" من قبل. خاطبت "كاث":

- ما زلت هنا. أين تنامين؟ على الأرض؟

قالت "كاث":

- نعم، كانت مريحة، لا بأس.

تناولت "كيم كاسيلز" أحد الآنية من خزانة المطبخ، وأخذت ملعقة من المسحوق الأبيض بداخله، ثم وضعته في كأس ماء فتحول إلى اللون الأخضر الفاتح. قالت "كاث":

- يا له من لون!

جلست "كيم كاسيلز" ثانية، وبدأت ترتشف مشروبها وتتحدث إلى "ستيوارت" عن سيدة تعرفت عليها في صالة الألعاب الرياضية. قالت له إنه يعرفها أيضًا، ولكنه فقط لا يتذكرها الآن. تحدثت عنها بالتفصيل المُمل، وعن مكان منزلها ووظيفتها، ولكنه لم يتذكرها. ولكنها تلك السيدة التي دائمًا تمارس تمارين الساق؟ تلك التي ترتدي "تي شيرت" ذا خطوط زرقاء ووردية. لم يتعرف عليها. بدأت "كيم كاسيلز" تذكر له رحلة ذهبت فيها تلك السيدة مع صديقها، والتي كانت مخصصة للأزواج فقط، ونام الجميع في نُزُل صغيرة على الشاطئ.

قالت:

- كانت جنة حقًّا، فقط للأزواج. لا ترى شيئًا إلا البحر حولك، هل تتخيل هذا؟

كان طعم صلصة الشواء شبيهًا بطعم الحلوى المغلية وأعواد الثقاب. كان هناك بعضًا منها على طبق "ستيوارت"، ولكنه لم يقترب منها. قال:

- أعرف شخصًا ذهب في رحلة شبيهة بهذه، كان شهر العسل في الواقع. الحق يقال، كانت رائعة في البداية وخصوصًا بسبب منظر البحر، ولكن بعد ذلك لا شيء إلا التحديق إلى البحر، وهذا يبعث على الاكتئاب. في

اليوم الثالث ذهب إلى مبنى الموظفين العاملين في المنتجع ليلعب معهم القمار. حتى الآن لا يزال على اتصال مع بعضهم.

تساءلت "كاث":

– ولكن ألا يزال متزوجًا؟

رد:

– بالطبع لا، انتهى الزواج منذ فترة.

بعد مرور بضعة أيام، ذهبت "لورين" إلى منزل "كاث" بعد انتهاء أولى ورديات وظيفتها الجديدة في وسط المدينة. كانت قد وجدت عملًا في هذا المحل الجديد الذي يبيع سلعًا رخيصة وجميلة، مثل الدفاتر والأباريق والحقائب وإطارات الصور. كان لون زيها الرسمي رماديًّا وله ياقة صغيرة لونها برتقالي. قالت "لورين":

– انظري ما اشتريت لك بتخفيض الموظفين الذي حصلت عليه.

كان كوبًا رماديًّا.

قالت "كاث":

– رائع جدًّا، ولكنني لست متأكدة إن كنت بحاجة إلى كوب.

قالت "لورين":

– إنه مجرد سلعة أردت شراءها. ربما أعطيه لأمي.

قالت "كاث":

– نعم، هذا طيب، فإعطاؤها كوبًا سيعوضها عن ممارستك الجنس مع صديقها.

ضحكت "لورين".

كانت "كيم كاسيلز" قد اقترحت على "ستيوارت" أن ينتقل للعيش معها، ولكنه لم يتحمس للفكرة إطلاقًا.

استطردت "لورين":

- وعمومًا من قال إنه جنس فقط؟ من قال هذا؟

عندما غادرت "لورين"، قالت والدة "كاث":

- لم أرها منذ زمن. لديها ما يشغلها، أليس كذلك؟ المدرسة والوظيفة الجديدة، وهكذا. سمعت أيضًا أن "كيم كاسيلز" تتسكّع مع شاب في عمر ابنتها.

أكملت:

- لا تدخلي هذه الغرفة، فسأبدأ في تنظيف الأرضية بالكلور. أتمنى لها حظًّا سعيدًا مع هذا الأخير.. لنكن واقعيين.. لن تنجح تلك العلاقة كسابقاتها. فقد كان زوجها أفضل الرجال الفاسدين، ولكن عفا الزمن على تلك الأيام.

تدخَّل والد "كاث" قائلًا:

- لقد ذَهَبَت في رحلة منذ بضعة أيام.

ردت والدتها:

- لم تخبرني.

فتساءل والدها:

- لِم أخبرك! ولِمَ أذكر لك كل شخص أراه؟ هل تتوقعين أن أقول لك كل شيء؟

استطردت والدتها:

- لا تدخلي، الكلور الآن على الأرضية.

انشغلت "لورين" بالعمل يوم السبت، فلم تقابل صديقتها في مكانهما المعتاد. تدهورت حالة مطعم "تشيب تشوب" على أي حال، فقد خبَّأت لافتة "للإيجار" جزءًا من شعاره. قالت "لورين" إنها ليست متأكدة مما إذا كانت ستقضي الليلة بمنزلها، لكن قررت "كاث" أن تزورها على أي حال وتجرب. طرقت "كاث" الباب الخلفي، ولكن لم يأتِها رد، فأدارت مقبض الباب ببطء. ارتفع صوت الراديو قادمًا من المطبخ. سمعت سيدة تقرأ خبرًا ما حول حادث. ارتجف ضوء المطبخ بعض الشيء. ضغطت "كاث" بإصبعها على الشمعة المعطرة القابعة على الطاولة، وسألت نفسها متى كانت مشتعلة؟ لا يزال الشمع لينًا.

- "ستيوارت"!

نادت "كيم كاسيلز":

- "ستيوارت"!

كانت يمكن لـ"كاث" أن تصيح: "كلَّا، إنها أنا"، ولكنها لم تفعل.

- "ستيوارت"؟

نادت "كيم كاسيلز" ثانية. فتحت "كاث" دولاب المطبخ. لا يزال يحتوي صلصة الشواء فقط. نزلت "كيم كاسلز" السُّلَّم ودخلت المطبخ. رأت ابتسامتها تتلاشى عندما أدركت أن "كاث" هي الزائرة. قالت "كاث" إنها طرقت الباب، فردَّت "كيم كاسيلز" نافية وجود "لورين". تساءلت "كاث":

- حقًّا؟

فردت "كيم كاسيلز":

- لا، لقد خرجت.

تساءلت "كاث":

- أين ذهبت؟

فأجابتها "كيم كاسيلز" أن "ستيوارت" يدربها على القيادة، فردت "كاث":

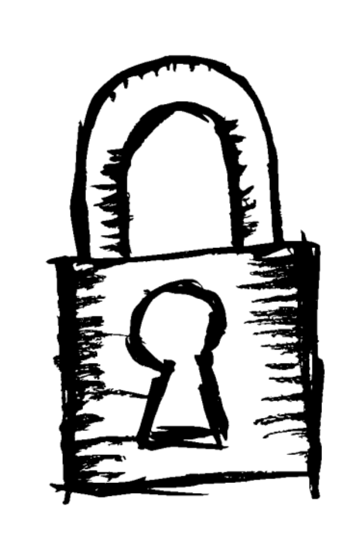
- آها، صحيح، فهمت.

ظنت "كاث" أن "كيم كاسيلز" اضطربت قليلًا، ولكنها لم تكن متأكدة من ذلك. أردفت "كاث":

- نعم، يجب أن أهتم بممارسة القيادة أيضًا، أرجو أن يدربني والدي. سمعت والدي يقول إنه رآك منذ بضعة أيام.. قال إنك تبدين بحالة طيبة.



صانعو الأقفال



في فترة ما كانت البنوك الإسبانية تقدم فرص للتمويل العقاري دون مقدم تصل إلى نسبة 100% دون مقدم، ولكن حدث الانهيار الاقتصادي، وعجز السكان عن دفع الأقساط، فما كان من جهات التنفيذ إلا استرداد المنازل، واستدعاء صانعي الأقفال لتغييرها. حينها وقفت العائلات خارج منازلهم، يحدقون فيما كانت غرف نومهم يومًا ما. قرأت خبرًا عن سيدة أغلقت باب منزلها وركضت إلى إحدى الشرفات وقفزت منها. لم يتوقع الرجال (صانعو الأقفال) وخبراء المقابض والزلاجات أن تصادفهم مثل هذه المواقف أثناء أداء عملهم أبدًا. في إحدى المدن الكبرى، قال صانعو الأقفال كفى، لن يغيروا أقفال منازل الناس، ببساطة لن يفعلوها.

زُرت أحد متاجر المعدات الكبرى بداية الأسبوع الماضي لأتبضع. كل هذه المولدات الكهربائية،: هل يحتاج الكثير من الناس للمولدات حقًا؟ ربما. رأيت رجلًا يحمل جوالًا كبيرًا من الأسمنت الأبيض بصعوبة، ولكنه سقط وتسربت محتوياته مخلفة سحابة مشروم صغيرة. جاء نداء عبر الميكروفون لعامل نظافة. سألني أحد الباعة:

– هل لي أن أساعدك يا عزيزتي؟

قلت:

– لا، كل شيء على ما يرام.

وقد كان، لأنني كنت أعلم ما أريد شرائه. اشتريت "أباجورة" رخيصة أضعها بجوار سريري وغطاء ذو طبقة واحدة من القطن، هذا النوع الذي يتحمل الغسيل على برنامج الغليان. ترددت عند اختيار ألوان طلاء الحوائط ذات الأسماء الجذابة، ولكن في النهاية اخترت علبة من اللون

الأبيض الناصع، فهو يكفي. في المتجر الكبير هناك ممر كامل مخصص للأقفال، من أبسطها إلى أكثرها تعقيدًا. اشتريت ثلاثة مناشف وحلقة مفاتيح خصيصًا للمفتاح الإضافي الذي صُنع لي.

كنت أقضي كل وقتي في المنزل عندما أصبح ملكًا لي، فقد كان مكانًا مثيرًا إلى حد كبير. تبعث مشروعات التحسينات المنزلية على التفاؤل بطبيعتها. أحيانًا كنت أقضي ستة عشر أو ثمانية عشر ساعة أعمل في المنزل حتى أنني أنسى أن آكل. صرت على دراية بكل العارضات الخشبية والروابط المعدنية الضعيفة بالمنزل. كبرت مجموعة أدواتي، التي كانت قد بدأت ببضع المفكات الرخيصة، حتى وصلت إلى مثقاب "دي والت" مستعمل. نزعت طبقات ورق حائط يعود عمره لعقود، من طبقة مزخرفة بشكل نشارة الخشب إلى أخرى مزخرفة بنقش "البيزلي" ووصولًا إلى طبقة طلاء خضراء كلون زجاجات المشروبات الغازية. كان منزل جدتي وتركته لي.

عندما كنت أصغر سنًا إذا سألني أحدهم أين أمي، كانت عبارة "غير موجودة" الغامضة ردًا كافيًا في معظم الأحيان، ولكن نادرًا ما كان يطرح أحدهم السؤال عليّ. ولكن إذا طُرِح، هل كانت ستوصم الإجابة بأنها في السجن بالعار؟ غالبًا لا. في مدرستي كان هناك طلاب آخرون يقضي بعض أفراد عائلتهم وقتًا في السجن أو تحت المراقبة. شقيق "جاري" الكبير، زميلي في الصف الدراسي كان قد أطلق النار على أحدهم خارج إحدى صالات الـ"سنوكر". هناك أيضًا "ماندي جي" وهي أكبر مني بعام، وقد ضرب والدها سيدة ضربًا أفضى لوفاتها. غالبًا هناك آخرون

يصغرونني ممن لديهم قصص مشابهة ولكنني لم أعرفهم، فأنت تميل لمعرفة الطلاب الأكبر منك سنًا.

عندما كنت أعيش مع جدتي، كنا نشاهد العديد من المسلسلات الاجتماعية والدرامية. دائمًا ما كانت تجلس على المعقد نفسه وتدخن. امتلأ السقف ببقعة صفراء بفعل تدخينها، تلك البقعة التي ترددت بعض الشيء في إزالتها باستخدام الطلاء الجديد، لكنني فعلتها أخيرًا. قبل كل حلقة، كانت جدتي تصب لنفسها كأسًا من "الويسكي"، وكلما جاء مشهدًا لحانة، كانت تشرب من الكأس، لأن هذا كان يشعرها وكأنها هناك. كنت أحضر لنفسي كوبًا من "الكولا" وأقلدها، ولكنني دائمًا ما شعرتُ أنها ما زالت في حجرة المعيشة. تعلقت رائحة الدخان الكثيفة بكل شيء في المنزل، بل وعَبَّقَت رائحته سترتي المدرسية ولم يعد ممكنًا إزالتها.

"تومي جيلمور" هو الرجل الذي قتلته أمي.. عجوزًا، أظنه كان يأمل في أن يقضي ما تبقى من عمره في التعافي من هذا الحادث الذي تركه عاجزًا. كان قد حصل على تعويضًا ماليًا كبيرًا. تسبب إهمال أحد الأشخاص في وقوع هذا الحادث. كان يتطلع إلى مجيء أمي بلا شك لليالي طويلة ولأيام أطول. كانت تذهب إلى منزله أحيانًا، ثم بدأت في التردد عليه كثيرًا. اقترضت منه النقود، وربما كان سعيدًا في البداية باهتمامها الذي صبته عليه، وباختيالها وتبخترها بالملابس التي ابتاعتها، ولكنها لم تعد له أي مما اقترضت، وبدأت تطلب المزيد والمزيد. ضربته بأداة يعتقدون أنها عصا معدنية على الرغم من عدم العثور عليها أبدًا عندما هددها

بإبلاغ الشرطة. عانى "تومي جيلمور" من جلطة أثناء الاعتداء، إلا أن إصابات رأسه هي التي أدت إلى وفاته.

كانت جدتي تزور ابنتها شهريًا. استغرقت الرحلة ما يقرب من يوم كامل ذهابًا وإيابًا، وكانت رحلة مطولة تتطلب استقلال حافلة وقطار وحافلة أخرى. كانت لدينا صينية أسميناها "الصّينِيّة " لأن صور التنين تزينها. يُترك لي شطيرتان وكوبان لبن على الصّينِيّة في تلك الأيام التي تشد فيها جدتي الرحال، وتأمرني ألا أفتح الباب الأمامي للمنزل تحت أي ظرف مهما كان. دائمًا ما كانت تعود وهي تعاني من العرج، لأنها ارتدت حذائها الأنيق.

رافقتها لمرتين سنويًا، وتصادفت مع تغيير التوقيت بتأخير الساعة أو تقديمها. كنا نتوقف للاستراحة في أحد المقاهي بالقرب من محطة القطار عندما نترجل من الحافلة. أُطلب ما شئت في هذا المقهى، وستجده دائمًا قد "نفد لتوه"، إلا أن العاملين به كانوا يخبرونك "بمنتهى الأسف" كل مرة. كنا نقرر أن تلك هي آخر مرة نرتاد هذا المقهى، وسوف ننفق نقودنا في مقهًى آخر، لكننا دائمًا ما كنا نعود لأننا نريد أن نستمر في اكتشاف ما الذي قد "نفد لتوه" فقط "منذ لحظات".

نجلس منتظرين بعد مرورنا بكافة الإجراءات الأمنية المتعددة في حين تدخل السيدات في صف واحد. تبتهج بعض الوجوه عند رؤية زائريها، بينما لا تتغير تعبيرات وجوه آخرين، وكانت أمي من تلك المجموعة الأخيرة. مال الأداء الحواري إلى التكرار: تستهل أمي الحوار بقائمة من الشكاوى التي قد تتفاوت بين سلوك

بعض ضباط السجن أو عدم توفر أحد أنواع الصلصة. بعد ذلك تثرثر جدتي عن شخصيات في المسلسلات التي تشاهدها.

كانت أمي تُكشِّر بشكل لا يُحبذ في المرأة على الأقل معظم الوقت، على الرغم من أن وجهها كان على قدر من الجمال. عندما جُددت أجهزة صالة الألعاب الرياضية في السجن على أعلى مستوى وزرنا أمي، رأينا منها نسخة متقلصة عندما دخلت الغرفة، وبدت لنا منتبهة وجائعة، ولكن المرة التالية اختفت عظام وجهها، فبدا واضحًا أن إشراقتها كانت بسبب ممارسة الرياضة في صالة الألعاب .

كانت هناك تفاصيل صغيرة: دائمًا ما كانت تمسك منديلًا، وتلفه وتضفره بين أصابعها، على الأقل مرة كل زيارة، ودائمًا ما كنت أترقب فعلتها تلك. أضافت بعض الوشوم إلى ذراعيها، عبارة عن نصوص مكتوبة بأحرف كبيرة تقول شيئًا أو آخر. بدا شعرها مجعدًا ، وظل مصففًا بشكل دائم على طريقة التسعينيات رغم مرور السنين. في إحدى الزيارات الجديرة بالذكر وجدنا أنفسنا جالستين إلى الطاولة مقابل بعضنا بعضًا ولون شعري وشعرها متطابق تمامًا. كنا قد استخدمنا الصبغة نفسها وهي بلون أشقر كرمال البحر، ولكننا حصلنا على اللون البرتقالي. ألقيتُ بهذه الصبغة في سلة المهملات عند عودتي إلى المنزل.

كانت الزيارات دائمًا متشابهة، ولكن أحيانًا تحدث بعض الأمور المختلفة. في إحدى المرات بدا واضحًا أن هناك علاقة رومانسية قائمة مع أحد السجينات، فقد شردت عيناها بين الحين والآخر في اتجاه امرأة جالسة في الناحية الأخرى من الغرفة تتحدث إلى رجل يرتدي سترة من

"الچينز". رأيت الناس يرمقون بعضهم بعضًا بتلك النظرات الحزينة الملتهبة في المدرسة. بعد ذلك، جاءت الفترة التي اهتمت فيها بالدين، فقد ارتدت سلسلة معلق بها صليب، وسوار طُبعت عليه آية من الإنجيل، وتحدثت إلينا عن قوة الدعاء وعن الافتداء وعلاقتها الخاصة بالمسيح، بل وتعلمت أيضًا عزف بعض الأنغام على الجيتار!

سألتنا:

- ألا تؤمنا بالمسيح إذًا؟

تضمن برنامج إعادة التأهيل الذي كانت تدرسه ورشة حول التعليم. كانت قد كتبت بعض المقالات التي وثقت خبرتها الشخصية وآراءها حوله. قالت لنا أننا نستطيع قراءة ما كتبته، ثم استدركت قائلة إن قائد الورشة قد جمع الكتابات فلن تتسنى لنا القراءة. كانت أمي مهتمة بشكل خاص بأحوالي في المدرسة في تلك الزيارة، فقد سألتني عن كل مادة أدرسها وأعطتني الكثير من النصائح التحفيزية. أحضرت معي ملفي الدراسي الكبير والذي أثقل حقيبتي في الزيارة التالية، ولكن لم تدر دفة الحوار في اتجاه التعليم ثانية إطلاقًا.

ماتت جدتي كما عاشت، أي أمام التليفزيون. وجدتها ميتة عندما عدت إلى المنزل. ألبستها سترتها المفضلة لأنها لم تكن ترتدي إلا قطعة ملابس خفيفة، وانتظرت حتى انتهى المسلسل الذي كانت تشاهده، ثم بدأت في إجراء المكالمات الهاتفية. لم تكن جنازة كبيرة، فقط حضرها بعض الجيران وبعض الأقارب الذين قرأوا النعي في الجريدة. منح مسؤولي السجن أمي إذنًا لحضور الجنازة لأسباب إنسانية. جرت مراسم الجنازة القصيرة في مركز خدمات كنسية قديم كانت تتردد عليه جدتي في وقت ما. اختار رواد المركز الترانيم والقراءات

المختارة من الإنجيل، والشرط الوحيد الذي فرضوه هو ألا تدخل أمي. كان هذا مقبولًا، لم يكن هناك أي اعتراض. قرأت إحدى الآيات المختارة، تلك التي تتحدث عن الزمن الذي يحدث فيه هذا أو ذاك وأحداث أخرى لا تهمني. لم تظهر أمي إلا عندما وصلنا إلى المقابر. كانت واقفة تحت شجرة مع رجل ما. لم أتذكر أنني رأيتها في الهواء الطلق من قبل، على الرغم من أنني بالتأكيد رأيتها في صغري. كانت واقفة بالقرب من الرجل وكأنها تتآمر معه على أمر ما، إلا أنني لاحظت لاحقًا أن يدها مكبلة إلى يده. أومئت إليّ برأسها، مانحة إياي سلامًا مقتضبًا، لا أكثر ولا أقل.

اجتمع بعضهم يومها في موقف السيارات، وكان واضحًا أنهم لا يريدون الرحيل سريعًا على الرغم من هطول المطر. كان هناك بعض الشباب الذين بدا أنهم حضروا جنازة أخرى وبدأوا في خلع رابطات عنقهم وحشرها في جيوبهم وفتح الزر الأول في قمصانهم. تشاركوا في شرب زجاجة "كيو سي شيري" وتحدثوا إلى أمي. أسمعها تقول "قلت له... وقال لي... وقلت ماذا تعني بحق الجحيم.. ورد قائلًا انتظري بحق الـ...". اعتقدت أمي أنهم غاية في الظرف. أعطوها زجاجة الـ"شيري" فأخذتها بيدها غير المكبلة، في حين وجَّه الرجل المصاحب لها نظره هادئة. لطم أحد الشباب الزجاجة وهي تشرب منها، فانسابت على صدرها وعلى البذلة الزرقاء التي لا بد أن أحدًا أعارها لها. ارتشفت ثانية من الزجاجة حتى سمعت مرافقها من السجن يقول:

- حسنًا، هيا بنا، هذا يكفي.

كان على صواب، فهذا فعلًا كان كافيًا. ترنحت أمي عائدة للسيارة وهي تُسحب من رسغها، مارة ببرك وحل صغيرة مرتدية حذاءً ذي كعب عالٍ مقاسه كبير. ودعها الشباب وهي تنصرف، أما أنا فعدت إلى المنزل وشربت كوب شاي على الصينيّة، وشاهدت جزءًا من مسلسل درامي تدور أحداثه في مستشفى.

كانت عطلة نهاية الأسبوع الأخيرة هي أول مرة أشد فيها الرحال إلى السجن منذ سنوات، فبعد وفاة جدتي توقفت عن الزيارة. الآن أقود سيارة بدلًا من أن أستقل حافلة أو قطار. انعطفت على الطريق فقط كي أتأكد من استمرار وجود المقهى الذي نفد كل ما تطلبه فيه "منذ لحظات" في العمل، ولكنه تحول إلى محل لبيع التليفونات. عندما وصلت، رأيت بعض الناس ينتظرون في الخارج، منهم رجل يرتدي بذلة سهرة ويحمل وردة حمراء، وبعض الأطفال يلعبون ببالونات هيليوم وردية. الآخرون مثلي فقد انتظروا في سياراتهم. لم أكن واثقة مما يجب أن أفعله. حدقت فيها لبعض الوقت عن بعد عندما ظهرت لكن ليس لفترة طويلة.. دقيقة أو اثنتين فقط. بدت أقصر وأنحل مما أذكر، وصففت شعرها في شكل ذيل حصان، وحملت حقيبة سفر زرقاء. استخدمت آلة تنبيه السيارة لجذب انتباهها، ولكنها لم تلتفت لي. استخدمتها ثانية، وفتحت نافذة السيارة وناديت عليها. نظرت إليّ ولسان حالها يقول "إنها أنت". لم أفك حزام الأمان، وواصلت الإمساك بعجلة القيادة.

في رحلة العودة كان راديو السيارة يعمل. قالت:

- ما هذا؟ عم يتحدثون؟ يا له من هراء.. مجرد كلام.

غيرت المحطة إلى أخرى ترفيهية، ولكن عدت إلى المحطة الأولى عندما وصلنا إلى الطريق السريع.

أرادت أن تعرف كم سنستغرق من الوقت حتى الوصول إلى المنزل، وما السرعة القصوى للسيارة. كان ردي أنني لا أعلم، وأنني لا أقود السيارة على سرعة أعلى من تلك عادة. مررنا بإعلان لمركز التسوق الذي سنمر بجواره في الطريق، فقالت:

– اللعنة. لقد رأيت إعلانات هذا المركز! هل سندخل؟ سندخله، أليس كذلك؟

كان ردي:

– بالتأكيد، إن أردتِ.

لم أجد في نفسي الرغبة في التجول في المحلات، فجلست أنتظرها على أحد المقاعد، وأعطيتها خمسة وعشرون جنيهًا إسترليني لتنفقهم. عادت أمي وقد اشترت حزامًا وقميصًا مطبوعًا عليه صورة لغروب الشمس من الناحية الأمامية، وثلاثة أساور.

ارتدت الأساور ثم خلعتهم وارتدتهم مرة أخرة، أما الحزام فلم يستحق ثمنه، فقد بدأت الخياطة في التفكك بالفعل.

كان المنزل غارقًا في الصمت عندما عدنا. قالت:

– إذًا لا توجد حفلة؟

لم تكن لتفاجئها أي حفلة.. "مفاجئة"!

قلت:

- كلا، لا توجد حفلة.

لم يكن هناك أحد ينتظرنا مختبئًا حتى الوقت المناسب ليظهر فجأة ويفتح إحدى تلك الأسطوانات المليئة بالزينة في المكان، ولم يكن هناك أحد في المطبخ.

سألت مشيرة إلى المكان الذي كان فيه التليفزيون منذ سنين:

- أين التليفزيون؟

رأيت شبح التليفزيون القديم.

قلت:

- لا أملك تليفزيون.

أصدرت صوتًا بشفتيها وقالت وهي توجه نظرها إلى مجموعة من الكتب المتراصة:

- لا يوجد تليفزيون.

قلت:

- لا يوجد تليفزيون، ولكن تفضلي. هذا يخصك.

أخرجت سلسلة المفاتيح من حقيبتي وأعطيتها إياها. كانت سلسلة مفاتيح معلقة بإكسسوار بسيط رمادي من الجلد الصناعي ومفتاح لامع.

استطردت:

- شعرت أن حوافه المعدنية التي تم قصها للتو خشنة، ولكنه دار بسهولة عندما جربته على الباب.

نظرت إليه ثم حشرته في الجيب الخلفي لبنطالها "الچينز".

قلت:

- هذا مفتاحك للباب الأمامي.

قالت:

- نعم. شكرًا.

لم تكن لتمتلك مفتاحًا حيثما جاءت، بل ستوجد العديد من المفاتيح المعلقة على سلاسل كبيرة.. مجموعة من المفاتيح على سلاسل معدنية ضخمة، ولكن لم تكن لتمتلك حتى واحدًا منهم. ربما سيحمل المفتاح المعلق في سلسة من الجلد الصناعي معنًى رمزيًا بالنسبة لها.

قلت:

- لا تضيعيه.

ردت:

- فلتذهبي إلى الجحيم.

صعدت أمي إلى الغرفة التي كانت تخصها يومًا ما. سمعت صوت صرير الألواح الخشبية الأرضية. ربما كانت جالسة على الفراش تفكر في الأشياء التي كانت موجودة في الماضي، أو تنظر من النافذة التي تطل على منظر لا يختلف كثيرًا عن الذي تذكره. دقت الساعة في الدور السفلي. كنت أستطيع أن أسمع الخرير الرقيق للمياه التي تدخل المدفأة لمركزية وتمييز النباح الهادئ لهذا الكلب الذي يسكن المنزل المجاور. سمعت صوت مياه تنظيف المرحاض، وانغلق باب غرفة النوم بعنف. مر زمن طويل منذ آخر مرة عاش فيها أحد غيري في هذا المنزل. أثارت حركات بسيطة جدًا اضطرابًا في الهواء.

أعادت خطوات بطيئة امي إلى حجرة المعيشة. قالت وهي ترتمي على الأريكة:

- حوائط الغرفة بيضاء.. بيضاء، بيضاء، بيضاء، كلها بيضاء، بالإضافة إلى المزيد من البياض.

أضافت:

- لا تنفتح النافذة كاملة.

قلت:

- قلت إنني سوف أصلحها.

قالت:

- كنت أقفز من هذه النافذة.. كنت أهرب عن طريقها.

تساءلت:

- إلى أين؟

ردت أامي:

- أي مكان، لم أكن صعبة الإرضاء. كنت أعلق كل الصور المطبوعة في المجلات على الحوائط حين كانت هذه غرفتي. لم تكوني لتتمكني من رؤية الحائط من كثرة تلك الصور.

تساءلت:

- صور لمن؟ صور لماذا؟

ردت:

- لا أذكر. كان هذا منذ سنوات. كنت مراهقة بحق الجحيم.

أصبحت الحوائط جرداء ناعمة الآن، لا ليست ملطخة بآثار اللبادات الزرقاء ومغطاة بصور وجوه تعتليها نظرات شبقة مقطوعة من المجلات.

قالت أمي:

- لم تلحظ خروجي أبدًا، لم تكن لديها أدنى فكرة عن غيابي، ربما لأنها كثيرًا ما كانت شبه ثملة. لم تدرك ما يحدث ومن يدخل أو يخرج.

لم يستدعِ انتباهي صوت دقات الساعة من قبل. اكتشفت أن لها صدًى خفيف.

استطردت:

– كان يجب أن تخرجي من النافذة ووجهك للخارج، حتى تستطيعين القفز إلى المزراب، ومنه فوق سقف المطبخ. أُصبت إصابة بالغة في إحدى المرات.

رفعت ساق بنطالها "الچجينز" لتريني شيئًا. سألت:

– أترين هذه الندبة؟

قلت:

– لا أظن.

أشارت إلى نقطة وقالت:

– هنا.

لم أرَ إلاى بشرتها البيضاء المتجعدة.

قالت:

– في الواقع جرحت نفسي عندما وقعت ذات مرة.

تساءلت:

– لِم لَم تخرجي من الباب الأمامي بدلًا من كل هذا العناء إن كانت هي شبه ثملة معظم الوقات كما تقولين؟

ردت:

– كثيرًا ما كانت شبه ثملة، لا طوال الوقت. قلت "كثيرًا".

استطردت:

- كان الدخول سهلًا، كان سلسًا طالما وقفت على سلة المهملات كي تصلين إلى سقف المطبخ. كانت الغرفة دائمًا شديدة البرودة بحق الجحيم، لأن النافذة كانت مفتوحة طوال الوقت.

قلت:

- عمومًا هناك لحاف ثقيل في الغرفة الآن، وكما تقولين.. لا تنفتح النافذة بشكل كامل، فلن تخرجي منها.

مررت أمي يدها على ذراع الأريكة وسألت:

- هذه الأريكة من "دي إف إس"؟

قلت:

- لا أستطيع أن أتذكر.. ربما. اشتريتها منذ زمن طويل.

قالت:

- أريد أريكة من الجلد.

تساءلت:

- حقًا؟

ردت:

- نعم، لم أكن لأشتري أريكة مثل هذه، بل أريكة من الجلد.

سألتني إن كان يشاركني أحد المنزل.

قلت:

- لا، لا أحد آخر يعيش هنا. أنا فقط.

ثم أضفت:

- أنا فقط منذ وفاتها.

قالت:

- أنت فقط إذًا.

قلت:

- أنا فقط.

أعتقد أن هذا أحد الاختلافات مع الآخرين. كنت أنا فقط، لم أكن فردًا في مجموعة أو اتحاد أو فرقة. كنت وحدي. وقف صانعو الأقفال في الخارج، وأنا في الداخل. لم يعرفوا تلك السيدة التي قفزت من الشرفة، لم تكن سوى مجرد اسم وعنوان على قائمة منسوخة بماكينة التصوير لمهامهم هذا اليوم.

قالت:

- إن هذا المنزل كريه. دائمًا ما كان كريهًا، وأستطيع أن أريكِ تحديدًا أنه لا يزال كذلك. مكان كريه جدًا بحق الجحيم.

سألتها إن كانت تخطط للذهاب لمكان آخر.

قالت:

- نعم، ربما. لدي بعض الأفكار.. بعض الخطط.

تساءلت:

- مِثل؟

نقرت بإصبعها على أنفها كأنها تقول إن هذه الخطط "سرية للغاية".

قلت:

- حسنًا، هذا يسعدني. جميل.

قالت:

- نعم، جميل.

قلت:

- هذا عظيم. عظيم أن لديك خطط، وأنكِ لست عالقة في مكان كريه.

سألت:

– هل تواعدين شابًا؟

قلت:

– لا.

ردت:

– لا، لم أتوقع أنك تواعدين أحدهم. ماذا سنأكل على الغداء؟

كنت قد ذهبت للتسوق واشتريت الكثير من الأطعمة قبل أن تصل، لكن لم يعجبها أي مما كان في الثلاجة أو خزانات المطبخ.

قالت:

– لا، لا، لا وألف لا.

قلت إنني نباتية.

ردت:

– هذا متوقع، لماذا لا أشعر بالدهشة؟ لا تقولي لي أنك لا تشربين الخمر أيضًا! لا خمر؟ لا بد أنك تمزحين.

ضحكت ضحكة قصيرة، وقالت:

– إذًا هذه هي الحرية، هذا ما كنت أنتظره. مرحبًا بي في المزبلة!

قلت بهدوء:

– لكنها مزبلتي.

ظننت أنها لم تسمعني، فكررتها.

– لكنها مزبلتي.

ردت:

– نعم، أنا متأكدة أنك مستعدة للاستيلاء على ما أملك كما استوليت على المنزل. الحق يقال: تحسب لك صنعتك بحق الجحيم.

قلت:

– أتعتقدين ذلك؟

ردت:

– انتظرت خطابًا من السلطات ليخبرني عن أملاكي. انتظرت خطابًا يخبرني بما تُرك لي. انتظرت خطابًا لم يصل أبدًا. عمومًا فلتذهب تلك البدينة إلى الجحيم.

قلت:

– لقد حصلتِ على مفتاح.

ردت:

– كانت هناك سجادة برتقالية في هذه الغرفة.. سجادة برتقالية كبيرة.

تذكرت تلك السجادة، وتذكرت طيها وإخراجها من الباب الأمامي ثم إلقاءها في سلة المهملات الكبيرة.

قالت:

– كنت أدفن وجهي في هذه السجادة وأنام أمام المدفأة، وكنت أشعر وكأنني نائمة في قلب الشمس.. في قلب الشمس مباشرة.

ثم أضافت:

– في طفولتي.

قلت:

– حسنًا، أتريدينني أن أذهب لشراء بعض النبيذ لك؟ هناك محل قريب.

فكرت قليلًا ثم رفضت، وتساءلت عما إذا كانت حانة "التروبادور" لا تزال هناك، ثم استطردت:

- لا تقولي لي أن حتى "التروبادور" لم تعد موجودة!

قلت إنها لا تزال موجودة لكن باسم مختلف.

قالت:

- حسنًا، لا يملك المتسول حق الاختيار، على الرغم من أنها غالبًا ستكون كريهة أيضًا.

صعدت إلى غرفتها، ثم نزلت مرتدية القميص الجديد.

سألت:

- ألن تأتي معي؟

قلت:

- إلى أين؟

قالت:

- إلى "التروبادور". لم تريني منذ.. منذ متى؟ ألن تخرجي معي لشرب الخمر؟ أتتخيلين تأثير شيء كهذا على أي شخص؟ أنت لحمي ودمي.

كانت حانة "التروبادور" غير مزدحمة إلى حد كبير. طلبت أمي "فودكا دابل" وكوكا كولا، أما أنا فطلبت عصير برتقال.

علقت:

- عصير برتقال بحق الجحيم!

كان التليفزيون المعلق خلف الطاولة الرئيسية يعرض مباراة كرة قدم دون صوت، أما الآخر فكان يعرض مصارعة نسائية.

ثم صرخت أمي قائلة:

- "جوردي"!

كان رجلًا قصيرًا قوي البدن قد دخل، وعندما رأى أمي صرخ وفتح ذراعيه قائلًا:

- يا إلهي، من أرى! من عادت! إنها أنت! متى خرجت؟

ثم استطرد موجهًا كلامه للنادل:

- هلا تقدم مشروبًا لصديقتي هذه يا بني؟

لم تلاظ أمي انصرافي. شربت ما تبقى من عصير البرتقال، ثم عدت إلى البيت، إلى منزلي. قرأت كتابًا لبعض الوقت، ثم صعدت إلى غرفتي حيث استلقيت على فراشي في انتظار سماع دوران المفتاح في باب منزلي. توقعت أن تقتحم أمي المنزل مع "جوردي" وآخرين. استمرت الساعة الرقمية القابعة بجوار فراشي في عد الساعات المنصرمة. يبدو أن "التروبادور" لم يكن كريهًا في الواقع. لا شك أنهم يقضون الوقت معًا بعد ساعات عمل الحانة الرسمية. ربما ذهبوا إلى حانة أخرى، أو حفلة في منزل آخر غير هذا المنزل. لا بد أن لها أصدقاء قدامى آخرون تريد مقابلتهم.

استيقظت مبكرًا جدًا صباح اليوم التالي، وظللت مستلقية أستمع للأصوات حولي، لكن لم أسمع صوتًا. ذهبت لإلقاء نظرة على غرفة النوم، ووجدتها كما كانت. لم يتم لمس اللحاف الأبيض. لم يكن هناك إلا بعض الأغراض الملقاة على الأرض؛ سترتها وملابس داخلية. لم أجد أثرًا للمفتاح، بالتأكيد أخذته معها. في الحمام كانت فرشاة أسنانها قابعة بجوار فرشاة أسناني في الكوب. أخذت فرشاتها ووضعتها في حقيبة السفر الزرقاء

خاصتها، ومعها أغراضها الأخرى، ثم أغلقت الحقيبة وحملتها للدور السفلي. جلست على أريكتي التي لم تكن من الجلد، وبدأت في التفكير لبعض الوقت بينما بدأ ضوء الصباح الضعيف في إظهار آثار فرشاتي التي استخدمتها لطلاء الحائط اللامع. كان هذا ما أتمناه؛: أن أمسك سيجارة الآن، وكأس "ويسكي" تصطدم فيه مكعبات الثلج، وأن تكون جدتي هنا. كانت أدواتي في الخزانة القابعة تحت السلم، وكنت أعرف أنني لست مثل الرجال الإسبان الذين رفضوا تغيير الأقفال. إن بمحل المعدات الكبير ممر كامل مخصص للأقفال والزلاجات، وسوف يفتح أبوابه بعد أقل من ساعة.

بيت من زجاج



يُطلق على مثل هذه المباني عادةً مسمى "مركز اجتماعي"، إلا أنه لم يقابل بالكثير من الحماس هذه المرة، اعتقادًا أنه يوحي بالإقصاء؛ لأن الاسم قد تحيط به أيديولوجيات ثقافية وسياسية راسخة، أما "مركز الجمهور" فقيل إنه أكثر شمولًا، وهكذا صار. شُيِّد "مركز الجمهور" على أرض فضاء استخدمت سابقًا من قبل عربات الوجبات السريعة ولحرق القمامة، أو إشعال النيران للتدفئة، وحتى حلبة لمصارعة الكلاب في إحدى المرات. كُرست الجهود والموارد في البداية لإزالة الحشائش من المنطقة قبل الشروع في التشييد، حيث حُقِنت جذور النباتات، ثم رُشت أوراقها بمبيد الأعشاب الضارة. بعدها، استطاع الهيكل الحديدي للمبنى الجديد أن ينهض من الأرض الخضراء حتى صار أعلى من كل المباني القريبة منه بثلاث مرات. يرسل الرجال العاملون في الموقع أصغر اثنين منهم كل صباح ليشتروا وجبات الإفطار المعبأة في أطباق الفوم من المطعم القريب. لم يغطِ صوت المثاقيب الهوائية ورنين الألواح المعدنية على ضوضاء المرور، أو أحيانًا جلبة الأطفال في حصة الألعاب بالمدرسة الابتدائية القريبة. أرسلت شركة "ثاناسيس" المعمارية، ومقرها لندن، كبيرة المعماريين بها والمسؤولة عن التصميم إلى الموقع كل شهر، حيث أقامت في حجرة في فندق بوسط المدينة. كانت حجرة صغيرة، إلا أنها كانت تتمتع بمنظر بانورامي للمكان كله.

كانت المهندسة المعمارية، واسمها "سوزان مارش"، متزوجة بـ"جافين"، رجل من مدينة "بلفاست"، إلا أنه ترك المدينة في بدايات الثمانينيات كي يدرس بالجامعة في البر الرئيس، حيث انتفع من حادثة اختطاف أتوبيس كان على متنه يومًا في "بلفاست". كان عندما يروي

الحادثة يصف ألسنة اللهب بصورة شعرية. سافر في السنوات الأخيرة لزيارة والدته الطاعنة في السن والمقيمة بدار مسنين بالضاحية ذات الأشجار الوارفة التي نشأ فيها. يتجول في المنطقة قليلًا في أثناء تلك الزيارات، والتي تغيرت كثيرًا عما يذكرها، على الرغم من أن الكثير مما يتذكر كان من الصور الأبيض والأسود في الصحف والمجلات.

بدأ "جافين" يرافق "سوزان" في رحلاتها من لندن حيث يسكنان إلى "بلفاست". عندما تذهب هي إلى العمل، يستكشف هو الشوارع القديمة والجديدة.. تلك الأرض المستصلحة بالقرب من رصيف الميناء، ويزور والدته. كانا يؤجران سيارة ويقودانها لمسافة ستين ميلًا، حيث تضربهما الرياح القاسية القادمة من المحيط الأطلنطي. جلسا في حانة تطل على الميناء، وبدأ "جافين" يشكو للمرة الثانية من طريق السفر البطيء والمزدحم، وإيقاع الحياة الممل الذي اعتاداه في لندن. قال:

– لا حاجة إليَّ بالعمل في لندن على أي حال، وأظن أن هذا يسري عليك أيضًا في الواقع. هل من الممكن أن يكتفوا بوجودك في لندن مرة واحدة في الأسبوع فقط؟

كانت تستطيع أن ترى قوة الجذر من نافذة الحانة؛ لديه قوة جاذبة. فكرت في العمق الشديد لتلك الشواطئ، في إمكانية أن تطلب منها الشركة ترك لندن تمامًا، ولا حتى أن تبقى فيها ليوم واحد في الأسبوع. فكرت في الصدمة التي ستصيبها تمامًا مثل برودة المياه التي يشعر بها من يقفز فيها للسباحة في البداية.

ردت "سوزان":

- هذا محتمل.

تحمس "جافين"، فتساءل عما يبقيهما في لندن إذًا، عدا العمل ومنزلهما؟ من الممكن تغيير مواعيد العمل وبيع المنزل. يعيش والدا "سوزان" في اسكتلندا، ولكن والدة "جافين" تعيش في "بلفاست"، أو على الأقل على بعد خمس عشرة دقيقة منها. استحوذت جاذبية "بلفاست" عليهما، أو على "جافين" على الأقل. لم تتمتع لندن بالجاذبية نفسها. وهكذا تولت "سوزان" مهمة بيع منزلهما القديم وشراء آخر جديد، ورتب "جافين" عملية نقل الأثاث. شعرا أن منزلهما الجديد الواقع في شارع واسع تصطف على جانبيه الأشجار مظلم بعض الشيء، فرسمت "سوزان" خطة لبناء مبنى خارجي زجاجي من طابقين، مما أضاف مساحة إلى المنزل، وسمح بدخول كمية أكبر من الضوء. امتزج في تصميمه الزجاج مع الطوب على طراز تسعينيات القرن التاسع عشر. أعادا تصميم الحديقة وتغيير مكان الطريق الخاص المؤدي إلى الجراج فور الانتهاء من بناء المبنى الزجاجي الجديد. أوكلا أمر الحديقة إلى شركة بستنة صغيرة كانت قد تركت إعلانها على باب المنزل. شعر "جافين" بالسعادة لأنه قد أوكل هذه المهمة إلى شركة محلية.

قال "كولين" مشيرًا إلى المبنى الزجاجي:

- أترى هذا؟ لا أتصور نفسي ساكنًا في بيت به هذا الشيء أبدًا، حتى لو دفعوا لي.. ليس به أي جمال.. ليس به أي جمال على الإطلاق.

رد "باكي"، وهو أصغرهم:

- يبدو كريهًا فعلًا.

أما "إيرني" فنظر إليه لمدة كالحَكَم بارد الأعصاب، وأمال رأسه متأملًا إياه، ثم قال:

- شكله غبي جدًّا.

أحضرت لهم السيدة الشاي في أكواب مضحكة الشكل. تعلق ناظرهم بها، ثم حملت الصينية وعادت إلى المنزل.

قال "باكي":

- كبيرة في السن، لكنها حسنة المظهر نوعًا ما.

رد "إيرني":

- أفضِّل النساء الرخيصات.

قال "كولين":

- الكل يفضل النساء الرخيصات.

عندما حان موعد الغداء، أحضر زوج السيدة لهم شطائر مختلفة. راودهم سؤال: "هل هي امرأة مسيطرة؟ لأن الرجل هو من أعد الشطائر". قال "باكي":

- كيف لنا أن نعرف ذلك؟ قد تكون هي من أعدتها، وطلبت منه فقط تقديمها.

رد أنحلهم:

- بالتأكيد. تظن أنها طلبت منه تقديم الشطائر فقط وأنها هي من أعدتها بنفسها؟ ولكن لا تظلم النساء المسيطرات، فبعضهن مقبول، مثل السيدة "ويبلاش" Miss Whiplash، ومثيلاتها.

عَمِل كل من "سوزان" و"جافين" في غرفة منفصلة، وكل منهما في طابق بالمنزل. رأى "جافين" أن الاهتمام الزائد بالإنتاجية يؤدي إلى نتائج عكسية: فمن الأفضل السماح للأفكار المختلفة المستمدة من تأملاته وملاحظاته، والتي تعضدها قراءاته المتعددة، أن تنسجم معًا في الوقت المناسب، وعلى طريقتها الخاصة. بالتأكيد كانت لديه وظيفة، حيث يقدم الاستشارات، وما شابه، ولكن الكل كان يعرفه، ويعرف طريقته في العمل. لا يملك أحد أن يضغط عليه في مجاله. إن كان المكوث في المنزل الجديد طوال الوقت لا يلهمه، فمن حسن الحظ أنه يستطيع التجَوُّل في الشوارع القريبة، حيث يتأمل واجهات المخابز الزجاجية ومحلات الأغراض المستعملة. كان يتردد على المقهى القديم نفسه، حيث يترك لمن يخدمه إكرامية سخية كل مرة. دائمًا ما بدت عليهم السعادة لرؤياه. يسألونه إن كان يريد طلبه المعتاد، وهذا يعجبه. أما العاملون في المقهى، فيلكز أحدهم الآخر قائلًا:

– ها هو الرجل ذو الحقيبة الجلدية الصغيرة المضحكة، لقد عاد. يرتدي سُترة جلدية مضحكة أيضًا!

أحيانًا كان يخرج والدته من دار المسنين للتنزه رغم أنها لا تتعرف عليه أغلب الوقت. يجلسها في المقعد الأمامي للسيارة ويغطي ساقيها بملاءة، ويأخذها لشراء الآيس كريم. في بعض الزيارات كان يأخذها إلى الكورنيش، لكن مجرد الجلوس هناك ولعق الآيس كريم في صمت، والأمواج تنكسر كان يبعث على الاكتئاب. بقيا في موقف محل الآيس كريم بعد ذلك، حيث توجد بعض الحركة على الأقل. احتفظ دائمًا بمناديل في السيارة كي يستخدمها عندما يسيل الآيس كريم على وجهها.

كان مركز الجمهور مشرقًا أنيقًا يوم احتفالية الافتتاح؛ زينت مدخله باقات زهور منمقة، وجاء البعض من لندن لرؤيته. قيل إن المبنى مرشح للفوز بعدة جوائز معمارية، وبالتأكيد سيحصد أحدهم على الأقل. مبنى جميل، لم يكن ليبدو غريبًا في مكان مثل شيكاغو أو برلين، كما حظي بثناء كبير على تعدد الخدمات التي يقدمها. مركز صحي؟ مكتب؟ مركز تعليم رقص؟ معرض فني؟ قدم كل هذه الخدمات. كان له باب أوتوماتيكي ضخم، يعمل بكفاءة ويوحي بالترحيب، وغمر الضوء الطابق الرئيس الواسع بشكل يبعث على التفاؤل.. زاره "جافين" بعد بضعة أسابيع من الافتتاح عندما شعر بحاجة إلى استراحة أخرى. كان يبعد عن المنزل الجديد بمسافة خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام. كانت هناك ماكينة بيع ذاتي سوداء كبيرة في البهو العملاق، وبها علب مشروبات الغازية مثل "الكوكا كولا"، و"السبرايت"، و"الفانتا"، بجانب ألواح شوكولاتة "سنيكرز"، و"آيرو"، و"مارس"، وأكياس بطاطس الـ"شيبسي" بطعم الدجاج، وأخرى بالملح. اشترى "جافين" علبة "كوكاكولا" وكيس بطاطس "شيبسي" بطعم الملح. خاطبه الرجل الجالس على المكتب في البهو مرحبًا:

- أهلًا.

رد "جافين":

- أردت فقط القيام بجولة سريعة. هل هذا مسموح؟

قال الرجل:

- تفضَّل.

في المركز الصحي كان هناك مبرد مياه تتسرب منه قطرات على الأرض، أمَّا مساحة الشركات فضمت عدة شركات جديدة وأخرى ناشئة، وكانت عبارة عن مساحة مفتوحة تقسمها ألواح بلاستيكية سميكة وشفافة. شاهد "جافين" فتاتين تستمعان بتركيز إلى ما يقوله لهما شاب يرتدي سُترة خضراء.

أحيانًا، كان يحوم حول غرفة "سوزان" على أمل أن تلتفت إليه من عملها في المنزل الجديد. يسألها:

– أتريدين بعض القهوة؟

ترد:

– ماذا؟ لا. أنا مشغولة الآن، ربما لاحقًا.

على الجانب الآخر من منطقة الشركات كان هناك جدول لأنشطة الأسبوع مرسومًا على سبورة بيضاء: نادي التخسيس، نادي المحاربين القدامى، وحفلتا عيد ميلاد. ملأت رائحة اللحم المحترق المقدد الطابق الأول من المقهى، والذي كان يقدم شايًا وقهوة ومشروبات غازية. وكانت هناك بعض الصحف الملطخة بالزيت على إحدى الطاولات. طلب "جافين" فنجان قهوة، وقرأ عن طرائف بعض المشاهير الذين لا يعرفهم.

اتخذ "جافين" طريقًا غير مباشر للمنزل بعد زيارته لمركز الجمهور، متجولًا جيئة وذهابًا في شوارع متفرعة من الشارع الرئيس، عندما مر بـ"باكي كاش" جالسًا بوقار الملوك بجوار حائط منزله. كان "جافين" و"سوزان" بحاجة إلى من يهتم بالحديقة بعد زراعتها، وبدا لهما "باكي" اختيارًا مقبولًا. كان يزورهما لتشذيب الحديقة لمدة ساعة كل أسبوعين بعد ظهر الجمعة.

قال "جافين":

- "باكي"! لم أكن أعلم أنك تسكن قريبًا منا هكذا.

ظهرت شابة حاملة طفلًا على الباب. قالت:

- "باكي"، أحتاج إلى مساعدتك لدقيقة.

لاحظت وجود "جافين" فقالت:

- آسفة.

عندما عادت إلى الداخل قال "باكي":

- هذه "إيما"، وهذا "كارل".

رد "جافين":

- حسنًا.

صاحت "إيما" من الداخل:

- "باكي"، ألا تدخل لدقيقة؟ أحتاج إليك أن تقوم بمهمة في المنزل.

تبدلت تعبيرات وجه "باكي" وكأنه يشعر أن طلباتها لا تنتهي أبدًا.

قال "جافين":

- سأراك لاحقًا هذا الأسبوع إذًا.

رد "باكي":

- سآتي في الوقت المعتاد.

تأمل "جافين" في حياة "باكي" وهو في طريقه إلى المنزل. فتاته على قدر من الجمال، رآه في قميصها الذي أظهر بوصة من حمالة صدرها المتسخة وفي حواف ملابسها الداخلية التي وشى بها بنطالها الضيق ذو القماش الرقيق، ولكن هذا ليس كل شيء، فهذا لا يهمه كثيرًا، رغم أن حياته

الجنسية مع "سوزان" اقتصرت على استمنائها له بشكل ممل وآلي. المهم أن "باكي" كان لديه طفل، وأنه كان أبًا. من عام 1992 وحتى 1998 كان "جافين" أبًا هو الآخر، إلا أن ابنته ماتت. لم يرد أن يفكر في شعرها أو طريقتها في الجري أو صوتها أو كلامها، رغم أنه أحيانًا كان يفكر في جنازتها، لأنه كره كل لحظة فيها. بدأ مجرد تذكر الجنازة يبث فيه مشاعر الغضب الآن في طريقه للعودة إلى المنزل الجديد لأن... لأن جنازة طفلة في السادسة من العمر لم تكن إطلاقًا الوقت المناسب لتطبيق مبادئ البساطة والدقة بحق الجحيم. بل هو المكان والوقت لعرض الريش الوردي ومشابك الشعر ذات الضفائر والأحصنة البلاستيكية ذات الذيول متعددة الألوان. وزيارة أحد تلك المحلات التي تبيع زينة رخيصة، تلك التي تزورها فتجدها في حالة فوضى، بضائعها على المقاعد أو بين ممرات المحل أو ملقاة للعرض في الخارج على الأرصفة. لماذا لم يشتروا قنبلة "جليتر"؟ أو يشغلوا أغاني "البوب" التافهة السخيفة المزعجة بصوت عالٍ؟ ولكن كانت "سوزان" المسؤولة عن تنظيم الجنازة، لهذا كانت جنازة هادئة ومتواضعة إلى أبعد الحدود. قالت له "سوزان" حينها: "أرجوك يا "جافين"، دع لي هذه المهمة، سأنظمها بطريقتي، أرجوك يا "جافين"، اتركها لي".

لاحقًا ذلك المساء أخبرها أنه زار المركز. سألته:

- حقًّا؟

رد:

- نعم. لا رائحة تتفوق على رائحة لحم الخنزير المقدد هناك.

ردت "سوزان":

- لقد صممته فقط لا غير يا "جافين"، لست مسؤولة عمَّا يطبخون في المقهى.

قال "جافين":

- بدأت تظهر عليه أمارات الإهمال بالفعل.. ليس في أفضل حالاته.

قطبت "سوزان" جبينها بعض الشيء، وقالت:

- متوقع. لا يمكن تلافي هذا مع عدد زواره الكبير.

رد "جافين":

- لم يكن مزدحمًا إلى هذا الحد عندما زرته.

قالت "سوزان":

- هذا يتوقف على وقت زيارتك، فالعدد يختلف تبعًا للوقت.

رد:

- سأحاول أن أختار وقتًا مختلفًا للزيارة إذًا، حتى أجري تحليلًا مقارنًا بين الزيارة الثانية والأولى. نعم.. وسأرسم شكلًا بيانيًّا مُعبِّرًا عن الفارق.

ولكن "جافين" يبغض هذا النوع من الأنشطة. كيف تحمَّل كل تلك الأيام الخاوية.. كل تلك الفترات الزمنية الطويلة التي قضاها لا يفعل أي شيء؟ لم تعتذر "سوزان" عن أي عمل يوكل إليها إلا نادرًا، وتحديدًا إن كان عملًا شاقًّا. تمنت أن تنهار، كم تبعث فكرة الانهيار على الراحة، لكنه لم يحدث مطلقًا. وقفت ذات مرة في طريق سيارة، لكنها لم تصدمها. تباطأ الزمن، واستطاعت أن تميز أمامها معطر هواء السيارة المتدلي خلف النافذة، وقائد السيارة ذا الشعر البني، وبدا الأمر كله شبيهًا بتصاعد النشوة الجنسية، ولكن السائق انحرف عنها، ثم انتهى كل شيء. استمر

كل شيء دون اكتراث. لم تحب "سوزان" لفت الانتباه، لم تكن لتعذب نفسها، لا، لم تكن لتأخذ جرعة دواء مفرطة لإنهاء حياتها.

ردت "سوزان":

- حسنًا يا "جافين"، أظنك ستجد في ذلك عملًا، ستجد ما يشغل وقتك.

قال "جافين":

- لست مثيرًا للشفقة إلى هذا الحد.

ردت:

- آها، "لست مثيرًا للشفقة"، هكذا تظن.

جاءت نهاية الأسبوع، فجاء معها "باكي". وقف "جافين" يراقبه من نافذة حجرة الجلوس وهو يجمع الأوراق التي شذبها من الأسيجة النباتية ويضعها في أكياس قمامة سوداء، ويفرغ الحشائش من آلة قص العشب على كومة السماد العشبي الـ"كومبوست". ناداه "جافين" ليشرب معه البيرة، في أثناء إعادته لكل المعدات إلى الجراج.

خاطبه "جافين":

- يكفي هذا القدر من العمل اليوم. اجلس واترك كل شيء، هذا يكفي.

رد "باكي"، مديرًا ناظره بالحديقة وكأنها حديقته:

- تبدو الحديقة مقبولة نوعًا ما.

قال "جافين":

- نعم، أحسنت، أنا راضٍ جدًّا عن شكلها.

رد "باكي":

- نعم، مقبولة. ماذا تفعل زوجتك اليوم؟

قال "جافين":

- لست متأكدًا. أعني أنني لا أدري بالتحديد، لكن أعرف أنها ستعود لاحقًا. ستصل طائرتها هذا المساء، ولا أذكر إن كان عليَّ مقابلتها في المطار لتوصيلها إلى المنزل أم لا. لا أظن أن عليَّ مقابلتها، لكن قد أكون مخطئًا.

سأله "باكي":

- ماذا تعمل أنت؟

رد "جافين":

- أعمل من المنزل.

سأله "باكي":

- ماذا تعمل من المنزل؟

رد:

- نوع من أنواع الإعلان.

سأله "باكي":

- تؤلف إعلانات التليفزيون؟

رد "جافين":

- لا، أبتكر بعض الأفكار، ليس إلا.

سأله:

- "أفكار"؟ فقط؟

رد:

- تقريبًا.

قال "باكي":

- وظيفتك جيدة.

ابتلع "باكي" رشفة كبيرة من البيرة، ثم استطرد:

- قد لا أمانع في قبولها إن عُرضَت عليَّ، لكن لا أعرف من أين سآتي بأي من تلك الأفكار بحق الجحيم.

رد "جافين":

- أظن أنني أيضًا بحاجة إلى ابتكار أفكار أكثر.

لفَّ "باكي" سيجارة ودخناها معًا بعد شرب عدة زجاجات بيرة أخرى. فوجئ "باكي" أن "جافين" لف السيجارة التالية بشكل احترافي بنفسه.

كان المنزل مظلمًا عندما وصلت السيارة التي تقل "سوزان" من المطار، ولكن ليست من طبيعة "جافين" الخلود للنوم في هذا الوقت المبكر. سمعت موسيقى "ريجي" بطيئة وثقيلة، وهي تتجه إلى المنزل. دارت حول المنزل لتدخل من الباب الخلفي، حيث وجدت "جافين" جالسًا مع "باكي".

قال لها "جافين":

- لقد عدتِ.

دخل "باكي" المنزل ليخفض صوت الموسيقى وكأن أمه باغتته بالوصول.

ابتسم "باكي" ولوح بزجاجة البيرة، وقال لها:

- هل هبطت من الطائرة لتوِّك يا مدام "مارش"؟

قالت "سوزان":

- نعم.

قال "باكي" بنبرة ودودة:

- فلتجلسي وتتناولين الشراب. المطارات دائمًا مرهقة.

سألها "جافين":

- هل سار كل شيء على ما يرام؟

أنزلت حقيبتها، وردت:

- نعم كل شيء سار بشكل طيب. قد أكون مخطئة، ولكن أظنك كنت ستأتي لتقابلني في المطار؟

قال "جافين":

- يا إلهي، حقًّا؟ جيد أنكِ وجدت سيارة أجرة.

ردت:

- نعم، كانت هناك سيارات أجرة كثيرة.

- أحسن "باكي" العمل في الحديقة، سترينها بنفسك بوضح النهار. بالمناسبة أيضًا، لقد وجدت عاملة نظافة للمنزل، أليست هذه فكرة طيبة؟ أن تعمل لدينا عاملة نظافة؟ إنها "إيما".

قال وهو يشرب البيرة.

تساءلت "سوزان":

- "إيما"؟

رد "جافين":

- صديقة "باكي". ستبدأ العمل..

وجه كلامه إلى "باكي" متسائلًا:

- ما رأيك في الأسبوع القادم يا "باكي"؟ هل هذا وقت كافٍ لتستعد؟ وإن لم يكن كذلك، هل سيناسبكما الأسبوع التالي؟

قال "باكي" عن "سوزان" و"جافين" إنهما أحمقان. قال إنه لا يعني أنهما يستحقان الأذى، لأنهما في الواقع طيبان نوعًا ما، إلا أنهما حقًّا غبيان، غبيان جدًّا. لم تكن لديهما أي فكرة عن المبلغ المقدم مقابل الخدمة، ويبعثران نقودهما على كل من هب ودب. قال "باكي" أيضًا إن السيدة تبدو كإحدى متسابقات برنامج "ذا أبرينتيس" (The Apprentice): هادئة، لا تجذب الأضواء إليها، لكن تكتشف في النهاية أنها كانت تخطط لكل شيء منذ البداية، تلك النوعية من الناس الذين يصلون إلى مراحل التصفيات النهائية على الرغم من أنك تقريبًا لم تلحظ وجودها طوال الحلقات. تذهب هنا وهناك، تسافر إلى كل أنحاء العالم، لكن لا تعرف راتب البستاني أو عاملة النظافة، وربما لا تعرف حتى سعر عبوة الحليب. كان راتب "باكي" في هذه الوظيفة وحدها يساوي مجموع خمسة عمال مجتمعين. أما راتب "إيما" كعاملة نظافة فكان ممتازًا. يبدو أن "جاف" قال إنهما لا يريدان أن يبخسا الناس قدرهم، لكن على الجميع أن يبخسوا قدر بعضهم بعضًا ولو بقدر بسيط. أليست هذه الحقيقة؟ بدأ "باكي" يخاطب "جافين" باسم "جاف" تلك الأيام. أخبر "باكي" "إيما" ألا ترهق نفسها في البحث عمن يجالس "كارل" في أثناء عملها هناك. لا حاجة. قال لها أن تأخذه معها، فالرجل لن يهتم، قد تتضايق السيدة إن كانت هناك، أما الرجل فلا، لن تكون هناك مشكلة. قال لها ألا تقلق إطلاقًا.

عملت "إيما" عاملة نظافة من قبل، حيث كانت تكنس مهملات الآخرين مثل الشعر وما شابه. لاحظت أنها بعدما تنظف بولهن المتكلِّس أسفل مقعد المرحاض تراهن يلتقطن حقائبهن ويسألنها "بكم أدين لك؟"، ثم يُعطينها ورقة نقدية بالية وبعض الفكة، وكأن كلًّا منهن "دوقة". من الصعب ألا تضحك، كان يجب أن تستحضر صورة مملة في عقلها كصورة بطاطس كي لا تضحك. هناك نظام إنذار في منزل "جافين" وزوجته، وكان على "إيما" أن تُدخِل خمسة أرقام كي تتخطاه. دهشت عندما دخلت المنزل لأول مرة، وتساءلت في قرارة نفسها عما حدث لكل أغراضهم، لأن حجرة معيشتها بمنزلها و"باكي" وحدها مزدحمة بكمية الأغراض نفسها الموجودة في منزل "جافين" و"سوزان" برمته. كان خاويًا كساحة الصلاة في الكنيسة. هناك طبق فاكهة كبير، وبه صف طويل من التفاح شديد الخضرة واللمعان. نفضت "إيما" عنها التراب، واستبدلت بالثمرات التي لا تبدو طازجة أخرى من الثلاجة، مع الحرص على رصها بالشكل نفسه بالضبط. كانت لمكنستهما قوة شفط عالية.. قوية، الحق يقال. تفتح دولابهما وترى أكوامًا من المناشف ذات اللون الواحد مرتبة في صفوف، أما في منزلها هي و"باكي" فيحشران المناشف بأي طريقة في الدولاب. تذكر عندما نادت "باكي" ليحضر لها منشفة لتجفيف جسد "كارل"، فأحضر لها منشفة عليها علامة "كارلزبيرج" لشركة البيرة الشهيرة.. قالت له إنها لن تجفف جسد الطفل بمنشفة "كارلزبيرج"، لا، ليس بهذا الشيء. رد ناعتًا إياها بالحماقة، فهي منشفة سواء كانت من ماركة "كارلزبيرج"، أو غيرها. كانت ملابس السيدة معلقة على شماعات خشبية، يصدر تصادمها ببعضها رنة لطيفة. صفوف من البناطيل الرمادية، وصفوف من السترات الرمادية، ملابس من المستحيل أن تفكر "إيما" أن تجرب ارتداءها.

دخل عليها الرجل "جافين"، إحدى المرات وهي في المطبخ، وأراد أن يجلب لنفسه شيئًا. خاطبها قائلًا:

– أحسنت العمل، أخبريني إن عطلك وجودي عنه.

قالت لنفسها: "هذا منزلك يا رجل، أنا من تعطلك بوجودها!". سألها إن كانت تريد فنجانًا من القهوة، وردت بالنفي، ثم أضافت:

– طفلي الصغير نائم في حجرة الضيوف في الطابق الأعلى، هل من مشكلة؟

أجابها بالنفي.

كانت هناك مكتبة صغيرة في "مركز الجمهور" بالطابق الثاني، بها كراسي بيضاوية، وتزينها أشكال هندسية بيضاء بلاستيكية. بدت كموقع تصوير في فيلم خيالي مستقبلي، وبه بدت الكتب وكأنها آثار قديمة. لم يجد "جافين" فيها إلا كتب الطبخ والسير الذاتية للرياضيين. كانت في كل مكان، حتى إنه اضطر للنداء على المسؤولة، وقال لها:

– يا إلهي! لا أريد إلا بعض كتب الأطفال!

أشارت نحو الوسائد الموجودة في أحد الأركان.

مر شهران على عمل "إيما" كعاملة نظافة. لم يضايق "جافين" إلا الكم الكبير من الوقت الذي يقضيه الطفل أمام شاشة التليفزيون في مشاهدة أفلام الكارتون الأمريكية المصطنعة. يجلس مستقيم الظهر على الأرض والستائر مغلقة في حالة تشبه التنويم المغناطيسي أمام تلك الأفلام.

لا يمكن أن يسدي هذا نفعًا في اكتساب وتطوير اللغة لديه. أما "إيما" فطوال الوقت تقول له "لا تفعل هذا"، "سأقتلك إن فعلت ذلك ثانية". تساءل "جافين" في قرارة نفسه عن جودة الطعام الذي يأكله الطفل. لم يقصد بهذا أي حكم على الوالدين. قد يرضى "جافين" نفسه بأكل وجبة غداء مجهزة مسبقًا كل يوم، لكن يستحق الأطفال الأفضل. كلما جاء الطفل مع أمه للمنزل كان ممسكًا بكيس بطاطس "شيبسي". قد تختطفه "إيما" من يده سريعًا قبل أن يدخلا، ولكن بعد أن رآها "جافين". كانت أحيانًا أخرى تعطيه كيسًا آخر وهما في طريقهما لمغادرة المنزل، ولكن لاحظ "جافين" هذا أيضًا.

وجدت "إيما" "جافين" جالسًا في حجرة المعيشة عند ذهابها و"كارل" إلى المنزل المرة التالية. خاطب "جافين" الطفل وهو يعرض عليه الكتب قائلًا:

- انظر ماذا أحضرت لك! أتريد أن أقرأ لك قصة؟

أخبرها "جافين" ألا تقلق حيال "كارل"، فسيُجالسه بنفسه، لا توجد أي صعوبة، حقًا لا توجد أي مشكلة. ترامى لمسامعها لاحقًا خلال فترات الصمت بين تشغيل المكنسة وإغلاقها صوت "جافين" يقرأ لـ"كارل"، متقمصًا كل أدوار شخصيات القصة.

جلست "إيما" و"باكي" معًا لاحتساء الشراب تلك الليلة، بعدما نام "كارل". سألته "إيما":

- ما رأيك في هذا المدعو "جاف"؟

رد:

- "جاف" شخص مقبول.

تساءلت:

- أهذا رأيك؟

- نعم.

- حسنًا.

تساءل "باكي":

- لماذا تسألين؟

- كل ما في الأمر أن.. لا شيء.

- ماذا تعنين؟

- لا شيء. كل ما في الأمر.. لا تعتقد أنه من هؤلاء الذين يشتهون الأطفال، أليس كذلك؟

رد "باكي":

- لا. "جاف"؟ مستحيل. بحق الجحيم، لا بالتأكيد.

راجع نفسه للحظة، ثم قال:

- لكن من يدري؟ أتتذكرين هذا الرجل..

قاطعته قائلة:

- نعم، أعرف عمن تتحدث قبل أن تذكر اسمه. هذا الرجل الذي كان يدير المحل القديم؟ بالضبط يا "باكي"، من كان يتخيل هذا عنه؟

سألها:

- لماذا تظنين أن "جاف" من هؤلاء الذين يشتهون الأطفال؟

ردت:

- لا أعرف.

- لا يمكن أن تظني هذا بلا سبب، لا بدَّ من سبب.

ردت "إيما":

- حسنًا، سأخبرك بما حدث. كل ما في الأمر أنه قضى الوقت كله تقريبًا في قراءة القصص لـ"كارل"، وكانا وحدهما في الغرفة الكبيرة، فراقبته، كي أوصل إليه رسالة مضمونها أنني أسمع كل ما يدور هناك، أتفهمني؟

قال "باكي":

- حسنًا، أكملي.

- هذا كل ما في الأمر، لا أكثر ولا أقل.

فكر "باكي" قليلًا، ثم قال:

- لا أرى داعيًا للقلق. اسمعي، في الواقع كان لـ"جافين" ابنة، وقد توفيت. كانت طفلة صغيرة وتوفيت بمرض.. لا أذكر الاسم، أحد تلك الأمراض التي يموت الأطفال بسببها. لا أدري ما هو، لكنه حكى لي عنها ذات ليلة.

قالت "إيما":

- يا إلهي.

تخيلت صورة طفلة صغيرة معروضة على موقع إلكتروني، وصورًا مبتسمة تبعث على الحزن، وعبارات العزاء التي تركها الناس تحت الصورة، معها "إيموجي" الشموع الصغيرة المعبرة عن الحزن.

استطردت:

– هذا مؤلم. ماذا كان اسم الطفلة؟

قال "باكي":

– أظنه كان "أورلا"، أو اسمًا شبيهًا.

– اسم لطيف. "أورلا". يا لها من طفلة مسكينة. فليباركه الرب، لقد ذهب إلى المكتبة واشترى بعض الكتب لـ"كارل". فليُعن الرب هذا الرجل المسكين.

قال "باكي":

– ها قد فهمت.

قالت "إيما":

– لحظة، هل يعني ذلك أن المرأة كانت لها طفلة؟

رد:

– نعم.

قالت:

– يا إلهي!

لحجرات المنزل الجديد أسقف مرتفعة تزينت زواياها بنقوش الـ"روكوكو" الكلاسيكية، وبمعظم الغرف مدفأة ذات طراز عتيق، لكن لم توجد بها آثار لأي حطب، كمنزل قديم، كان بإمكانك سماع طقطقة أرضياته. كانت "سوزان" تستلقي وهي مستيقظة بالليل وتسمع صوت ارتداد الألواح الخشبية في الأرض لوضعها المعتاد. كانت غرفة عملها مطلية باللون الأبيض، وبإمكانها أن تدور حول نطاقها كله في سبع وثلاثين خطوة. أطلت النافذة على الممر من أعلى أمام المنزل، رغم حجب شجرة

كبيرة ذات أوراق كثيفة للمنظر جزئيًّا. هذه الشجرة.. كم كان موقعها مُزعجًا. من المستحيل أن تتجنب رؤية هذه الشجرة، ولم يكن هناك إلا نافذة واحدة في الغرفة. كانت بحاجة إلى "لابتوب" جديد لتنجز أعمالها على متن الطائرات، لأن المساحة بالطائرة تتطلب موديل أصغر حجمًا من جهازها آنذاك. كل مواعيد التسليم مكتوبة في دفترها، وتحتها خط.

لم تحتَج إلى خدمات "إيما"، لأن باستطاعتها أن تنظف المنزل بنفسها. لا تنزل "سوزان" إلى الطابق السفلي إن كان الطفل هناك. رأته نائمًا في غرفة الضيوف إحدى المرات. كان نائمًا على ظهره في منتصف الفراش، وقد مال رأسه إلى الجانب. لماذا عاش، وماتت طفلتها؟ كرهت خده المستدير وجوربيه، أحدهما نصف مخلوع، وصعود وهبوط صدره. جلست بجواره على الفراش ووضعت يدها على كاحله. كان دافئًا. انتفخ خداه قليلًا عندما زفر الهواء من صدره، وكانت هناك نقاط برتقالية متبقية على شفتيه من طعام أكله قبل النوم. سيعيش هذا الطفل، سيقوى جسده، وسيحب ويكره ويكبر في السن.

كانت "إيما" واقفة عند الباب.

قالت "سوزان":

- ظننت أنني سمعت صوتًا صادرًا من هذه الغرفة.

ردت "إيما":

- حسنًا.

ثم نظرت الاثنتان إلى الطفل النائم.

وقفت "سوزان" وسألتها:

- شارفت على الانتهاء يا "إيما"؟
- يجب أن أكنس الطابق السفلي.
- حسنًا، من الأحرى ألا أعطلك.
أغلقت "سوزان" الباب خلفها بهدوء.

لم يسعد "باكي" بخبر حمل "إيما" بـ"كارل" عندما زفَّته له، ولوحت بشريحة اختبار الحمل الصغيرة. كل ما في الأمر أنها لم تكن الأفضل، ولا الأسوأ. كانا قد سكنا منزلًا معًا، وكانت تديره بشكل مقبول، لكنه لا يُقارن بمنزل أمه. تُغسل الملابس بشكل أفضل والطعام ألذ في بيت أمه. كان من المثير لخيبة الأمل أنه اضطر للالتزام بعلاقة مع امرأة واحدة، فقد كان محبًّا لجذب اهتمام النساء دائمًا. ساعدته وظيفته المعتمدة بشكل أساسي على المجهود البدني أن يظل على قدر من اللياقة. كان يلاحظ تحديق السيدات إليه أحيانًا، ويقول في قرارة نفسه: "استمري في تجريدي من ملابسي بعينيك يا حبيبتي، استمري في رؤيتي كجسد جميل فقط، استمري، خاصة إن كنت جميلة، لا، لا العجائز أو الجدات، رباه، هذا مقزز، لكن ماذا عن بعض ربات البيوت اللاتي يُعانين الوحدة، ويحتجن إلى من يهتم بحدائق منازلهن، وواحدة أو اثنتان منهن على قدر من الإثارة؟". لم تكن درجة الحرارة مرتفعة بشكل يستدعي أن يخلع قميصه في أثناء العمل، لكنه لم يهتم. يعيد رأسه إلى الخلف ويرتشف من علبة "الكوكولا" ببطء. استطاع تمييز شعر زوجة "جاف" في المطبخ إحدى المرات في أثناء عمله في الحديقة، ثم رآها ثانية في الطابق الثاني بإحدى

الغرف الخلفية. لا يمكن أن يتصور أنها لم تكن تراقبه. من الأفضل لـ"جاف" أن يفقد بعض الوزن، لديه كتلة دهون فوق حزام بنطاله. بدأ "باكي" العبث بخرطوم المياه، وحمله في أوضاع مختلفة، ثم فجأة انفجرت المياه من الخرطوم على جسده وكأنها حادثة، لكنها بكل تأكيد كانت حركة مقصودة، حركة مثل حركات راقصي التعري. دخل المطبخ وجسده يقطر بللًا، حبات مياه تنساب على صدره القوي الداكن.

مدت "سوزان" يدها له بمنشفة دون أن ترفع عينها عن عملها على الطاولة قائلة:

- ها هي المنشفة.

رد:

- شكرًا.

حاول أن ينشِّف جسده بمنشفة الشاي الصغيرة ذات المربعات، لكنها لم تنظر إليه، فقط قالت:

- عطل بالخرطوم.

هناك سيدة جالسة إلى حوض غسيل الشعر في الصالون، حيث يُغسل شعرها من الصبغة. صارت الصبغة عنيدة، وبدأت مياه الشطف تبرد بين لحظة والأخرى، وكانت "إيما" القائمة على العملية. استمرت في العمل لدى "جاف" و"سوزان" خلال أيام الأسبوع، لكنها أيضًا بدأت العمل بالصالون ليلة واحدة في الأسبوع وكل سبت. كانت بين الحين والآخر تطلب من الزبونة أن تعيد رأسها إلى الخلف قليلًا، لكن دار معظم الحوار

بينها وبين الفتاة الأخرى التي تعمل بجوارها، والتي كانت تشطف كمية مهولة من الرغوة عن شعر زبونتها. خاطبت "إيما" الفتاة الأخرى قائلة:

- سألتني السيدة التي أعمل عندها: "هل القيام بأعمال التنظيف أقصى آمالك في الحياة؟". قلت لا، لديَّ شهادة رعاية أطفال. ردت عليَّ قائلة: "حقًّا؟ ربما يجب على "جافين" أن يحاول نيل هذه الشهادة أيضًا، فلديه خبرة كافية". تساءلت في قرارة نفسي عن سبب مضايقتها لي هكذا. ربما لأن زوجها "جافين" أحيانًا يرعى ابني في أثناء عملي. لا يطلب منه ذلك أحد، يفعل هذا من تلقاء نفسه.

ردت زميلتها متسائلة:

- وكيف أجبتها؟

ردت "إيما":

- أخبرتها أن عليه الانتظار حتى شهر سبتمبر إن أراد الحصول على شهادة التأهيل المهني الوطني من الدرجة الثانية، حين يبدأ التسجيل. سكتت حينها. ولكنها جعلتني أسأل نفسي عن وظيفة أحلامي، ولهذا جئت هنا.

قطعت كلامها مع زميلتها، وخاطبت الزبونة:

- هل يمكن أن تثبتي رأسك للخلف قليلًا يا عزيزتي؟ بالضبط، هذا أفضل.

ثم استطردت موجهة كلامها إلى زميلتها ثانية:

- أتمنى أن أمتلك صالون تجميل في المستقبل، كل ديكوراته باللونين البنفسجي والذهبي.

سألتها زميلتها:

- كيف تصفف شعرها تلك السيدة الثرثارة؟

ردت:

- تصفيفة مملة نوعًا ما، شعر قصير تصفيفته سخيفة. لا أظنها تهتم بشعرها كثيرًا.

جفت الصبغة على شعر العميلة بشدة، وصار من الصعب تحريك الشعر من الأساس. نظرت "إيما" بغيظ إلى زميلتها، والتي انتهت من شطف الرغوة الكثيرة عن رأس زبونتها، وتساءلت في قرارة نفسها لماذا لم تثبت زبونتها هي رأسها اللعين إلى الخلف؟

كان الحائط الخارجي البازلتي لأكبر معرض فني في المدينة قد بدأ في التفكك، لدرجة جعلتهم يغطونه بألواح شبكية سميكة وقوية لتحمي المارين من الحجارة التي قد تتساقط منه، لأن سقوط كتلة بازلت على إنسان قد تقتله. ألقت "سوزان" نظرة على قمة المبنى، حيث يقابل السماء قبل أن تدلف إليه مع "جافين". يعلق "جافين" كل مرة يزوران فيها المكان صباح يوم السبت، وهو الموعد الأسبوعي لزيارتهما لوسط المدينة قائلًا:

- رباه، يا له من منظر. من صمم هذا المبنى؟ إنه ينهار.

ردت "سوزان":

- لا يتعلق الأمر بالمهندس المعماري، بل بطبيعة الحجر الذي تقرر استخدامه.

رد "جافين" ساخرًا:

- نعم، هذا حقيقي.

كان "جافين" يعاني الصداع هذا اليوم، وكان ينوي زيارة والدته بعد الظهيرة. زاره "باكي" أمس، وبعد أن قضيا معًا وقتهما المعتاد، انضم إليهما أحد أصدقاء "باكي"، ومعه الكثير من الحشيش عالي الجودة، فدخنوا منه جميعًا حتى وقت متأخر من الليل. استيقظ "جافين" هذا الصباح ووجد أنه قد نام على الأريكة. كان صديق "باكي" شخصًا مثيرًا للاهتمام بالتأكيد، وكان يعرف الكثير من الحكايات، وبدا أنه أيضًا على معرفة شخصية ببعض الأشخاص المثيرين للاهتمام. تذكر جلوسهم في الهواء الطلق في أثناء غروب الشمس، وتحول لونها إلى لون وردي رائع وهم يستمعون للموسيقى ويدخنون الحشيش.. كان إحساسًا رائعًا وممتعًا جدًّا.

قال "جافين":

- يا لكل هذا الهراء، يا لكل هذه السخافة. أليس لديك عقل يا "سوزان"؟ إن ما تقرأينه ليس سوى ترهات؟

تصورات فنية بلا معنى من جماعة فنية لعينة، أعضاؤها من الهواة الحمقى الملعونين، لهذا لم يكن سواه هو و"سوزان" في المكان، لكنه لاحظ وجود قسم للأطفال في الطابق الأسفل، حيث ثبتت لوحاتهم على حبل معلق من حائط للحائط المقابل باستخدام مشابك الغسيل. تساءل في قرارة نفسه إن كان قد يأتي بـ"كارل" إلى هنا.. ربما لا.

استطرد:

– أتعلمين أن هناك برنامج دورات فنية في مركز الجمهور؟

ردت "سوزان":

– حقًّا؟

قال:

– نعم، برنامج متنوع جدًّا. هناك جلسات تأمل أيضًا يمكن حضورها طوال الوقت. هناك نوادٍ تخسيس تمتلئ بأشخاص شديدي السمنة. يلعب الأطفال أحيانًا كرة القدم في قاعة الاجتماعات الكبيرة، لقد رأيتهم عندما زرت المركز. قلت إنهم كانوا يلعبون كرة القدم، لكنهم في الحقيقة كانوا يلعبون بوسادة، ويمرحون، كانوا يضحكون، ألا تتذكرين هذه الحالة من ماضيك المظلم السحيق؟

ردت "سوزان":

– أذكر أنك لم تكن وقحًا إلى هذه الدرجة.

رد "جافين":

– رائع، يا لها من روح طيبة. أحبك.

كان "باكي" طافيًا فوق السحاب، لكن اتضح أن اللحاف كان يغطي وجهه، ليس إلا. استيقظ وظل نائمًا على ظهره في انتظار سماع ضوضاء وحركة "كارل"، لكن لم يكن هناك سوى صوت التليفزيون في الطابق السفلي. الساعة العاشرة والنصف، يجب أن ينهض من الفراش. غادرت "إيما" المنزل منذ أكثر من ساعة، لكن لم تكن هناك تلك العلامات الدالة على أن الصباح سيكون مرهقًا مع "كارل": لا أعواد كبريت مستعملة، ولا حرائق

محدودة في المقلاة، ولم يشرب "كارل" الصودا المضرة للجسم. جلس "كارل" يشاهد برامج الأطفال فقط، وبدا سعيدًا. اعتزم الذهاب إلى مدينة "لورجان" اليوم مع "ديل". لم يكن متحمسًا، لم يرد الذهاب، لكنه سيجني بعض المال من الذهاب، ولم يطلب منه أكثر من الجلوس في السيارة، وسيعود قبل عودة "إيما"، ولكنه لم يُرد أن يأخذ "كارل" معه. سيشتري بعض الطعام ويتصل بوالدته ليتأكد أنها بالبيت كي يزورها. كانت ليلة الأمس طيبة، لكنه تمنى لو لم يسمح لـ"ديل" بالمجيء. "فاجأتهم بقولي..."، يبدو أن "ديل" قضى عمره كله "يفاجئ" المحيطين به. امتلك "ديل" مسدسًا. . ذهب "باكي" مع "ديل" وبعض أصدقائه إلى غابة كبيرة تقع شمال الساحل قبل أسبوع، حيث أشجار الصنوبر الكثيفة والقريبة من بعضها. كانوا هناك لصيد حيوان الأيل. ظن "باكي" أنهم لن يجدوا أيلًا في مثل هذا الظلام، أو وسط كل تلك الأشجار، لكنهم وجدوه. يذكر "باكي" تلك اللحظة التي سُلطت المصابيح اليدوية فيها على الحيوان وأدرك أنه على وشك الموت. استخدموا "النبلة" في ضربه بقدمه، ولم يبدُ كبيرًا كما هو متوقع، ولكن مع هذا بدا أن "ديل" شعر بنشوة عارمة عندما أصابه. رفض شراءه الجزارون والمطاعم. لماذا يقبلون حيوانًا بهذا المنظر يقدمه إليهم "ديل"؟

لم تجب والدته اتصاله. لا بدَّ أنها في وسط المدينة الآن، حيث تشتري احتياجاتها كل سبت. كان من الممكن أن يتصل بـ"ديل" ويقول له: "صديقي.. لا أظن أن المشوار يناسبني"، لكنه لم يرد فعل هذا. لم يكن من المستحيل اصطحاب "كارل"، رغم أنه لا يعتقد أن بسيارة "ديل" مقعد أطفال. فكر في إمكانية ترك "كارل" مع "جافين".

لكن كانت "سوزان" هي من فتحت الباب.
قال "باكي":
– مرحبًا، هل نسيت محفظتي هنا بالأمس؟ لا أستطيع أن أجدها.
ردت "سوزان":
– ادخل وابحث عنها بنفسك.
كان "جاف" يخلع معطفه في المطبخ عندما دخل "باكي". خاطبه "جاف":
– أهلًا! لقد لحقتنا بالكاد. عدنا من وسط المدينة للتو. أتريد كوبًا من الشاي؟
وجه كلامه إلى "كارل" الذي كان يلوح له من عربته:
– كيف حالك يا فتى؟
رد "باكي":
– لا يا صديقي، شكرًا. كنت فقط أريد البحث عن محفظتي. هل تركتها هنا أمس؟
قال "جافين":
– لم ألحظ وجودها.
رد "باكي":
– ربما ما زالت في منزلي، سأحتاج إلى البحث عنها هناك مرة أخرى قبل الذهاب إلى "لورجان" ثانية.
رد "جافين":
– صحيح.. "لورجان".
تنهد "باكي"، وقال:

- نعم، الحق يقال، من الأفضل أن أصطاد هناك، لكن المشكلة أنني يجب أن أصطحب هذا الشاب الصغير معي، لأن "إيما" تعمل الآن في صالون التجميل. أتمنى ألا يعاني دوار الحركة. يا لها من رحلة طويلة.

ثم وجه كلامه لـ"كارل":

- لكن لا يوجد حل آخر، أليس كذلك أيها الشاب الصغير؟

رد "جافين":

- لكننا لسنا مشغولين. أنا لست مشغولًا. فلتتركه هنا.

تدخلت "سوزان":

- أيعني هذا أنك ستلغي زيارتك لوالدتك اليوم؟

رد "باكي" موجهًا كلامه لـ"جافين":

- لا، لا أستطيع تركه هنا. لا أستطيع تركه هنا إن كان لديك ما يشغلك.

رد "جافين":

- لا ضرورة للذهاب اليوم تحديدًا، الموعد ليس مقدسًا. قد يمكنني الذهاب لاحقًا إن أردت.

قال "باكي" في طريقه للخروج من المنزل بالفعل:

- هل أنت متأكد؟ ربما سأستغرق من الوقت ساعة، أو ساعتين على أقصى تقدير.

حُمل الطفل من العربة، ودار بناظره حول المطبخ في حين نظرت "سوزان" إلى العربة، وإلى غطائها البلاستيكي المطوي.

تساءلت "سوزان":

- لماذا لا تأخذ الطفل وتذهب إلى زيارة أمك؟

رد "جافين":

- لماذا؟

قالت "سوزان":

- ربما تحب رؤية طفل.

رد "جافين":

- لا أظن أن "كارل" سيستمتع بمثل هذه الزيارة، بل ربما تخيفه كل تلك الوجوه الذابلة ورائحة البول العطن. سنخرج على العموم. أتريد التمشي يا "كارل"؟ بالتأكيد تريد التمشي. أين الجاكيت؟

كان "جافين" قد اشترى معطفًا لـ"كارل". لم يكن مكلفًا، لأنه لم يرغب أن يحرج أحدًا. لم يكن سوى معطف بلاستيكي واقٍ من المطر. كان "كارل" يأتي في بعض الأحيان إلى منزل "جافين" و"سوزان" دون معطف، وفي أثناء هطول الأمطار. ألبسه المعطف ورفع سحابه بعناية. قرر "جافين" ألا يأخذ "كارل" في عربته، لأن دفعها لدخول المحلات والخروج منها سيكون مزعجًا. سيُريه تمثال القطة التي تلوح بيدها في مطعم الوجبات الجاهزة الصيني، وسيذهبان إلى قسم الألعاب في محل "وايز بايز"، ويشتريان بعض قطع الزينة الحلزونية من محل تجهيز الحفلات، ويأكلان الآيس كريم ويتناولان الغداء في المقهى.

كانت السيدة قد أوقفت سيارتها كي تسلم بعض الملابس لأحد المحلات الخيرية، ثم ذهبت إلى المخبز لتشتري فطيرة تفاح، ووضعتها على المقعد

المجاور للسائق. بدأت تخرج بسيارتها من منطقة الانتظار، عندما رأت طفلًا صغيرًا يسير برفقة جده، ويحمل كل منهما الآيس كريم. وقعت الحادثة بسرعة شديدة كعادة الحوادث. رأى الطفل شيئًا على الناحية الأخرى من الطريق، ربما كان هذا الشيء "بالونًا" وقد طار في الهواء، أو كلبًا شكله مُضحك، لهذا ترك يد جده وجرى سريعًا. ضغطت السيدة مكابح سيارتها، فسقطت فطيرة التفاح على أرضية السيارة، أما الطفل فاستمر في الجري حتى وصل إلى منتصف الطريق، حيث صدمته شاحنة صغيرة. أرسلته الصدمة طائرًا في الهواء قبل أن يقع في منتصف الطريق. كانت السيدة صاحبة السيارة أول من اتصل بخط الطوارئ، ووصلت سيارة الإسعاف خلال دقائق. اجتمع الناس حول الطفل وملأتهم الصدمة والرغبة في المساعدة. أخرج أحد المارة الغطاء الجديد المغزول من الفرو الاصطناعي والذي اشتراه لأريكة منزله لتوه من كيسه البلاستيكي وغطى به الطفل برفق، لكن أكد الجميع أنهم كلهم سيتذكرون صراخ الرجل، فقد عوى كما يعوي الحيوان.

كان المسعفون بحاجة إلى معلومات من "جافين" عن الصبي، وأيضًا الشرطة عندما وصلت، لكن عندما استطاع "جافين" التحدث لم يستطع أن يفيدهم إلا باسم الولد الأول "كارل"، فلم يكن يعرف اسم عائلته، وإن كان يعرفه فهو لا يتذكره، وظل يشعر بالذهول أنه لا يعرفه. قال إن "باكي" في مدينة "لورجان" الآن، لكنه أيضًا لم يعرف اسم "باكي" الرسمي. ظل يكرر "باكي"، "باكي"، "باكي" وكأنها تعويذة سوف تستحضره. لم يكن يعلم اسم "إيما" الكامل هي الأخرى. حاول الاتصال بـ"سوزان" تليفونيًا، لكنه كان يرتجف بشدة، حتى إن رجل الشرطة أخذ منه جهاز التليفون كي

يبحث عن رقمها بنفسه. سأل رجل الشرطة "سوزان" عبر التليفون إن كانت تعرف رقم رجل اسمه "باكي"؟ لأن ابنه تعرض لحادثة. اتصلت الشرطة بـ"باكي"، وبعده بـ"إيما". لم يستطع أحد في صالون التجميل سماع صوت جرس التليفون، لازدحامه الشديد المتوقع مساء يوم السبت. اتصلوا مرة، ولم يأتِ رد، ثم مرة ثانية بلا رد، ولهذا اضطروا للذهاب بأنفسهم إلى الصالون بسيارة الشرطة. كان الشرطي الذي دخل إلى الصالون لإخبار "إيما" بالغ الوسامة، حتى إن نصف السيدات هناك ظننه "راقص تعري" واستدار الجميع للنظر إليه، ثم نادت مديرة المكان "إيما"، والتي جاءت تلبي النداء وهي ما زالت ترتدي القفازات المطاطية التي استخدمتها لوضع الصبغة على شعر إحدى العميلات.

كان "جافين" في قسم الحوادث والطوارئ عندما وصلت "إيما". صرخت في وجهه:

– أين هو؟ ماذا حدث بحق الرب؟ أين "باكي"؟ ماذا فعلت؟ كيف له أن يجري في منتصف الطريق؟

نفرت عروق رقبتها وهي تصرخ:

– كيف؟ لماذا لم تمسك يده؟ ألم تمسك بيده، أليس كذلك أيها الوغد عديم القيمة.. أيها الـ...

كانت على وشك ضربه إن لم تأتِ ممرضة وتجرُّها من ذراعها بعيدًا. أكملت "إيما":

– أخرجيه من هنا فهو السبب. أخرجيه من هنا!

لكنه لم يخرج. كان هناك صف من المقاعد التي تفصل بين سرير متحرك وستارة مرفوعة، وهناك جلس "جافين". يرى الطفل يطير في الهواء إذا فتح عينيه أو أغلقهما. حدق بكفه، ثم قلبها إلى الناحية الأخرى في محاولة للتأكد أنه لا يحلم. وصلت "سوزان" وبدأ يصف لها ما حدث، وكيف كانا يسيران في الطريق وانسل "كارل" فجأة. قال:

- لقد تحرك بسرعة بالغة! كان بجواري، ثم مرت ثانية، وكان..

قاطعته "سوزان":

- أعرف ما حدث. لقد أخبرتني الشرطة.

جلست بجواره، وقالت:

- لكن أعتقد أنه على ما يرام. أعتقد هذا حقًّا.

كان "باكي" جالسًا في السيارة خارج أحد المنازل في "لورجان" عندما جاءته مكالمة الشرطة. ظن في البداية أن أحد أصدقائه يمازحه، لكن فوجئ بالمتصل يخبره أن ابنه تعرض لحادث. تذكر هذا الحوار السابق مع "إيما" عندما أخبرته بشكوكها حول "جاف" فتساءل:

- رباه! أي نوع من أنواع الحوادث؟

ملؤه إحساس يمكن تسميته الارتياح للحظة، ولكن.. قد يموت "كارل"! خرج من السيارة وطرق على باب المنزل بقوة صارخًا:

- "ديل"! "ديل"!

استغرق "ديل" وقتًا كي يجيب النداء. جاء قائلًا:

- ماذا هناك؟

قال "باكي":

- الشرطة!

نظر "ديل" حوله باحثًا عن الشرطة.

قال "باكي":

- لا، على التليفون.

رد "ديل":

- هل الشرطة تتصل بنا؟

قال "باكي":

- رباه! لا، لا بحق الجحيم. لقد تعرض "كارل" لحادث!

قادا السيارة بسرعة جنونية إلى المستشفى، وأخذ العاملون في المستشفى "باكي" إلى الحجرة التي كانت تنتظر فيها "إيما" فور وصوله. صرخت "إيما":

- هذا خطؤك! هذا خطؤك! كان يجب أن يظل معك أنت! لماذا لم تُبقِه معك بحق الجحيم؟ رباه يا "باكي"!

بدأت تنوح وترتجف بشدة.

كانت المرة الأولى لـ"جافين" و"سوزان" أن يأتيا للمستشفى معًا بعد وفاة ابنتهما. زار كل منهما المستشفى وحده بالتأكيد: مرة عندما جرحت فتاحة علب كف "سوزان" جرحًا غائرًا كاد يقترب من العظم، أما "جافين" فجاء وحده عندما انكسر كاحله. جلست "سوزان" بجوار الستارة وتحسست بيدها المادة الباهتة التي صنعت منها، تلك المادة التي حجبت سبات المرضى وآلامهم وغيره عن الآخرين على مر السنين. تذكرت

غرفة "أورلا" وشفقها الأبدي.. تلك الساعات الأخيرة في حياة "أورلا" عندما أدركت الطفلة أنها النهاية، رأت "سوزان" هذا بعينيها. ستكون تلك الغرفة المربعة آخر ما تراه "أورلا" في حياتها.. هذا المقعد بجوار الفراش، ذو الساعدين الخشبيين، هذا المقعد البلاستيكي الأخضر. هل كان "جافين" جالسًا بجوارها؟ لا تتذكر أين كان "جافين"؟ هل كان في الغرفة من الأساس؟ كان بالتأكيد. لا تستطيع أن تتذكر وجوده.

لم تدرك "سوزان" أنها تبكي إلا عندما رأت "جافين" ينظر إليها. أراد أن يحتضنها ويقبِّلها، لكن دخل طبيب شاب لطيف. سألهما:

- السيد والسيدة "مارش"؟

أخبرهما أن "كارل" يعاني كسورًا متعددة، وأنه بالتأكيد سيحتاج إلى قضاء بعض الوقت في المستشفى، لكنه سيكون على ما يرام، وأن والديه دخلا غرفته للاطمئنان عليه. كان "جافين" يعاني الصدمة منذ وصوله إلى المستشفى، فأخبره الطبيب أنه سيحتاج إلى إجراء فحص آخر له قبل أن يعود إلى منزله.

انتظرته "سوزان" في الخارج. استندت إلى الحاجز الحديدي، ودارت بناظرها في أرجاء جراج المستشفى، ورأت أضواء مطعم "البرجر" القريب. كان هناك بعض المرضى بملابس النوم والشباشب، وآخرون يَجرُّون بجانبهم محاليلهم الوريدية، ومعظمهم يتحدثون في هواتفهم المحمولة. ظهر "باكي" بالخارج لأنه كان بحاجة ماسة إلى التدخين، وعندما رآها أومأ لها برأسه. خاطبها قائلًا:

- يبدو أن الصغير سيكون على ما يرام، نشكر الرب، لكن ها قد ذهبت أحد أرواحه التسعة.

أومأت له "سوزان"، وقالت:

- يسعدني سماع هذا.

قال:

- نعم، بالتأكيد. لن أنسى أبدًا لحظة اتصال الشرطة بي.

ردت "سوزان":

- بالتأكيد.

قال:

- لا تتخيلي حالته الآن، لكن سيعيش، وهذا ما يهم.

قالت "سوزان":

- أنا في انتظار "جافين"، سيخرج خلال دقائق.

استند هو الآخر إلى الحاجز الحديدي ونظر إلى مطعم "البرجر"، وهو ينتهى من تدخين سيجارته، ثم قال:

- من الأحرى بي أن أعود إليه الآن.

ردت:

- بالتأكيد، أنا سعيدة أنه بخير.

زار "باكي" منزل "سوزان" و"جافين" الأسبوع التالي ليخبرهما بتماثل "كارل" للشفاء. يعاني كسرًا بساقه وبفخذه، وسيعاني عدم وضوح الرؤية لفترة، لكن سيكون على ما يرام. أعطاه "جافين" مجموعة من الهدايا والحلوى وأقراص "الدي في دي" وبعض الألعاب لـ"كارل".

أخبرهما "باكي" وهو يتململ في وقفته أن "إيما" لن تستطيع العمل في تنظيف منزلهما ثانية، لأن عليها قضاء وقت أطول مع "كارل" في ظل الظروف الجديدة، وأنه على استعداد أن يستمر في العمل بالحديقة إن كان هذا مناسبًا لهما (وكان مناسبًا لهما بالفعل)، لكنه أدى عمله بهدوء وبكفاءة منذ هذا الحين، ولم يعد لديه وقت لاحتساء الشراب بعد العمل.

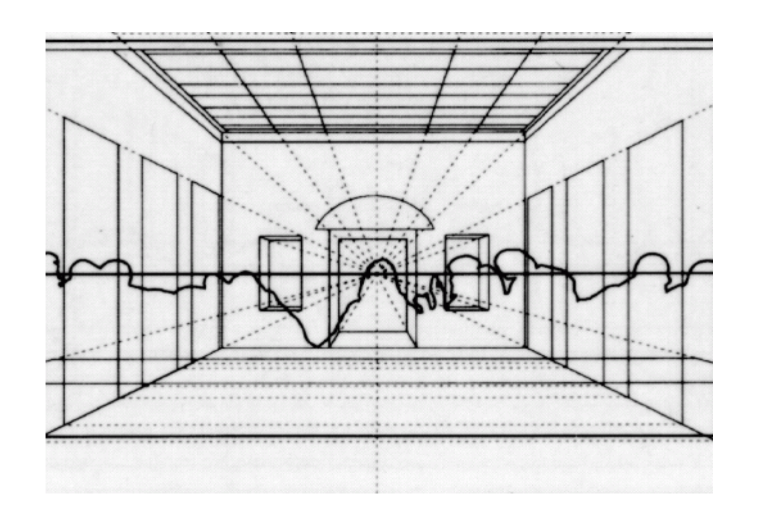
تولت "سوزان" إدارة مشروع ضخم لبناء مجمع تسوق جديد في دبي، والذي حتم عليها السفر بشكل متقطع خلال الأشهُر الستة التالية، وبعد ذلك تطلب ذلك منها الحضور في مكتب لندن لفترات أطول. قلت الليالي التي تقضيها في "بلفاست" شيئًا فشيئًا. انفصل "باكي" و"إيما"، وانتقلت "إيما" للعيش مع "ديل" قبل عيد ميلاد "كارل" الرابع بأسبوع. شعر "باكي" أنه على وشك السقوط صريعًا عندما رأى "ديل" وابنه "كارل" يسيران معًا في الشارع لأول مرة، فهذا كان مشهدًا لا يصدق، ولكنه وجد محامية عظيمة، امرأة شرسة ذات شعر قصير كالرجال، والتي ضمنت له رؤية ابنه بشكل مقبول. انتهى بـ"باكي" المطاف تقريبًا إلى الوقوع في حبها. استمر في العمل مع "إيرني"، أما "كولين" فتقاعد. عاش "جافين" في المنزل الجديد لفترة، يجلس في الصباح داخل المبنى الزجاجي في انتظار البداية الصحيحة لليوم، لكن صار المنزل واسعًا جدًّا على شخص واحد، خاصة مع عدم وجود "سوزان" في المنزل تقريبًا، ولهذا باعاه واشتريا شقة في مشروع إسكاني جديد بالقرب من نهر "لاجان". كان "جافين" ينام على الأريكة بالصدفة في تلك الأيام النادرة التي تقضيها "سوزان" هناك. اشتكى الجيران من صوت الموسيقى الصادر

من شقته في أوقات متأخرة من الليل، أما والدته نزيلة دار المسنين، فرفضت أن تموت.

حاز "مركز الجمهور" المركز الثالث في مسابقة تصميم معماري وكُتب مقال مطول عن الجائزة في جريدة محلية، حيث أجريت مقابلات مع بعض المراهقين وطبيب واحد حول استخدامات المبنى المتعددة وأرفقت مع المقال نبذة قصيرة حول الشركة المعمارية المُصمِّمة للمبنى، وهي "ثاناثيس"، وأيضًا نشرت صورة صغيرة الحجم لـ"سوزان" مع المقال. صار "مركز الجمهور" جزءًا من نسيج المنطقة بعد زوال الضجة حوله كأي مبنى آخر، وغذى ضوء الشمس نمو الأعشاب الضارة في ساحاته الخلفية المهملة.



العشاء الأخير



كان القطع الطويل بقماش الأريكة المغطاة بالجلد الصناعي قد تم بفعل نصل حاد، والفاعل - أيًّا كان - غرس يده بها واقتلع كتلة وافرة من الإسفنج المبطن لها كي يحتفظ به كتذكار، وهكذا ستبدو دائمًا - ومهما أُصلحت - وكأنها خرجت من ساحة حرب. من كان يجلس في هذا المكان اليوم؟ إلى منضدة رقم 4 المنخفضة بجوار النافذة؟ جلس إليها الشباب الأربعة الذين خرجوا لتوهم من صالون الحلاقة، والذين انتهى بهم المطاف لمصارعة بعضهم بعضًا في حالة من المرح الصبياني، ولكن من الظلم إلصاق الأمر بهم، لأن الفاعل قد يكون أي شخص آخر.

أشار "آندي" إلى الأريكة لافتًا إليها نظر "جيك".

قال "جيك":

- لا أعرف أي شيء عنها. لم أرَ أي شيء.

رد "آندي":

- أعرف يا "جيك". كنت فقط ألفت نظرك إلى شيء فعله شخص آخر.

هزت "روزالين" رأسها.

الكنيسة حائرة حيال المقهى الذي تديره بالتعاون مع مؤسسة خيرية معنية بالصحة النفسية، كي توفر فرص عمل لمن يحتاجون إليها. عمل طيب، لكن هناك العديد من المشروعات القيمة التي لها أن تقدم العون لعدد أكبر من الناس، أما هذا المكان فيتحمل خسارة مادية كبيرة. اعتبر أعضاء الكنيسة هذا المقهى مشروعًا جديرًا بالاهتمام بشكل عام، إلا أنهم مع ذلك لا يميلون إلى زيارته باستمرار. فضَّل مرتادو الكنيسة الأكبر سنًّا جوًّا أكثر رحابة وراحة، أما الأصغر سنًّا فآثروا الذهاب إلى ساحة قريبة من الكنيسة

في المساء، حيث يعزف المطربون الجذابون - غالبًا – الأورج الكهربائي أو أحيانًا "الأوكوليلة"، ويغنون أغانيَ تذكرهم بالمسيح... أو بأحبائهم.

كان "جسترز" هو اسم المقهى، وكانت الصور المطبوعة على قائمة الطعام القديمة عليها صور لمهرج من العصور الوسطى، لكن عندما ذهب "آندي" لطباعة قائمة الطعام الجديدة، عرض عليه المسؤول صورة لـ"جوكر" الكوتشينة، وسأله إن أراد طباعتها بدلًا من المهرج. وافق "آندي" على أساس أنهما تقريبًا الشيء نفسه. عندما وصلت القوائم الجديدة وعليها صورة الـ"جوكر"، اتضح أيضًا أنه قد سمح لنفسه بدمج أوراق كوتشينة أخرى في التصميم. تم وضع "ملكة القلوب" فوق قسم الحلويات، وفوق قسم الإفطار وُضِع "الملك".

استاء أحد أعضاء الكنيسة من القوائم بشدة عندما زار المقهى بالصدفة، مشيرًا إلى أن تلك القوائم الجديدة لا تليق إطلاقًا. كيف تسنى لـ"آندي" أن يظن هذا مقبولًا على الرغم من موقف الإنجيل المعارض تمامًا للعب القمار؟ ألم يقرأ إنجيله؟ رد "آندي" أن هذه مجرد قائمة، وأن الزبائن لا يلعبون أي ألعاب ورق في المكان، إلا أن ممثل الكنيسة أصر على عدم استخدام القوائم. ستكون إعادة الطباعة مكلفة ومرهقة، لهذا ذهب "آندي" إلى "شوب كويك" واشترى بضعة أقلام سوداء، وأمر جميع العاملين بتظليل الصور المسيئة. قضى كل من "ريبيكا" و"جيك" الوقت في اللعب بالأقلام، يلطخان أجساد ووجوه بعضهما بها، أما "روزالين" فظللت الصور بدقة فائقة، واكتفى "جي دي" بمشاهدتهم من بعيد. قال معلقًا إن الصور المظللة،

تحديدًا صور "الجوكر" والـ"الولد" بدت الآن شيطانية بالتأكيد، وقد كان محقًّا. بدت الشخصيات المظللة بالأسود شريرة!

لم يكن لدى "آندي" أي شك بأن الموظفين الذين عمل معهم على مر السنين في مقاهٍ ومطاعم أخرى كانوا يواجهون صعوبات ويعانون مشكلات أيضًا، لكن تلك الصعوبات والمشكلات لم يتم الاعتراف بها رسميًّا كما اعتُرف بها في هذا المقهى. في هذا المقهى كل شيء بسيط: حساء، وخبز "السكونز" الإنجليزي، وشطائر ساخنة، وبطاطس مخبوزة، ولفائف، وكعك، ولا يُطلب منهم استخدام مهارات طهو رفيعة المستوى. لاحظ "آندي" عندما بدأ العمل في المقهى أن كمي قميص "روزالين" - الذي دائمًا ما ارتدته تحت زي العمل الرسمي في "جسترز" - مبتلان طوال الوقت. خاطبها:

- ألا تشمرين هذين الكُمَّين يا "روزالين"؟ لقد بللتهما تمامًا.

راحت تشمر كُميها ببطء، عندها فقط فهم "آندي":

- لا، ربما يجب أن تنزليهما ثانية.

أما بالنسبة إلى "ريبيكا" فكانت تربط "التي شيرت" بعقدة كبيرة في الظهر حتى يضيق من منطقة الصدر. لا شك أن المقاس هكذا أكثر ملاءمة، لكن بدا له هذا غير ضروري، لكن "آندي" لا يريد أن يعلق على هذا الآن.

من المستبعد أن يأتي مزيد من العملاء عندما تدق الساعة الرابعة.

يسأل "جي دي":

- هل يمكننا إيقاف هذه الموسيقى المزعجة الآن؟

يرد "جيك":

- إنه "آفيتشي" - Avicci.

قال "جي دي":

- لم أسأل عن اسمه. هل يمكن أن نوقفها؟

ردت "روزالين":

- إنها موسيقى شبابية يا "جي دي".

رد "جي دي":

- إنها موسيقى تسبب الصمم.

قالت "روزالين":

- لا تُعره اهتمامًا يا "جيك"، فهو لا يزال يعيش في الثمانينيات.

رد "جي دي":

- ليتني أفعل.

قالت "روزالين":

- لا توقف هذه الموسيقى يا "جيك"، اتركها إن كانت تعجبك.

قال "جي دي":

- قد أكون لا أزال عالقًا في الثمانينيات يا "روزالين"، لكن قَصَّة شعرك هذه تجعلك وكأنك عاصرت ميلاد موسيقى "الروك والرول" حينها. انظري! ها هي فرقة "بيل هيلي آند هيز كوميتس" - Bill Haley & his Comets! لا، لا، إنها "روزالين ماكين".

قال "جيك":

- أنا لا أحب "آفيتشي" من الأساس، أوقف الموسيقى إن أردت، لا يهمني.

نادى "آندي" "ريبيكا" طالبًا منها إعادة نباتات "الجيرانيوم" التي تنمو في صناديق خشبية والطاولات والمقاعد التي يستخدمها المدخنون داخل المقهى استعدادًا لغلق أبوابه.

قالت "ريبيكا":

– تطلب هذا مني أنا؟ حقًّا؟ في الواقع أجد تلك الأشياء صعبة التحريك يا "آندي".

قال "آندي":

– لم أكن أعلم أنها ثقيلة إلى هذا الحد.

ردت "ريبيكا":

– نعم، إنها ثقيلة إلى هذا الحد.

قالت "روزالين":

– لا، هذا غير صحيح.

ردت "ريبيكا":

– ربما لا تكون ثقيلة بالنسبة إليك، ولكنها ثقيلة بالنسبة إليَّ.

قالت "روزالين":

– هذا لأنك لا تكلفين نفسك عناء القيام بأي مجهود.

ردت "ريبيكا":

– لا تظني أن الآخرين مثلك؛ يشبهون الرجال ضخام القامة الذين يسهل عليهم حمل الأشياء الثقيلة يا "روزالين".

قالت "روزالين":

- الآخرون ليسوا مدللين أيضًا.

قال "آندي":

- توقفا من فضلكما يا سيداتي.

بدأ "جي دي" في تنظيف الأسطح. قال له "آندي":

- انتظر لمدة خمس دقائق ثم اقلب اللافتة. لا تزال الطاولتان الخامسة والسادسة فقط مشغولتين، وبالتأكيد سينصرف العملاء الجالسون إليهما قريبًا.

تجمع "روزالين" صناديق نباتات "الجيرانيوم" والطاولات والمقاعد، وأيضًا لافتة "جسترز". يخاطبها "آندي":

- هل يمكنك أن تعتني بالمقهى قليلًا حتى أعود من مشوار سريع؟

أراد "آندي" أن يشتري شريطًا لاصقًا وأن يصلح الأريكة قبل نهاية اليوم، لأن الأشياء حين تُهمل تتلف بسرعة.

حصل "آندي" على الوظيفة في "جسترز" عن طريق الكنيسة، حيث كان في تلك الأيام الأولى يذهب إليها مرة كل ليلتين تقريبًا لحضور فاعلية أو أخرى، مثل المناقشات والندوات والورش وأمسيات التسبيح. كان هذا عندما ملأه سحر البدايات. في اجتماع عقد بإحدى الأمسيات ذكر أحد الأعضاء أنه يبحث عن مشرف ليعمل بالمقهى التابع للكنيسة. حسنًا، حينها لم تكن لديه وظيفة. هل تسترعي الوظيفة اهتمامه؟ نعم، لكن هل لديه أي خبرة سابقة؟ إنهم بحاجة إلى شخص يعرف ما يفعل. كان مطعم الأكل اللبناني الفاخر الذي عمل فيه "آندي" سابقًا، واسمه "ليالي

جبيل"، قد أُغلِق منذ فترة قصيرة، لأن الناس في "بلفاست" تقريبًا كانوا بحاجة إلى "ليالي جبيل" تمامًا كما يحتاج الناس في "جبيل" بلبنان إلى ليالي "بلفاست". لم يمضِ وقت طويل حتى وجد نفسه جالسًا بمكتب مؤسسة خيرية، حيث طُلب منه الحضور لمقابلة عمل قصيرة غير رسمية.

كان "آندي" في طريق العودة إلى المقهى عندما رأى بابه ينفتح، ويعبر منه شاب وفتاة يغادرانه. كانا يضحكان، وتوقفا لحظة للنظر إلى داخل المقهى من خلال نافذته الزجاجية قبل أن يستمرا في السير، ثم خرجت "ريبيكا" مسرعة.

صاح "آندي":

- "ريبيكا"! ماذا حدث؟

رأى "روزالين" جالسة إلى إحدى الطاولات مع سيدتين.

خاطبه "جي دي":

- هذا الأمر يحتاجك.

سأله:

- ماذا تعني؟

رد "جي دي":

- سترى.

قالت "روزالين":

- "آندي"، ألا تأتي للحظة؟ أعتقد أن السيدتين هنا بحاجة إلى الحديث إليك.

غمز له "جي دي" وقال:

- حظ سعيد.

إحداهما تشرب المياه، والأخرى تنظر إليه بترقب.

قالت السيدة الأولى:

– تأتي إلى هذا المكان، لترى منظرًا لا تتوقعه. تتوسم في هذا المكان الخير، ثم تكتشف خيبة أملك.

تقول صديقتها:

– تظن أنك تقوم بواجبك عندما تأتي إلى مكان كهذا. تعلم أنك ربما غير مضطر لهذا، لكنك تقرر المجيء. تكثر المقاهي التي لا تستطيع ارتيادها في المنطقة، فالمنطقة مكتظة بالمقاهي.

تساءل "آندي":

– هل من مشكلة؟

ردت السيدة وهي تلوح بيدها:

– هناك مشكلة بالتأكيد. ليس هذا ما أتوقع رؤيته عندما آتي إلى مقهى، وبالتأكيد عندما آتي إلى مكان تتبع فيه تعاليم الدين مثلما يُفترض في هذا المكان. ألا يُتَّبع الدين في هذا المكان؟

قال "آندي":

– اعذريني، لا أفهم.

قالت السيدة:

– ذهبت إلى المرحاض قبل أن نمضي، وعندما فتحت الباب، تخيل ما رأيت؟! أتعلم ما رأيت؟ رأيت شخصين في مرحاض مقهاك.

قالت صديقتها:

- كانا يمارسان الجنس، أتفهم؟

قال "آندي":

- لا. حقًّا؟ هناك؟

نظر باتجاه المرحاض الوحيد في المكان: مرحاض واحد للجنسين، ضيق، الباب يرتطم بالحوض، الصابون اللزج وفرشاة تنظيف المرحاض لا يزال عليها "الباركود". يبدو هذا صعبًا من الناحية العملية، ولكن يبدو أن هؤلاء الذين رآهما ينصرفان من المكان قد تمكنا منه.

تساءل:

- هل أنت متأكدة؟

ردت:

- أنا متأكدة يا بني.

قالت صديقتها:

- يفعلان هذا ثم يمسكان لفائف السجق وغيرها من أنواع الطعام. أتفهم.. إنهما يخرجان بعدها ويتعاملان بعدها مع الطعام.

قال "آندي":

- لحظة، بالتأكيد لا تعنين أن هؤلاء يعملان هنا؟

ردت:

- لا، هذا ما أعنيه بالضبط.

التفت "آندي" تجاه الـ"كاونتر" الذي وقف وراءه "جي دي" و"روزالين" يتابعان الموقف.

قالت السيدة:

– لا، ليس هؤلاء. لا أعني هؤلاء. أعني الأصغر سنًّا.

قالت صديقتها:

– إنهما حتى لم يغلقا الباب. تخيل حتى عدم إغلاق الباب. أنت تغلق الباب إن أردت فقط قضاء حاجتك.

قالت السيدة:

– لم يلحظا وجودي. كانا منهمكين في فعلتهما جدًّا.

كان من الواضح أن حادثًا كهذا قد يصل إلى الصحافة؛ صورة لهذه السيدة وقد اعتلت وجهها نظرة رصينة، وصففت شعرها لتوها، وجلست في سلام في غرفة معيشتها، ترتشف كوبًا من الشاي الذي تم تحضيره في مطبخها الآمن من كل ما هو جنسي، وهكذا ينتهي المقهى.

قال "آندي":

– يجب ألا يحدث شيء كهذا. يا لها من صدمة، صدمة كبيرة لك، وكل ما أستطيع قوله إنني آسف جدًّا.

صمت لبرهة، ثم استطرد:

– ولكن كل ما أطلبه منك.. أعرف أنني الآن أطلب منك أن تقدمي لي خدمة عظيمة، ولكن هل ستتكتمين على هذا الحادث؟ ثقي بأنني سأتعامل مع الفاعلين، وأن هذا لن يحدث ثانية، ولكن هل يمكن أن يبقى هذا الأمر بيننا؟

قالت:

– حسنًا، ولكن..

رد:

- سأتصرف مع من أقدم على هذا الأمر. ولن يُكرر ثانية أبدًا.
قالت:
- لا أعرف.
رد "آندي":
- أرجوك.
تقول:
- عمومًا أُفضِّل أن أنسى ما رأيت.
تكمل صديقتها:
- ثم إن العاملين هنا يعانون الجنون، أليس كذلك؟
كان "آندي" على وشك الاعتراض، إلا أنه قرر ألا يفعل، ورد موافقًا:
- إنه ليس مقهى معتادًا.
ردت:
- لا، فليوفقهم الرب.
أعطى السيدتين بطاقتي ولاء، وختمهما سبع مرات. علقت الصديقة:
- هذا يعني أن قهوتنا مجانًا المرة المقبلة!
أعطاهما "آندي" الشرائح الأولى من كيك "بافلوفا" الجديدة في عبوة.
قالت الصديقة:
- حقًّا أحب أكل أول شريحة مقطوعة من الكعكة، ألا تحبين هذا أيضًا؟

عندما ذهبتا، وجد "آندي" "جيك" خارجًا من الجزء الخلفي للمقهى، وبيده سيجارة يدخنها.

قال "آندي" مخاطبًا "جيك":

- لا أصدق. يا له من حادث شنيع. يا للخزي. كيف جَرُؤت؟

حدق "جيك" إلى الأرض.

أكمل "آندي":

- ألم يكن بوسعكما أن تنتظرا حتى انتهاء العمل؟ أكان من المستحيل أن تجدا غرفة تجمعكما في أي مكان؟ ألم يكن لكما حتى أن تجتمعا في الحارة الضيقة في الخارج؟

قال "جيك":

- آسف.

قال "آندي":

- يا لها من محادثة أُجبرت عليها مع هاتين السيدتين.

كرر "جيك":

- آسف.

قال "آندي":

- الاعتذار سهل، أليس كذلك؟ تعتذر فقط لأنك ضبطت متلبسًا. يبدو أن شريكتك في الجريمة لم تنتظر فترة طويلة.

هز كتفيه.

قال "آندي":

- حسنًا، لا حاجة إليَّ أن أطلب منك تنظيف المرحاض الليلة، تعرف ما عليك فعله.

أومأ "جيك" برأسه قائلًا:

- حسنًا.

قال "أندي":

- أتمنى أن تدرك بشاعة فعلتك يا "جيك"، إنها ليست هينة.

رد "جيك":

- أعلم هذا. هل ستخبر "روني" و"ميشيل"؟

كان "آندي" قد قابل والدي "جيك" بالتبني مرة واحدة: وجهان اعتلتهما ابتسامة عريضة، جالسان في سيارة عائلية قذرة قديمة، وفي مقعدها الخلفي ثلاثة أطفال آخرين وكلبان.

تنهد "آندي".

قال:

- لا، غالبًا لن أخبر "روني" و"ميشيل".

يعقمون الأسطح. ينقعون الأكواب في محلول "التانين". يتولى "آندي" أمر "الكاشير"، ويكتب تقارير المبيعات، ويقارن الإيرادات بالرصيد المتاح، ويترك مبلغًا ماليًّا محددًا في "الكاشير"، ثم يضع النقود في الخزينة. يضع الإيرادات فيها أيًّا كانت. يدخل الفواتير على النظام، وينظف "جيك" المرحاض. يمسح "جي دي" الأرضية، ولكنه يتوقف ويلتقط الشريط اللاصق الذي تركه "آندي" على إحدى الطاولات. يقول:

- بمَ تلف حيوان "الهامستر" حتى لا ينفجر عندما تمارس معه الجنس؟

ردت "روزالين":

- لا أدري.

قال:

- الشريط اللاصق.

ردت "روزالين":

- ما المضحك في هذه النكتة؟ إنها ببساطة لا تستدعي الضحك.

حضَّرت "روزالين" كمية ضخمة من سلطة البطاطس منذ بضعة أيام. تنظر إلى تاريخ انتهاء الصلاحية.

تقول بحزن:

- يجب أن يتم التخلص منها الآن. يا للخسارة.

قال "جي دي":

- أعطني كمية كبيرة منها، وسآخذها للبيت.

قالت "روزالين":

- ولكنها فسدت.

رد "جي دي":

- أتظنين أن شركائي في المنزل سيلاحظون هذا؟

يعيش "جي دي" مع مجموعة من الناس فيما كان سابقًا منزلًا فسيحًا وأنيقًا بالناحية الأخرى من المدينة، إلا أنه قُسِّم منذ زمن إلى حجرات صغيرة باردة.

قالت "روزالين":

- حسنًا، إن كنت متأكدًا من أنهم سيأكلونها.

قال "جي دي":

- بالتأكيد سيأكلونها. قد آكل منها أنا الآخر.

قالت:

- إنني فقط لا أحب إلقاء الطعام في القمامة.

حصل "آندي" على خبرة دينية أدت به إلى الكنيسة، ثم المقهى في الليلة الثانية من حفل ما قبل الزواج الخاص بأخيه. في الليلة الأولى، شربوا الخمور مع الثلج الجاف، مما تسبب له في ارتجاع عصارة صفراوية فاقعة اللون. أما الليلة الثانية فلم يستمتع باستعراض الراقصة العارية، رغم أنه كان من المفترض أن يكون أهم فاعلية في الحفل. رآها "آندي" جالسة في الحانة قبل العرض، تتحدث إلى أحد بفمها الحزين وتأكل الشيبسي. رآها لاحقًا في غرفتها الخاصة، وقد تركت جواربها علامات على ساقيها، بدت ظاهرة تحت الإضاءة القوية البيضاء هناك. كان الجميع في الخارج يصفقون لها ويحيونها، ولكنه عاد إلى الفندق، ومعه غلاية مياه صغيرة وعبوات صغيرة من الحليب المبستر في منفضة سجائر قديمة.

استلقى على الفراش وشاهد التليفزيون، الذي خربت بعض أزرار جهاز التحكم عن بعد الخاص به. كان "آندي" قد تصفح دليل خدمات الفندق ذا الأوراق البلاستيكية، والذي أُدرِجَت فيه الخدمات المتوفرة في الفندق، ولاحظ أن أحد الأشخاص رسم عضوًا ذكريًّا على ورق مخصص لكتابة الخطابات. تساءل "آندي" عمن قد يريد إرسال خطاب من مكان كهذا على أي حال؟ توصل إلى أن أحد الأشخاص قد يود أن يكتب رسالة انتحار. لاحظ أيضًا أن شخصًا رسم ثلاثة صلبان معقوفة في الركن الأسفل من الورقة ناحية اليسار. قال الملف إن العائلات تتردد على الفندق

منذ خمسة وعشرين عامًا. فتح "آندي" الدرج الموجود بجوار الفراش، ووجد فيه أنبوب معجون أسنان وجوربًا وُضِعت فيه بضعة أوقية ذكرية. يبدو أن أحدهم توسم خيرًا في رحلته. كان هناك أيضًا نسخة من الكتاب المقدس تطبعه جمعية "جيديون" الإنجيلية، وقد لفته كمية بلاستيك أكبر من تلك المستخدمة في دليل خدمات الفندق. كان الورق شبه شفاف، وخط الطباعة مزخرفًا. اضطر أن يدقق بعينيه كي يستطيع القراءة.

قال لنفسه إنه يشبه شخصية "روكي راكون" من أغنية "البيتلز" الشهيرة. فتح بعض الصفحات على نحو عشوائي، وحاول أن يتذكر ماذا حدث لـ"روكي راكون".. هل أطلق النار على أحد الأشخاص، أم أطلقت عليه النار؟ لم يكن متأكدًا إن كان قد ظل يقرأ الإنجيل لدقيقتين أم لساعتين، لأن الوقت بدا له وكأنه ينحني وينهار، وبدأت بعض المشاعر العابرة التي لم يستطع قطُّ التعبير عنها من قبل أن تتخذ شكلًا أكثر عمقًا من الكلام. نظر إلى سقف الغرفة المتهالكة، والبقعة الرطبة في ركنه، إلى الشرخ الموجود حول المصباح الكهربائي والبقع الهلالية المتعددة التي سببها ارتطام كرة أحد الأشخاص المتسخة بالسقف، واجتاحه شعور بهشاشة كل شيء، وجمال كل شيء أيضًا. ها هو ذا قميص "مارتي" الملون وقد طواه أحدهم وكأنه كُم رسمه أحد فناني تلك اللوحات القديمة، وها هي المناشف البيضاء الناصعة على الأرض؛ ينظف الناس القذارة من الملاءات والمناشف على مر القرون، يفركون البقع والأوساخ، يشطفونها، تدور المياه حول البالوعة قبل أن تمتصها، وأحبال لا نهائية تحمل الغسيل، عالية في السماء، تؤرجحها الرياح القاسية.

أخرج "آندي" الملف الإداري عندما رحل الجميع وعم الصمت المكان، باحثًا عن البروتوكولات المختلفة المتعلقة بسوء التصرف في مكان العمل. كان واضحًا أن عليه التواصل مع مسؤول من المؤسسة الخيرية وآخر من الكنيسة، إلا أنه أغلق الملف وأعاده مكانه. بقي حتى وقت متأخر في المقهى. ظن بعض المارة أن المقهى مفتوح، وحاولوا فتح الباب. لماذا لم يأتوا خلال ساعات العمل عندما كان المقهى بحاجة إلى العملاء؟ ردوا:

- ظننا المقهى ربما يفتح أبوابه لمن يريدون إحضار المشروبات الكحولية الخاصة بهم وقضاء بعض الوقت يا رجل.

كانت هناك بعض المشكلات في الإضاءة التي ترتعش أحيانًا، ورغم قلة خبرة "آندي" في الكهرباء، فإنه وقف على إحدى الطاولات ليلقي عليها نظرة. من الممكن تحسين شكل المكان. قبل أن يتخذ اسم "جسترز" كان اسمه "كافيه سوسايتي"، وقبله كان "كافيه أوليفز". دخلت المالكة السابقة، "أوليف" نفسها، والتي صارت وكيلة بيع ثلاجات إلى المقهى أحد الأيام، واندهشت لعدم تغيير ديكور المكان، مضيفة أنها لا تذكر أن المقهى كان بهذا الضيق من قبل. كررت هذا التعليق عدة مرات. لم يقابلوا أيًّا من العاملين السابقين في "كافيه سوسايتي"، ولكن كثيرًا ما كانت تصل إليهم خطابات تحصيل ديون من أماكن متعددة في "بولتن". أخرج "آندي" كل ما في الثلاجة لينظفها، ثم انتقل إلى الشواية. كان "جي دي" قد مسح الأرضيات بالفعل، لكنه أعاد مسحها. حصلوا على ملصق "الخمسة نجوم" وعلقوه على الباب عندما فتش قسم صحة البيئة. نظافة طعام المقهى وسلامته: جيد جدًّا.

النظافة العامة: جيد. الثقة بالإدارة: عالية. هذا أسعده كثيرًا. يقص "آندي" أجزاءً من الشريط اللاصق بحرص ويضعه على الأريكة. من الصعب التمييز بين الشريط اللاصق الأسود والأريكة البنية تحت هذه الإضاءة، لكن على أي حال يضع وسادة فوق البقعة التي أصلحها. ستظل متماسكة لبعض الوقت. كان المسؤول الكنسي محقًّا: لا يعرف "آندي" إنجيله. لم يكن يعرف أسماء كل الأسفار، ولا ترتيبها، ولا أحداث كل القصص، ولا ردود المسيح، لكنه يحاول أن يكون إنسانًا خيرًا، فقط لا غير، وهل مطلوب أكثر من هذا؟ ما الأهم من هذا؟ الحياة الخيرة. في طريق العودة من حفل ما قبل الزواج، سأله "مارتي" عن اختفائه الليلة السابقة. قال "مارتي": "كان وجهك غائمًا جدًّا، ولم يكن بوسعي إلا أن أعطيك قرصًا مخدرًا، لكنك اختفيت". قال "آندي" لنفسه إن "مارتي" كان يمزح بالتأكيد. لا بدَّ أنه كان يمزح. ينظف "آندي" ماكينة القهوة مرة ثانية.

تنتظره "روزالين" بالفعل في المكان المعتاد في الصباح، مستندة إلى باب المقهى المغلق، وبجوار قدميها طلبية الخبز وعبوات الحليب. تخاطبه:

- صباح الخير يا "آندي".

خرج بخار الماء من بين شفتيها. أردفت:

- صباح بارد.

رد "آندي":

- هيَّا لنشغل نظام التدفئة بسرعة.

يشغل الأنوار، وغسالة الأطباق، والموقد، والفرن، والشواية، والسخَّان، وكشافات المطبخ. يتفقد التليفون، ويجد رسالة من "ريبيكا" تقول بصوت خافت إنها لا تشعر أنها على ما يرام، ولن تأتي إلى العمل اليوم. لا يتبقى إلا تشغيل غلاية المياه، وماكينة القهوة، والراديو. ينظف "آندي" جهاز قياس حرارة الطعام للمرة الثانية، ويرتب فواتير الطلبيات في الحافظة المخصصة للفواتير الواردة، ويعلق جداول نظافة الطعام في المكان الصحيح. يصل "جي دي"، ويهتف:

- رباه، الجو بارد جدًّا بالخارج.

- لقد تجمدت لمدة عشرين دقيقة في انتظار الأتوبيس.

رد "آندي":

- فلتشرب كوبًا من الشاي.

كانت "روزالين" قد بدأت في إعداد حساء الخضراوات. خاطبها "آندي":

- ربما يجب ألا تضيفي الكثير من الملح.

ردت "روزالين":

- لماذا؟ هل كان الملح كثيرًا من قبل؟

قال "آندي":

- لا أرى هذا بصراحة، لكن بعض العملاء قالوا إن ملحها كثير.

ردت:

- حسنًا، لن أضع بها ملحًا من الأساس.

قال "آندي":

- لا، ضعي الملح، لكن لا تكثري منه.

ردت:

– ربما علينا استخدام ملح البحر، فمن المفترض أن طعمه أكثر لطفًا.

تدخل "جي دي" قائلًا:

– كل ما في الأمر أنه يقول لكِ ألا تضعي كثيرًا من الملح اللعين في الحساء، لا أكثر ولا أقل. لا يهم إن كان ملحًا بحريًّا أو أي نوع آخر من الملح، لا تضعي منه كثيرًا، ولا تأخذي الأمور على نحو شخصي.

وصل "جيك"، وقد غطى رأسه بقلنسوة جاكيته.

قال "جي دي":

– انظروا من وصل للتو. ها قد وصل العاشق. أتسمع عن "نادي ممارسة الجنس في الطائرات"؟ هل هناك نادٍ مشابه لمن يمارسونه في المقاهي؟

خاطبه "آندي":

– كفى يا "جي دي". هلَّا تبدأ بخلط عجينة الفطائر المحلاة يا "جيك" عندما تصبح جاهزًا؟ كل المكونات على الطاولة في انتظارك.

دائمًا ما يشتري "آندي" بعض الصحف ليضعها على الأرفف، إلا أن العمال يلقون نظرة على الصفحة الأولى فقط ظنًّا منهم أنهم هكذا يحمونها من الاتساخ، وهذا ضرب من ضروب العبث. دائمًا ما يترك إبهام أحدهم بقعة زبد في الهوامش أو تجد رقائق المخبوزات مكانًا لها في الثنايا، حتى وإن قرأ الصحيفة واحد أو اثنان فقط من مرتادي المقهى. أحيانًا يأخذ بعضهم الصحف معهم كهدية مجانية، وإن حاول أحد العاملين

بالمقهى إثناءهم يردون: "يا إلهي، يبدو أنك تنظم أولوياتك بكفاءة، حتى تثور ثورتك بسبب هذا الورق الرديء".

قالت "روزالين":

- هل قررت "ريبيكا" ألا تأتي اليوم؟ قررت السيدة الفاضلة ألا تواجه العالم اليوم؟

رد "آندي":

- لا تشعر أنها بخير، لقد تركت لي رسالة.

ردت "روزالين" ساخرة:

- بالطبع، لا تشعر أنها بخير. بالتأكيد.

يحدق "جيك" إلى الوعاء.

تقول له "روزالين":

- لن تمتزج المكونات من تلقاء نفسها.

يقول "جي دي":

- لا يهمك يا بني. ما المشكلة بحق الجحيم؟ كان لي صديق - هذا يعود إلى سنوات - مارس الجنس في معسكر اعتقال نازي.

ردت "روزالين":

- هذا مستوى غير مسبوق من انعدام الاحترام.

قال "آندي":

- هذا حقيقي.

رد "جي دي":

- ما قاله صديقي.. لحظة واحدة حتى أتذكر ما قاله بالضبط، قال إن هذا تأكيد على الحياة في مكان يسيطر عليه الموت.

قالت "روزالين":

- هذا ليس مقنعًا إلى هذه الدرجة.

قال "آندي":

- نعم.

قال "جي دي" مخاطبًا "جيك":

- حسنًا يا صديقي، لقد مارست الجنس في مرحاض مقهى، لا معسكر اعتقال "بيلسن".

قال "آندي":

- سنناقش هذا لاحقًا. إنه ليس معسكر "بيلسن"، ولكنه مكان عمل. أريدك أن ترتب أدوات المائدة تلك بعد انتهائك من مزج خليط "السكونز". أتستطيع القيام بهذا؟ بعد ذلك أريدك أن تذهب إلى البنك لسحب بعض النقود.

يشك "آندي" أن مروحة الشفط لا تعمل بكفاءة. سيلقي نظرة عليها بنفسه، لأن إحضار متخصص سيكلفهم كثيرًا. يدخل بعض الزبائن المعتادين لتناول الإفطار. دائمًا تطلب تلك السيدة كوب قهوة ومعه كوب حليب دافئ كي تصبه بنفسها على القهوة. ينظر "آندي" إلى باب المرحاض. كانت هناك لافتة معلقة عليه تقول إنه "للعملاء فقط" لأن الناس كانوا يدخلون المقهى فقط لاستعمال المرحاض. دائمًا ما كانت تقع هذه اللافتة. كنت تخاطب هؤلاء الذين يستعملون المرحاض قائلًا: "إنه

للعملاء فقط. ألم تقرأ اللافتة؟"، وكانوا يردون "أي لافتة؟"، وتجدها واقعة على الأرض.

دخل رجل في منتصف النهار مرتديًا بذلة وقميصًا وقد ترك الزر الأول به مفتوحًا، ولا يرتدي ربطة عنق. جلس إلى الطاولة، وأخرج بعض الملفات البلاستيكية ولابتوب، وعندما اقترب "آندي" حيَّاه بحرارة قائلًا:

- "آندي"! كيف الحال؟

نظر "آندي" إلى بطاقة اسمه التي لا يثبتها الدبوس على نحو صحيح، ولهذا هي دائمًا مائلة. أحيانًا يفعل الناس هذا: يقرؤون اسم النادل ويكررون استعماله كمزحة. "ألديكم صلصة حمراء يا "آندي؟"، "شكرًا يا "آندي"، "هل يمكنك أن تأخذ هذا الطبق يا "آندي؟"، "متى تغلقون المحل يا "آندي"؟ مزحة مسلية حقًّا للكثيرين. يرفض "جي دي" ارتداء بطاقة الاسم.

رد "آندي":

- كل شيء على ما يرام. كيف حالك أنت؟

تساءل الرجل:

- هل نسيت؟

رد "آندي":

- نسيت ماذا؟

قال الرجل:

- التقييم نصف السنوي؟

نظر "آندي" إلى الرجل، ثم إلى الأشياء الموجودة على الطاولة. نظر إلى العنوان المطبوع على الورق، مكتوب بحروف صغيرة لطيفة. جاء هذا الرجل من المؤسسة الخيرية. كيف نسي اليوم؟ لقد رسم دائرة برتقالية كبيرة على اليوم في تقويم السنة. يستطيع أن يتذكر شكل الدائرة. لم يكتب القلم عند أول محاولة، ولهذا هناك "شخبطة" أخرى بجوار الدائرة.

يقول الرجل وهو يشد على يد "آندي":

- لا أظننا تقابلنا من قبل. اسمي "آيدان". سعيد بلقائك يا رجل.

يقول "آندي" إن هذا صحيح، لا يظن أنهما تقابلا سابقًا. جاءت سيدة من قبل لتجري تقييم "روزالين" نصف السنوي.

قال "آيدان":

- نعم، كانت "كارول"، وأنا مديرها المباشر. أنا نائب مدير الخدمات.

قال "آندي":

- حسنًا.

دار ببصره في المقهى، وقال:

- أظن أن "ريبيكا" ستنضم إلينا؟

رد "آندي":

- لا، لقد تواصلت معنا صباح اليوم وقالت إنها مريضة.

تساءل "آيدان":

- متى تحديدًا؟

رد "آندي":

- في الصباح الباكر.

قال "آيدان":

- حسنًا، لا يهم يا "آندي"، ولكن كان من الأفضل أن تخبرني. من الصعب إعطاء التقييم مع غياب "ريبيكا".

قال "آندي":

- ربما قد يروق لك أن تأتي مرة ثانية؟

رد "آيدان":

- لا، يا "آندي". كل شيء على ما يرام. لا توجد مشكلة إطلاقًا، ولكنني أظن أن علينا بدء العمل.

قال "آندي":

- بالتأكيد. هل تريد بعض القهوة؟

رد "آيدان":

- لا، شكرًا يا صديقي، لا أحب القهوة.

شغَّل "آيدان" اللابتوب، وأخرج بعض المستندات من ملف، وقال:

- حسنًا، هيَّا بنا. ما انطباعك العام عن "ريبيكا"؟

رد "آندي":

- نعم.

قال "آيدان":

- انطباعك العام هو "نعم"؟

قال "آندي":

- أعني.. انطباعي العام.. جيد.

تساءل "آيدان":

- مثلًا، انضباط المواعيد.. عمومًا منضبطة؟

قال "آندي":

- نعم.

استطرد "آيدان":

- الحضور، باستثناء اليوم طبعًا، تقييمك جيد عمومًا؟

قال "آندي":

- جيد.

رد "آيدان":

- حسنًا. لننتقل إلى قدرات "ريبيكا" التنظيمية. ما تقييمك لها؟

قال "آندي":

- جيدة.

أكمل "آيدان":

- ماذا عن المهارات التنظيمية؟

قال "آندي":

- حسنة، ولكن لا يُطلب منها تنظيم الكثير هنا أساسًا.

قال "آيدان":

- أرى من البيانات التي تم تسليمها أن "ريبيكا" في الواقع كفؤة جدًّا. لقد اجتازت عددًا كبيرًا من الاختبارات.

رد "آندي":

- صحيح.

استطرد "آيدان":

- سوف تترقى إلى وظائف أعلى مرتبة وأفضل بمرور الوقت.

قال "آندي":

- أظن هذا.

تساءل "آيدان":

- ماذا عن تفاعلها الاجتماعي مع الجمهور ومع أعضاء الفريق الآخرين؟ تقييمك جيد؟

ألقى "آندي" نظرة خاطفة على باب المرحاض، وقال:

- جيد، مستواها جيد. لكل موظف هفواته في أي مكان عمل.

تساءل "آيدان":

- بمعنى؟

رد "آندي":

- من الواضح أن هناك شخصيات متعددة هنا، أشخاص مختلفون.. مختلفون من ناحية..

قاطعه "آيدان":

- بالتأكيد. ربما كان يجب عليَّ أن أوضح لك هذا مبكرًا يا "آندي": يهمنا رأيك ورأي عميلنا، تحديدًا حيال بيئة العمل وكونها مرضية للعميل أم لا، فيما يخص هذا التقييم. إن لم تكن طبيبًا، ومع كامل احترامي، فأنت لست كذلك.. أعتقد أنه من غير اللائق أن نستخدم هذا النوع من الخطاب.

رد "آندي":

- ليس لديَّ في ذلك رغبة.

قال "آيدان":

- أردت فقط أن أوضح لك هذه النقطة يا "آندي".

رد "آندي":

- إنها واضحة.

فكر "آندي" في زهور كبيرة تنفجر في أثناء تفتحها على سجادة متعبة، والمرور بيده على بلاستيك أحمر، والشِعر الذي احتضنته بقعة رطبة في السقف.

قال "آيدان":

- حسنًا يا "آندي"، عمومًا ليست لديك أي مشكلة مع "ريبيكا"؟

هناك قائمة مفصلة بثمانية وثلاثين نوعًا من المخالفات الجسيمة التي قد ترتكب في مكان العمل في الكتيب، عدا هذا النوع، لأن لا أحد فكر في إدراجه. لا يمكن تخفيف هذا النوع من "مخالفة جسيمة" إلى "مخالفة كبيرة"، لأن المخالفات الكبيرة تتضمن أفعالًا مثل "اللهو في أثناء العمل"، و"إضاعة الوقت على نحو متعمد".

قال "آندي":

- لا، كل شيء على ما يرام عمومًا.. بالشكل المتوقع، وهذا ينطبق أيضًا على "جي دي" و"جيك" و"روزالين".

رد "آيدان":

- إذًا، في ظل غياب "ريبيكا" أظن أننا على وشك الانتهاء. عادة ما نستغرق وقتًا أطول، لضرورة وجود حوار يشترك فيه العميل. إن هدفنا هو..

توقف للحظة ثم استطرد:

- الجدل.

لم تكن إطلاقًا المرأة التي جاءت من قبل شغوفة ومتحمسة نحو "الجدل" هكذا. يذكر "آندي" أنها فقط أرادت أن تعلم إن كان يريد في المستقبل تغيير أعضاء الفريق.

تساءل "آيدان":

- هل تريد أن تتأمل في العملية؟

قال "آندي":

- أي عملية؟

رد "آيدان":

- العملية التي تمت للتو.

نظر "آندي" باتجاه "روزالين"، التي جلست على يديها وركبتيها، منحنية إلى الأرض لتنظف بقعة عليها، وإلى قائمة الطعام الملصقة على نافذة المطعم، وإلى بطاقات "الكوتشينة" المطبوعة عليها.

رد "آندي":

- لا أظن هذا.

قال "آيدان":

- إذًا لم يبقَ إلا توقيعك. أحتاج إلى توقيعك هنا وهنا، فقط لإثبات كل ما تم. ها قد انتهينا. ووقِّع هنا أيضًا. حسنًا.

أغلق "آيدان" اللابتوب ووضعه في حقيبته، ومعه الأوراق، ثم خاطب "آندي" وهو يغادر المكان:

- هل زرت مطعم "سليمز كيتشن" من قبل؟ لا؟ "سليمز كتشين" مكان جميل.

راقب "آندي" رأس "آيدان" وهو يبتعد حتى اختفى على الطريق.

صاحت سيدة:

- "توتي"! "توتي فروتي"!

مر كلب كبير الحجم وهو يجر وراءه سلسلته.

صاحت السيدة مرة أخرى:

- "توتي فروتي"!

ولكن الكلب لم يلتفت إليها. حاول "آندي" اللحاق بالسلسلة، لكنها انزلقت من بين أصابعه، فتبع الكلب. ظل الكلب يسبقه ببضع أقدام حتى وصل إلى محل "شوب كويك"، ووقف، وبدأ في الدوران حول نفسه ومعه السلسلة. يحيط به مجموعة من الشباب يضحكون ويهتفون:

- أمسكه! لقد كاد يجن! أمسك السلسلة.. لقد أمسكتها!

لكن الكلب حرر نفسه ثانية، وطارده الشباب، والسيدة ما زالت بعيدة عنه، وتنادي اسمه بلا جدوى.

دخل "آندي" محل "شوب كويك". رأى الحلوى المتنوعة أمامه، والموازين وأجهزة صناعة الشطائر على اليسار. سمع الأصوات المتداخلة لصفٍّ من ألعاب الأسماك الآلية تتحرك وتغني، لأن أحدهم ضغط على أزرار التشغيل للمجموعة كلها. هناك لافتة كُتب عليها بخط لامع أن هناك عرضًا على

مشروب "الكافا" بالتوت (غير الكحولي). أمسك إحدى الزجاجات. هناك مجموعة من الكعكات ذات السعر المخفض، ومكتوب عليها أنها تم خبزها في مطبخ ريفي. يشتري كعكة "باتنبيرج" واحدة.

كان "جيك" قد رجع من البنك بالفعل عند عودة "آندي" إلى المقهى. قال "جيك":

– كان هناك صف انتظار طويل. استغرق الأمر وقتًا طويلًا.

قال "آندي":

– هذا معتاد. يذهب الجميع إلى هذا البنك، لأنهم أغلقوا الاثنين الآخرين.

قال "جي دي":

– ربما توقف لاحتساء مشروب كحولي في الطريق، أليس كذلك يا "جيك"؟ هل سمعت عن "سبريتاس"؟ درجة الكحول فيه 95%.

قالت "روزالين":

– كنت أظن أن هذا اسم مركز ترفيه. لقد انتهيت من إعداد عجين "السكونز" الذي كان عليك إعداده بالمناسبة يا "جيك".

رد "جيك":

– حقًّا؟ حسنًا.

قالت "روزالين":

– إذًا، لم تنعم علينا السيدة الفاضلة برؤياها اليوم. هل تشعر أنها بحال أفضل؟

لا يزدحم المطعم وقت الغداء. ظَلّ الطعام تحت أضواء المطبخ حتى صار مقرمشًا، ثم جافًا. دار "جي دي" على مرتادي المطعم ومعه براد

القهوة، سائلًا إياهم إن أرادوا إعادة ملء أكوابهم، في حين وضع منشفة صغيرة بعناية على ذراعه. الأمر كله مجرد مزحة بالنسبة إليه. ما زال هناك الكثير من الحساء الذي تعده "روزالين" في قدر الطبخ. يأتي بعض عمال الموقع القريب إلى المقهى ويطلبون طعامًا مقليًّا، ولكنهم يريدون المغادرة عندما يقال لهم إن المقهى لا يطبخ المقليات. تسألهم "روزالين":

- لدينا حساء. أتريدون بعض الحساء؟

ينظرون إلى بعضهم بعضًا، ويقول أحدهم:

- لا، لا نريد الحساء، شكرًا.

قال "جي دي" إنه عندما كان متزوجًا، اعتاد هو وزوجته طبخ دجاجة مشوية كل يوم أحد، مع حساء بالعظام. كان وقتًا طيبًا دائمًا.

قال "آندي":

- كنت متزوجًا يا "جي دي"؟ لم أكن أعلم هذا.

رد "جي دي" بهدوء:

- نعم، منذ وقت طويل جدًّا.

اليوم، يدخل "جيك" صناديق الزهور التي تزين المقهى من الخارج، ويجمع الطاولات والمقاعد ويخزنها بين الأرائك الموجودة بجوار نافذة المقهى، ثم يتساءل إن كان باستطاعته مغادرة العمل مبكرًا اليوم لأن لديه موعدًا في المستشفى.

قال:

- أخبرتك عنه الأسبوع الماضي.

تذكر "آندي" وقال:

- نعم، لديك موعد. فلتنصرف إذًا، وسنقوم نحن بالتنظيف.

قال "جيك":

- "آندي".

رد:

- نعم؟

قال "جيك":

- أنا آسف.

رد "آندي":

- فلتنسَ الأمر. لا يهم، ولا تقلق أبدًا. ولكن يا "جيك"، هل تعلم أنك لن تعمل هنا لبقية عمرك؟

هز "جيك" كتفيه.

قال "آندي":

- ألا يمكنك أن تفكر في أي خطوة مستقبلية قد تحب اتخاذها؟

رد "جيك":

- لا أعرف. لا أستطيع التفكير في أي عمل آخر الآن.

قال "آندي":

- أنا متأكد أن هناك الكثير من الوظائف التي تناسبك.

تساءل "جيك":

- مثل؟

رد "آندي":

- لا أعرف، ولكن على أي حال فلتذهب إلى موعدك، وإلا ستتأخر.

يقلبون اللافتة، ويعقمون الأسطح ثانية. ينقعون الأكواب في محلول "التانين". يتولى "آندي" أمر "الكاشير"، ويكتب تقارير المبيعات، ويقارن الإيرادات بالرصيد المتاح، ويترك مبلغًا ماليًّا محددًا في الكاشير، ثم يضع النقود في الخزينة. يضع الإيرادات كيفما كانت. يدخل الفواتير، وينظف "جيك" المرحاض. يمسح "جي دي" الأرضية، ويرقص رقصة خفيفة مع شريكته في الرقص؛ وهي عصا المسح، ويغني.

قالت "روزالين":

- ألا تتوقف عن هذا بحق السماء؟

تتفقد درجة برودة الثلاجة والمُجَمِد وتكتبها.

يضعون اللمسات الأخيرة في المكان، ثم يخاطب "جي دي" "آندي" قائلًا إنه يريد أن يريه شيئًا:

- انظر يا "آندي". أظن أنني لا أبالغ إن قلت إن هذا لن يعجبك. تعال، ولا تدع "روزالين" ترى هذا.

كان تليفونه المحمول أمامه، ومفتوح عليه صفحة "جسترز" على الإنترنت، وهناك تقييم "نجمة واحدة" تركه شخص يدعى "مالكوم ماكورت"، وصورته الشخصية صورة سيدة ترتدي "البكيني" وتركب دراجة.

قال "آندي":

- وماذا في ذلك؟ لقد أعطانا الناس تقييمات سيئة من قبل. لا يهم.

قال "جي دي":

- لا، فلتقرأ ما كتبه.

أخذ "آندي" منه الموبايل، وقال:

- حسنًا.

"من الأفضل لك ألا تذهب إلى هذا المكان إلا إذا أردت أن تطبخ طعامك شاذة بدينة ومدمن كحوليات، ولكن الأهم من ذلك إن كان ليس لديك اعتراض على ممارسة الجنس في المرحاض.. لا يا صديقي.. لا أمزح.. لقد حدث هذا للتو، وكنا هناك. أهلًا بك في مستشفى الأمراض العقلية".

قال "آندي":

- سيتم مسح هذا التقييم، سأبلغ عنه.

رد "جي دي":

- ولكن لقد تمت مشاركته ست مرات بالفعل، علق أحدهم عليه قائلًا "يا إلهي.. هاها".

أدار "آندي" بصره حول المقهى. لا تزال ماكينة القهوة تلمع من الخارج.

قال "جي دي":

- لكن يجب عليهم مراعاة الحقائق. لم أعد مدمن كحوليات منذ 2009.

قال "آندي":

- لن يهتم أحد.

ولكن هناك احتمالية كبيرة أن تكتشف الكنيسة ما حدث، وسيكون هذا هو العذر الذي يبحثون عنه لإغلاق المقهى. سيطالعون توقيع "آندي" على

مستند "آيدان" الذي يفيد بأن الفتاة التي مارست الجنس في المرحاض لا غبار عليها من أي ناحية كموظفة.

تساءلت "روزالين":

– عمَّ تتحدثان يا رفيقي؟

قال "آندي":

– لا شيء، كنت فقط أطلب منه الجلوس لدقيقة أو اثنتين، لا أكثر ولا أقل.

أخرج مشروب "الكافا" غير الكحولي وكعكة "باتنبرج"، ووضعهما في منتصف الطاولة.

قال:

– فكرت أن نجلس قليلًا، فنحن في نهاية اليوم على أي حال.

قالت "روزالين":

– نعم.

أدخلت يدها في كُم قميصها، واستطردت:

– نعم، فلتأت يا "جي دي" وتجلس هنا.

ثم قالت:

– لكن أتعلمان؟ يمكننا تجميل المنظر. ذهبت إلى الغرفة الخلفية وأحضرت غطاء طاولة من الورق الأبيض، ووضعته على الطاولة الطويلة وفردته.

تساءلت:

– ألدينا كؤوس خمر؟

قال "جي دي":

- فلتستخدمي هذه، كنا نستخدمها في عمل "الآيس كريم الصانداي"، عندما كنا نقدمه هنا.. تلك الأكواب الصغيرة.

يجلسون حول الطاولة؛ "روزالين" و"جي دي" و"آندي".

يقطع "آندي" الكعك، وتظهر ألوانها الصفراء والوردية التي تشتهر بها "الباتنبرج" من الداخل، ويأخذ كل منهم قطعة.

قال "جي دي":

- إنها جافة بعض الشيء. دون وجود "المارزيبان" كنت لتشعر وكأنك تأكل الخبز.

قالت "روزالين":

- إنها طيبة. ليست بهذا السوء.

أخذ "آندي" قضمة، ثم قال:

- فلتأخذاها بعيدًا. الآن أعرف لماذا كان عليها عرض.

قال "جي دي":

- أتتذكر تلك المزحة التي قلتها لك بالأمس؟ لقد قلتها على نحو خاطئ؟ تذكرها، أليس كذلك؟ عندما قلتها، كانت الجملة المضحكة هي "الشريط اللاصق"، ولكن من المفترض أن تقال كالآتي: لماذا تلف الشريط اللاصق.. لماذا تلف حيوان "الهامستر" بالشريط اللاصق؟ والإجابة هي: حتى لا ينفجر وأنت..

قاطعته "روزالين":

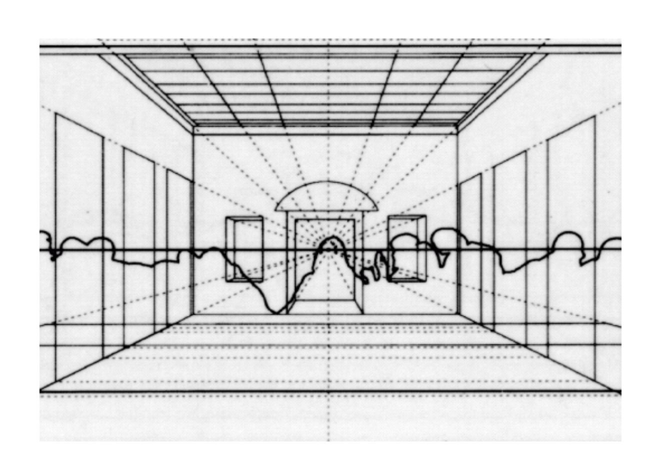
- حسنًا يا "جي دي"، أظن أننا نفهم الباقي. لا أظن أنها مضحكة حتى عندما تقولها هكذا.

كانت الأضواء في الخارج في طريقها إلى الزوال. كان صباحًا باردًا، ولكن الآن أصبح الجو لا يرحم.

يقول "آندي":

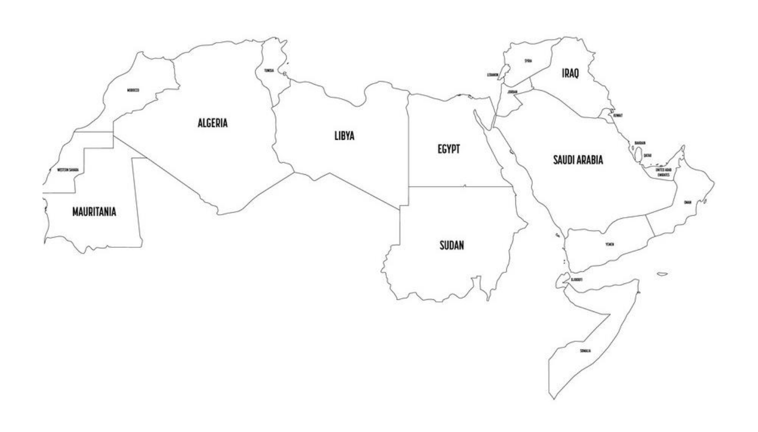
- انظرا، لا يزال هناك بعض المشروب المتبقي.

يقسم المتبقي على الكؤوس الثلاث، ويشربون نخبًا.



الدول العربية:

عقول وحكايات



هناك مجموعة من الفواتير وقائمة مطعم وجبات سريعة على السجادة، وثمرة موز مسودَّة وحيدة في طبق عميق، ولكن لا أثر لـ"جيمي". كانت "بولا" قد عادت مبكرًا من إجازتها، ولم تجده بالمنزل. لم يظهر حتى منتصف اليوم التالي. كان قد ترك تليفونه المحمول بجوار الفراش، فاتصلت "بولا" بـ"سكوت".

قال:

- لا أعرف مكانه، لكن أنتِ تتوقعين عودته مع يوم الثالث والعشرين، أليس كذلك؟ كنا قد اتفقنا على لعب الـ"سنوكر" مع صهري.

ردت "بولا":

- لست متأكدة يا "سكوت"، لأنني لا أعلم مكانه، ولهذا اتصلت بك.

علقت في ذهنها صورة "جيمي" وقد تحطمت عظامه أسفل تل ما، والأمواج تمتد وتنحسر، أو صورته ووجهه مدفون في بركة سوداء في أحد الأزقة، أو صورته وهو يُحمل خارج السيارة عن طريق النافذة الأمامية، وحوله كمية لا تُصدَّق من الزجاج، أو هذا المشهد له على جانب الطريق: زهور رخيصة ملفوفة بشريط لاصق شفاف حول أحد الأعمدة. لا تعرف "إيلي" مكانه هي الأخرى.

تقول "إيلي":

- أمي، ستذهبين قريبًا، أليس كذلك؟

- لا، لن أذهب.

- آه، حسنًا.

انتحرت سيدة اسمها "آن"، وهي زميلة "بولا" في العمل بإغراق نفسها في البحر، بعد أن تركت معطفها وحذاءها القيِّمين بجوار حقيبة يدها بعناية على الرمال. كانت "بولا" قد جلست بجوارها في عشاء عمل، وبدأت توضح لها مواطن الظلم في جدول الورديات نصف الأسبوعي، حتى إنها أخرجت آلة حاسبة لتبيِّن لها التفاصيل الدقيقة الدالة على الظلم. ابتسمت "آن" وبدا أنها قد تفهمت. عندما جمعهم "د. دونيلي" كلهم كي يخبرهم بالكارثة، تذكَّرت "بولا" تلك الآلة الحاسبة.

قال لها "جيمي" محاولًا التخفيف عنها:

- كيف لك أن تعلمي بنِياتها حينها؟

ردت:

- أعلم هذا! لم أكن أعلم حينها، ولكن ليست هذه المشكلة.

سألها:

- إذًا، ما المشكلة؟

ردت:

- لا شيء!

وصلت إلى "بولا" رسالة من "إيلي" التي علمت أن "جيمي" يحضر مهرجان موسيقى "بلوز" في "سترابين"، وسيعود يوم السبت. لا يزال على قيد الحياة. مهرجان موسيقى "بلوز" في "سترابين".. كان يجب أن يتصل بها أو يرسل إليها رسالة، أو يترك رسالة في المنزل، ولكن لم يتوقع "جيمي" أن تعود مبكرًا. إن ترك هذه الرسالة في المنزل ربما لن يتسلمها أحد. كان قد اتصل بها في بداية إجازتها مرة واحدة، ولكن عندما ردَّت

كانوا قد قدموا الحلوى، وكانت لذيذة جدًّا فقالت له إنها ستتصل به لاحقًا، ولكن "لاحقًا" كان يقود سيارته في الطريق إلى المهرجان.

سُرَّ زملاء "بولا" لحضورها للعمل قبل موعد عودتها المتوقع من الإجازة اليوم التالي. كان هناك خلل في النظام، واستطاعت إصلاحه خلال عشر دقائق.

سألتها "إيمي":

– هل أمضيت وقتًا طيبًا بإجازتك يا "بولا"؟

ردت:

– كان وقتًا طيبًا، ولكن عدنا مبكرًا. كانت والدة صديقتي مريضة. نعم، ظننا أنها ستموت، ولكن تحسنت عندما بدأنا في الاستعداد للعودة مبكرًا.

سألتها "إيمي":

– أتريدين طلب غدائك من مطعم السندوتشات؟ سأرسل إليهم رسالة بالطلب الآن.

ردت:

– بالتأكيد، اطلبي لي السلطة المعتادة، ولكن معها مشروب "كولا دايت"، أيمكنك هذا؟

قالت "إيمي":

– حسنًا. ولكن يا "بولا"، مشروب "كولا دايت" خارج العرض، لأنه فقط يشمل القهوة المفلترة أو الشاي... أعني العرض، أتفهمين قصدي؟ نحصل على أربعة سندويتشات بسعر ثلاثة، ولكن إذا لم تطلبي القهوة أو الشاي هذا يعني أننا لن نستمتع بالعرض، ولكن اطلبي ما تشائين، هذا يرجع إليك، أعني إن أردت طلب "الكولا".

قالت "بولا":

- لكن طلبي كان "كولا دايت" أساسًا.

ردت:

- حسنًا، "كولا دايت".

قالت "بولا":

- أتعنين أنني يجب أن أطلب مشروبًا لا أريده كي يستمتع الآخرون جميعًا بالعرض؟ أهذا ما يجب عليَّ فعله؟

قالت "إيمي":

- كفي عن هذا.

ردت "بولا":

- حسنًا، فلتطلبي لي أي شيء، سأرضى بأي شيء.

هناك تليفزيون في حجرة انتظار العمليات الجراحية. عند موعد الغداء تُذاع الأخبار المحلية، وآخرها خبر مهرجان "البلوز" في "سترابين"، وحوار مع عازف جيتار. يُوجَّه إليه سؤال:

- ما رأيك في "سترابين"؟

يقول:

- أفضل من "مونتريال"، فقد حضرنا مهرجان "البلوز" في "مونتريال" في أغسطس السابق. لم يظنوا أننا في "وارينبوينت" نستطيع عزف موسيقى "البلوز"، ولكن عندما سمعوا عزفنا عرفوا غلطتهم.

يعرض التليفزيون لقطات لأشخاص يتحركون بعشوائية خارج خيمة كبيرة، ويمكن سماع موسيقى "البلوز" في الخلفية. عندما يتقيأ طفل لاحقًا في صندوق الألعاب، يدور نقاش حول تنظيف كل لعبة على حدة، أو التخلص من الصندوق القذر كله في سلة المهملات. يعقمون الألعاب البلاستيكية برشها. صفحات الكتب مليئة بالقيء، يتم التخلص منها.

تجلس "بولا" في مقعد "جيمي" هذا المساء، هذا المقعد الجلدي الذي يتمتع بأفضل زاوية لمشاهدة الشاشة. تقلب القنوات للمرة الأخيرة باحثة عما يستحق المشاهدة. لا تحتاج إلا إلى برنامج تافه مدته ساعة ونصف الساعة، وأن تشرب كوبًا أخيرًا من الشاي، ومعه البسكويت. ظهر وجه تعرفه على الشاشة، أكبر سنًّا وأكثر إرهاقًا، ولديه القليل من التجاعيد، لكنه هو، لأن اسمه مكتوب في الناحية السفلى من الشاشة. تعرفه "بولا" باسم "ريان هيوز"، ولكن اسمه "ريان كيدروف-هيوز"، وهو من تراه الآن أمامها. يبدو محبطًا، وكأنه لا يستطيع توضيح مدى تعقد إجابة السؤال الذي طُرح عليه للتو. يمرر يده بين شعره الذي بات أخفَّ، ويبدأ في الإجابة عن السؤال بطريقة دالة على خبرته الواسعة بالموضوع. تبدو إجابته متزنة لـ"بولا"، رغم أنها لا تعرف الكثير عن بيروت. ولكن "ريان هيوز" كان يجيب عن كل الأسئلة هكذا، حتى إن كان السؤال "أتريد شايًا أم قهوة؟". لكنته شبه بريطانية، لكن ليست بريطانية مائة بالمائة، تستطيع تمييز لكنة "بلفاست". كان الوحيد في الاستوديو الذي لا يرتدي ربطة عنق. لم تكن الأناقة من أولويات "ريان هيوز" حينها، لأن الاهتمام الزائد بالملابس يعطي انطباعًا مغايرًا. كان تقديس شراء السلع دليلًا على

التفاهة. اهتم الكثيرون في المرحلة الجامعية بالسياسة، و"بولا" منهم، ولكن انصب اهتمام معظمهم على السياسة المحلية، أما "ريان هيوز" فكان سباقًا دائمًا، فمثلًا حضر معسكرًا صيفيًّا نظمه قسم الشباب في حزب الوحدة الاشتراكي الألماني عندما كان مراهقًا.

لن تخلد إلى النوم، فاتجهت إلى جهاز الكمبيوتر، حيث تضطر لغلق صفحات مفتوحة سابقًا مثل “Johnny Winter Live Copenhagen 1970"، و"Rory Ghallagher ‘Bullfrog Blues’ 1972"، و"HotRoxMinx". تجري بحثًا عن "ريان كيدروف-هيوز"، تعود إليها الذكريات، وتتراكم التفاصيل الصغيرة. تذكر أن عائلة والدته روسية، مما يبرر اسم "كيدروف". "كيدروف ماكري". تُرِّدد في عقلها اسم "بولا كيدروف-ماكري". خبرته تتضمن العمل في وكالة "رويترز"، والتدريس في جامعة في الولايات المتحدة الأمريكية والعمل في قناة "الجزيرة"، ولدى مؤسسة ما لا تعرف اسمها من حروف اختصارها. بحثت مرة أخرى عن "ريان كيدروف- هيوز وشريكته"، وتضغط على الصور. لا تظهر إلا بعض الصور له في استوديو وبعض اللقطات المأخوذة من شاشات التليفزيون. هناك صورة واحدة تظهر فيها سيدة جزئيًّا خارج الإطار، ترتدي معطفًا أسودَ يشده حزام ضيق وشعرها الأسود يغطي نصف وجهها. تكبر الصورة مرة أخرى، حتى تصبح مشوَّشة.

يعود "جيمي" اليوم التالي. تخاطبه "بولا":

- لم يكن لديَّ علم بمكانك، لم يكن لديَّ أي فكرة. ظننت أن مكروهًا قد أصابك.

يقول:

- أعطيني قبلة.

يخرج قميصين من حقيبة السفر الخاصة به، ومطبوع عليهما "مهرجان البلوز بالشمال الغربي" (North-West Blues Festival).

ثم يخاطبها وهو يرفع كُمه قائلًا:

- سأريكِ شيئًا لن تتوقعيه.

كشف عن وشم لجيتار تحيط به باقة من الزهور، وعلى شريط التزيين الذي يجمع الزهور معًا جملة "ولدت لأموت" (Born to Die).

سألها:

- ما رأيك؟

ردت بسؤال:

- ما رأيي؟

قال:

- نعم، أيعجبك؟

ردت:

- نعم، بلا شك.

يقول:

- القميص الآخر أحضرته لـ"إيلي".

تسأل "بولا" نفسها إن كان هذا القميص مناسبًا لمقاس "إيلي"، فهي تذهب مع صديقتها "ميج" إلى الكثير من مطاعم الشواء، ويلتهمان كمية طعام تكفي عائلة فقيرة لمدة عام.

تقول "بولا" و"جيمي" يُنزل كُم قميصه:

- أظن الوشم يؤكد حقيقة لا تقبل النقاش.

باقتراب نهاية الأسبوع تكومت مجموعة كافية من الصحف ليستخدمها "جيمي" لإشعال نار المدفأة. لا تزال "بولا" غير واثقة إلى حد ما بمعلوماتها الاقتصادية، لكن بدأت تثق بمعلوماتها عن سياسة الشرق الأوسط. تشاهد جميع البرامج التليفزيونية المفيدة، ولكن الأحداث كثيرة في أوكرانيا حاليًّا، فلا يظهر "ريان كيدروف-هيوز" ثانية.

يقول "جيمي":

- رباه، الأخبار تبعث على الاكتئاب، ولا تبدو أن لها نهاية أبدًا.

ردت "بولا":

- نعم يا "جيمي". إنها تُبث يوميًّا، هذه طبيعة الأخبار. تتوالى الأحداث يومًا بعد يوم.

قال "جيمي":

- القتل وتفجير الناس.. بشع، ولكن ما باليد حيلة، وهذا هو الواقع.

في إحدى المرات ذهبت مجموعة منهم إلى حانة صاحبها رجل كبير السن بعد المحاضرة، ولكن بدأوا تدريجيًّا في الانصراف خلال فترة ما بعد الظهيرة، تاركين إيَّاها وحيدة إلى الطاولة. لا تزال "بولا" تذكر أن "ريان" كان يتحدث قبل رحيل الجميع عن أخطاء المُحاضر المتعددة فيما يتعلق

باقتصاد الاتحاد السوفيتي في الستينيات. لم يهتم أحد، لكنهم استمعوا على أي حال لأن المتحدث كان "ريان هيوز". سألها "ريان" حينها إن أرادت مقابلته لاحقًا. كان من الممكن أن يسألها إن كانت تريد تناول الغداء معه، ولكن هل كان الناس حينها يخرجون لتناول الغداء؟ كلَّا. قبلت عرضه حينها، إلا أنها تذكرت أنها كانت تنوي مقابلة "جيمي" تلك الليلة. كان عمر علاقتها الرومانسية مع "جيمي" لا يزال بضعة أسابيع فقط، فأخبرته أنها ربما تقابله لاحقًا، لا تلك الليلة. رد بالإيجاب، وتبع هذا صمت قصير. ولكن كانت هناك مرة أخرى حينما قال معلقًا على رأيها خلال إحدى المحاضرات: "وجهة نظر قوية، أعتقد أن رأي "بولا" صائب تمامًا". ويجب ألا تنسى أيضًا عندما كان واقفًا وراءها في صف ماكينة الصراف الآلي، وكان الجو ممطرًا، وتبادلا الحديث تحت مظلتها. تلك هي المواقف التي تذكرها الآن، ولكن هذا على سبيل المثال، لا الحصر.

طلبت "بولا" الكثير من الكتب، وجدتها كلها على طاولة المطبخ عند وصولها. يسألها "جيمي":

– ما كل هذا؟

تهز كتفيها قائلة:

– أنا مهتمة بتلك الموضوعات، فقط لا غير.

قال:

– حقًّا؟ الأفضل أن تقومي بقراءتها إذًا، لأنني لن أفعل. انظري إلى هذا الكتاب، لا بدَّ أنه يزن طنًا.

ردت:

- لم يُطلب منك أن تقرأها يا "جيمي".

تساءل:

- أتفكرين في أن تأخذي دورة في موضوعات تلك الكتب؟

قالت:

- لا.

حملت الكتب كي تنقلها إلى غرفة أخرى.

قال:

- ربما يجب أن تدرسي كيفية التعامل بشيء من اللطف يا "بولا"، فهل هناك دورة في اللطف؟

تقرأ قسم الكتب في صحيفة يوم الأحد، حتى تستوقفها فاعلية مهرجان أدبي في "نيوكاسل أبون تاين"، سيشارك فيه أحد كتاب أدب الجريمة، وتحت اسمه بخط أصغر بكثير هناك أسماء الآخرين الذين سيشاركون فيه: هذا، وذاك، لم أسمع عن هذا قط، ولا عن ذاك، ولا عن هذه، و"ريان كيدروف-هيوز". سيلقي كلمة حول كتابه القادم "الدول العربية: عقول وحكايات" "Arab States: Mind and Narrative". لا توجد له صورة، بل فقط صورة لكاتب أدب الجريمة وخلفه مكتبة. تجلس "بولا" إلى الكمبيوتر كي تطلب الكتاب، وتلقي نظرة سريعة على رحلات الطيران إلى "نيوكاسل"، وتجد أسعارها مقبولة على غير المتوقع.

تخاطب "جيمي" لاحقًا وهما يحتسيان الشاي:

- بالمناسبة يا "جيمي"، لا أظنك تذكر حديثي عن "ريان هيوز" من قبل؟ هذا يعود إلى سنين مضت، إلى أيام الجامعة، سنين طويلة.

رد:

- لا.

قالت:

- لا تذكر أنني تحدثت عنه إطلاقًا؟

رد:

- لا، لم أسمع عنه قط.

تساءلت:

- هل أنت متأكد؟ متأكد أنك لا تذكره؟

قال:

- بلى.

قالت:

- هذا ليس اسمه الآن على أي حال، بل صار "ريان كيدروف- هيوز". ظننت أنك تذكره. يُستضاف في التليفزيون هذه الأيام في البرامج السياسية.

رد ساخرًا:

- نعم، أذكره تمامًا الآن عندما قلت إنه يظهر في البرامج السياسية.

تساءلت:

- حقًّا؟

قال:

- لا.

ثم استدرك:

- لحظة، هذا الرجل... أظن أنني أعرف عمن تتحدثين.

قالت:

- فعلًا؟

رد:

- نعم، كان دائمًا ما يحضر حفلات رأس السنة التي ينظمها "ميك". كان "ميك" الشخص الوحيد الطبيعي وسط زملائك في الجامعة. كان "ميك" رائعًا. هذا الشخص الذي تتحدثين عنه كان حاضرًا دائمًا.. دائمًا في المطبخ يتحدث عن هذا الهراء أو ذاك. يخفض صوت الموسيقى كي يتحدث، لأن الآخرين يجب عليهم الاستماع إليه. أظن أنني كنت على وشك الشجار معه يومًا. كان يشبه شخصية "لورد سنوتي" المتغطرسة الكرتونية.

قالت "بولا":

- يبدو أننا لا نتحدث عن الشخص نفسه، فلم يكن هكذا إطلاقًا. لقد كان "ريان هيوز" يساريًّا من الطراز الأول.

قال "جيمي":

- حسنًا، الشخص الذي أذكره كان وقحًا.

قالت "بولا":

- والشخص الذي أذكره لم يكن وقحًا.

قال "جيمي":

- ربما لا نتحدث عن الشخص ذاته. هل كنت تعرفينه؟ هذا الشخص الذي لم يكن وقحًا؟

قالت:

- لا.

رد:

- إذًا، ربما يكون هذا الوقح الذي أتحدث عنه.

قالت "بولا":

- لم يكن وقحًا.

تجلس "بولا" إلى الطاولة، وأمامها لفافة من الكرتون. ذهب "جيمي" إلى الحانة، وكانت كلماته الأخيرة لها:

- كان وقحًا بالمناسبة.

فتحت "بولا" اللفافة والتقطت الكتاب، قربته من وجهها كي تشم رائحة الصمغ الجديد. إنها رائحة الذكاء. نسخة مجلَّدة من كتاب Arab States: Mind and Narrative. تصميم الغلاف في غاية البساطة، لونه أزرق، قد يعبر عن زرقة البحر أو السماء. اسم "ريان كيدروف-هيوز" مكتوب بحروف سميكة وخط أسود كبير. هناك صورة صغيرة له على ظهر الكتاب، بالأبيض والأسود.. يبدو فيها وسيمًا نوعًا ما. تسبق الفصل الأول ثلاث أو أربع صفحات من الخرائط، والتي ربما تنذر بمشقة القراءة، ولكن من الواضح أن كتابًا كهذا سيتطلب بذل مجهود، ولكن القراءة ستعود بالنفع عليك أيضًا. هذا ليس كتابًا للقارئ العادي على أي حال.

تصل إلى صفحة "كلمة الشكر" في مقدمة الكتاب. نعم، نعم، فيها كل هؤلاء الذين يُقدَّم لهم الشكر عادة: محرر الكتاب، زميلي هنا، زميلي هناك،

الصبر، واللطف، إلخ، إلخ، إلخ، ثم "سابرينا كيدروف"، لا بدَّ أنها والدته، شيء متوقع. ثم "شكرًا لـ"فازيا" على وجبات الإفطار". شكرًا لـ"فازيا" على وجبات الإفطار؟ يبدو هذا أمرًا تافهًا نوعًا ما. تخيلت "بولا" امرأة حسناء تطبخ الإفطار، وهي لا ترتدي إلا قميصًا رجاليًّا أبيضَ. تعد الإفطار دون أن تتناثر بقع الدهون على هذا القميص. ولكن.. ولكن من الممكن شراء الإفطار من أي مطعم في الشارع. ربما تعمل "فازيا" في مطعم يرتاده، وكان يرتاده باستمرار لتناول الإفطار. تخيلته هناك، أمام الـ"لابتوب"، يكتب بعض الملاحظات، ويرد على بعض الرسائل الإلكترونية. إن "فازيا" سيدة كبيرة، تعمل في أحد المقاهي التركية. يا لأدب "ريان كيدروف-هيوز"، لأنه عبر عن شكره في كتابه لنادلة كبيرة السن تحضر له الطعام.

تبدأ "بولا" في التردد على السينما، تحديدًا تلك الموجودة بالجامعة. تشاهد فيلمًا تدور أحداثه في القدس، عن جزار متدين بشدة يقع في حب رجل آخر. نهايته غير سارة، وتجد "بولا" نفسها تبكي قليلًا. يدور النقاش التالي للفيلم حول "المعاني المتعددة للمواطنة الحضرية والهويات"، ويديرها مدرس جامعي متخصص في الدراسات الدولية. لدى السيدة الجالسة بجوار "بولا" بعض التعليقات حول الهوية العلمانية. تسألها "بولا" بعد انتهاء المناقشة والتصفيق إذا كانت قد زارت القدس من قبل.

قالت السيدة:

- لا، لم أزرها منذ مدة طويلة.

قالت إنها كانت تسافر كثيرًا عندما كانت شابة، ولكنها استقرت في "بلفاست" منذ سنوات طويلة. تسأل "بولا" إن كانت زارت القدس من قبل.

ردت "بولا":

- لا، ولكنَّ لديَّ صديقًا قضى هناك بعض الوقت.

ردت السيدة:

- فهمت.

استطردت "بولا":

- ربما تعرفينه.. صديقي.. "ريان كيدروف-هيوز". يُستضاف في التليفزيون أحيانًا.

ردت السيدة:

- آسفة جدًّا، ولكنني لا أعرفه.

قالت "بولا":

- لا؟ إذًا أرشح لك بشدة قراءة كتابه "Arab States: Mind and Narrative". لقد قرأت ثلثيه. نعم. "ريان كيدروف-هيوز".

تعيد قراءة الرسالة الإلكترونية مرة أخرى، وتحاول أن تجد الإيقاع المناسب، ولكنها لا تزال تحوم حول زر الإرسال. ترسل له هذه الرسالة لتخبره أنها ستحضر فاعلية يوم الجمعة في "نيوكاسل أبون تاين". إنه عنوان بريد إلكتروني العمل المعتاد، لا الشخصي، ولكن هذا ما وجدته على الإنترنت. كان من الصعب أن توقعه، حاولت أولًا أن تستخدم "صديقتك من الماضي، بولا"، ولكن بدا هذا متكلفًا وغريبًا، ولهذا غيرته إلى "بولا ماكري (بيرسون)، جامعة الملكة بـ"بلفاست" (QUB) 88-91"، وهو ما لا يوجد به أي تلاعب بالحقائق.

كان من المثير وصول رد اليوم التالي.

قال:

"بولا، سعيد أنك ستستطيعين حضور فاعلية مكتبة "جوسفورث".

أطيب التحيات، ريان"..

تحت الرسالة روابط لموقعين إلكترونيين، حيث يمكن شراء الكتاب. تبدو هذه الرسالة غير شخصية إلى حد ما. لن تخسر شيئًا إذا كتبت ردًا أقل جفافًا من ناحيتها. تكتب رسالة جديدة، وتقول:

"نعم، سآتي من "بلفاست" من أجل حضور الفاعلية!"

هذه الرسالة أكثر إسرافًا في التعبير عن المشاعر، ولكن بالنسبة لها هذا هو المطلوب. لا تصل رسائل إلكترونية أخرى من "ريان كيدروف-هيوز"، ولكنه لا بد أنه "في الطريق" الآن.

تنتهي من العمل في موعد الغداء يوم الجمعة، وتقلها "إيلي" إلى المطار.

تقول:

- نعم، إنها مجرد رحلة للتسوق، لقد قرأت إعلانًا عنها في الجريدة.

ردت "إيلي":

- أعرف، لقد أخبرني بابا.

قالت:

- الأسعار رخيصة جدًّا، حتى إنني لم أكد أصدق.. يوجد كل شيء في هذا المركز التجاري في "جيتسهيد".

قالت "إيلي":

- نعم، أخبرني بابا. على أي حال، من الأفضل أن تستفيدي أنت من ذلك.

ردت:

- ولهذا أنا ذاهبة، وليس أنت.

ردت "إيلي":

- هذا صحيح.

ثم استطردت:

- ربما يمكنك أن تنضمي إليَّ أنت وبابا لتناول الطعام يوم الأحد. نحن بحاجة إلى التحدث حول أمر ما.

ردت "بولا":

- بالتأكيد، لم لا؟ إنها فكرة جيدة.

توقفا عند إشارة المرور. بدأ الأمطار بالهطول و"بولا" تسحب "بولا" من ماكينة الصراف الآلي.. الألوان حولها زاهية للغاية. إن الأمطار في يوم كئيب تبدو وكأنها تنظف كل شيء حتى أعين الناس.

تساءلت "إيلي":

- إذًا، ما رأيك؟

ردت "بولا":

- في؟

قالت "إيلي":

- فيما قلته لك للتو، في الاقتران بـ"ميج" مدنيًّا.

ردَّت "بولا":

– نعم، بالتأكيد، تبدو فكرة جيدة. لِمَ لا؟

قالت "إيلي":

– تبدو فكرة جيدة؟! حسنًا يا أمي، أتدرين؟ إنها حقًّا فكرة جيدة.

قالت "بولا":

– هذا جميل إذًا.

تأخرت رحلة الطيران، ولكن ترك لها هذا مجالًا لتناول بعض المشروبات الكحولية قبل الرحلة. شعرت أنها غامضة: ملتحمة بمقعد عالٍ، تتناول الخمر وحدها في الحانة خافتة الإضاءة، وكأنها.. ما اسم هذا الرسام؟ وكأنها شخصية من لوحات "إدوارد هوبر". تخرج الكتاب من حقيبتها، ولكنها تكتشف أنها أحضرت كتابًا آخر غير كتاب "ريان"، كتاب "ترجمة المعارضة" (Dissent Translating)، وغلافه أيضًا أزرق. هذا مؤسف، ولكنه أيضًا دليل على اتساع مجالات قراءتها. تتصفح الكتاب، ثم تعيده إلى مكانه، مفضِّلة قراءة قائمة المشروبات، وسردها لتاريخ إنتاج "الويسكي" في أيرلندا. تؤجل رحلة الطيران ثانية، تقريبًا بسبب الضباب في مكان ما، مما أدى إلى تأجيل جميع الرحلات. من المثير للدهشة أن "جيمي" يتذكر حضور "ريان" حفلات "ميك"، لأنها نفسها لا تتذكر ذلك.

تجلس على الكرسي المجاور للنافذة في الطائرة. يطلب الرجل ذو الشعر الأحمر الجالس بجوارها من المضيفة مشروب "دابل جين وتونيك"، قائلًا إنه بحاجة إليه، فهو في طريقه لحضور جنازة صديق قديم.

يقول:

- أكره المقابر، رغم أنني أجدني أزورها بكثرة.

تطلب "بولا" من المضيفة "جين وتونيك" هي الأخرى، لكن ليس "دابل".

يُسمع إعلان على متن الطائرة عن عروض خاصة على ساعات الغطس والشوكولاتة ومواد تجميل متعددة، وكلها بتكلفة أقل بكثير من تكلفة السوق، ومتوفرة لفترة محدودة. تأخذ "بولا" مجلة الرحلة لتقرأ أكثر عن كريم النضارة الذي سمعت عنه.

يبدو فعَّالًا، وهي لا تسمح لنفسها بمثل هذه الرفاهية كثيرًا. تأخذ المضيفة بطاقتها الائتمانية لإتمام عملية الدفع، ويصبح الكريم ذو العلبة الفضية لها.

يخاطبها الرجل ذو الشعر الأحمر:

- حظ سعيد!

تستقل "بولا" المترو إلى الفندق الذي لا يتبع سلسلة شهيرة، طبقًا للمعلومات التي يعرضها موقعه الإلكتروني. كان لديها خياران حيال الإقامة: إما أن تقيم في هذا الفندق أو إحدى سلاسل الفنادق الاقتصادية في وسط المدينة. إلا أن هذا الفندق أقرب للمكان الذي ستقام فيه الفاعلية. السجادة الزرقاء في غرفتها بها بقعة، والنافذة تطل على ساحة بها عربة يدوية صغيرة تحمل شوالي أسمنت، أما ديكور الغرفة، ففوجئت "بولا" بغطاء السرير المزخرف الكلاسيكي، التي لم تدر أنه لا يزال يُستخدم من

الأساس. تخيل أن تستضيف أحدًا هنا. لكم ستشعر بالإحراج إن دعوت أحد الأشخاص لمثل هذه الغرفة. لا بدَّ أن "ريان كيدروف-هيوز" اختار الإقامة في فندق أنيق من فئة الخمس نجوم، في حين أنها لم تفكر حتى في البحث عن فنادق الأربعة نجوم عندما كانت تحجز فندقها عبر الإنترنت. ولكن قد تعجبه بساطة هذا الفندق، لأنه لا يحب المظاهر الاستهلاكية الفجة. من الرائع وجود ثلاجة مشروبات صغيرة، لا تجدها كثيرًا هذه الأيام في الفنادق. تأخذ إحدى زجاجات الخمر الصغيرة اللطيفة وتفتح عبوة مكسرات. إن الحديث دائمًا عن تَراجُع استخدام ثلاجة المشروبات الصغيرة في الفنادق. أعتقد أنه أمر يستحق النقاش.

يجب على "بولا" أن تستعد. من المهم أن تقرر مكان جلوسها في هذه المناقشة. بالتأكيد ليس في الصف الأول، فالصف الأول تحت الأضواء بشكل غير مرغوب فيه، وقد يكون محجوزًا مسبقًا على أي حال للشخصيات المهمة أو ذوي الاحتياجات الخاصة. ربما يحسن بها الجلوس على حافة الصف، مما يضمن لها فرصة أكبر للظهور طبقًا لعدد الحاضرين. يجب أن تحاول المساهمة في المناقشة أو طرح سؤال. قد يجيب "ريان كيدروف-هيوز" قائلًا: "وجهة نظر مثيرة للاهتمام". ربما يتوقف فجأة ويقول: "آسف، لقد لاحظت وجود صديقة قديمة جدًّا وعزيزة جدًّا في الحضور"، ويتبع هذا بالتلويح لها برفق، ثم تلوح له هي الأخرى برفق.

لم تسفر كل عمليات البحث التي أجرتها مؤخرًا على الإنترنت عن حقيقة ارتباط "ريان كيدروف - هيوز" من عدمها. من المنطقي أن يكون مرتبطًا بمترجمة بالأمم المتحدة مثلًا، سيدة سريعة البديهة وفاتنة. ملمس

غطاء السرير المزخرف لطيف، ولكن ما معنى "الارتباط" أساسًا هذه الأيام؟ هناك العديد من أنواع ودرجات الارتباط. كم هو عظيم أن تترك العمل وتقفز على متن طائرة. راتب "د. دونيلي" ستة أضعاف راتبها، ولكنه لا يستطيع أن يفهم كيفية التعامل مع الكمبيوتر. علمته مرارًا وتكرارًا، ثم إن الأطباء المناوبين صاروا متكبرين كثيرًا، أليس كذلك؟ تعلم أنها ستستمر في العمل هناك ما تبقَّى من عمرها. تنظر إلى باب الثلاجة الصغيرة المفتوح. عندما تفكر في حفل وداعها بعد عملها في "لا مون"، فلن تقيمه في مطعم، بل في صالة تقديم مشروبات. لاحظت إحدى الطبيبات المناوبات كتاب "بولا" بجوار الكمبيوتر. سألتها:

– الشرق الأوسط؟ أين يقع إذًا؟ بين "باليهاكامور" و"عزبة كريجا"؟

أضحكت هذه المزحة الآخرين، وكررتها "إيمي" لتطمئن أن الكل سمعها. إن ظهر عليها الضيق كانت ستبدو ثقيلة الظل.

هل تتمنين شغل وظيفة أخرى يا "بولا"؟ هل تظنين أنك كنت قادرة على تقديم ما هو أفضل؟ ومن لا يظن هذا؟ هل من إنسان لا يظن هذا؟ ما العمل الذي تتمنينه تحديدًا، ما العمل الذي تظنينه مناسبًا لك حقًّا؟ لا أعرف. لا تعرفين؟ هل استخراج شظية برميل متفجر من ذراع طفل رقيقة يبلغ من العمر تسع سنوات، تجعل أي عمل آخر تافهًا لأنه لا يستطيع شغل وظيفة أفضل من وظيفتها في المركز الطبي؟

تميد بها الأرض عندما تقوم من الفراش. تخرج فستانها من حقيبتها. ارتدته آخر مرة في جنازة "آن". قد يكون أسودَ وداكنًا وجادًّا، فهي ليست ذاهبة إلى حفل. الجدية مقبولة، لا أحد يريد أن يبدو مُضحكًا في فاعلية كهذه.

ستضع كمية كبيرة من كريم النضارة. رائحته جميلة، مثل زهور البنفسج، ومثل تلك الحلوى برائحة البنفسج. أتزال تلك الحلوى في السوق؟ لا يترك الكريم تأثيرًا جذريًّا، فتضع كمية أخرى، مع التركيز على منطقة العين. لا تكاد "بولا" تصدق مدى تجعد المعطف الجديد رغم أنها طوته بمنتهى العناية. ربما يجب أن ترتديه، ولكن لا، تريد أن ترتديه ومعه الحزام. يحتاج إلى البخار. إنها حيلة قديمة: تختفي تجعدات الملابس باستخدام بعض البخار. في المرحاض تفتح "بولا" مياه الدُش وتدير الحنفية باتجاه الخط الأحمر السميك على أعلى درجة حرارة، ثم بالمثل في مؤشر حوض الاستحمام والصنبور. تعلق المعطف على قضبان ستارة حوض الاستحمام. تستطيع أن ترتشف مشروبها الآن، وستترك للبخار بضع دقائق ليقوم بعمله.

قال لها "ريان كيدروف-هيوز" عندما كانا معًا في الحانة:

- حسنًا، نتقابل في وقت لاحق.

ثم لم يكن هناك إلا الصمت. لم يحدث شيء، لا توجد قصة طريفة هنا أو سؤال عديم الأهمية. ربما حينها أمعنت النظر في الثلج بمشروبها، في حركته البطيئة، أو ربما نظرت إلى القاعدة التي يوضع عليها الكوب.

قالت:

- أظن أنني يجب أن أذهب الآن.

ولكن للصمت معنى، وما لا يُقال قد لا يُسمع، إلا أننا نشعر به. تدرك ذلك الآن.

يطرق أحد الأشخاص الباب. موظف الاستقبال يقول إن ثمة مشكلة في المياه، فهي تستخدم الكثير منها، وبالتأكيد يمكن سماع هدير المياه، أما البخار فقد وصل إلى الممر الآن. قال إن النزلاء الآخرين يشتكون استخدامها لكل هذه المياه. هل يمكنها إغلاق الصنابير؟ ثم يتجاوزها ويدخل الغرفة ويغلق الصنابير بنفسه، بينما يقول إن هذا فندق صغير، فمن فضلك سيدتي، لك أن تستحمي أو تستلقي في حوض الاستحمام، أحد الخيارين، لا كلاهما.

ولكن اختفت معظم تجاعيد المعطف، رغم أن تلك الفتحة في ظهر المعطف منبعجة بزاوية مضحكة، وإحكام رباط المعطف بالحزام يزيد الوضع سوءًا. تبدو كجوال بطاطس يربطه حبل. تضبط وقفتها، وتمد قدم إلى الأمام، وتضع يدها في جيوب المعطف. هذا مقبول. تبدو الآن كأحد جواسيس الحرب الباردة ولكن من الرتب المتدنية. أبطل كل هذا البخار تأثير كريم النضارة، فتضع منه المزيد.

في الاستقبال تصف للموظفة وجهتها وتسألها عن المحطة التي تحتاج إلى الوصول إليها. تقول السيدة:

- نعم، فهمت. محطة مركز "ريجينت".

ترد "بولا" قائلة:

- هذا صحيح.

تذكرت اسم المحطة فقط عندما قالته الموظفة. هناك دباسة كبيرة على المنضدة التي تقف أمامها موظفة الاستقبال. تسألها "بولا":

- أيمكنني استعارتها للحظة؟

تخلع المعطف، ثم تدبِّس فتحة ظهر المعطف كي لا تتحرك. ثم تقول:

– شكرًا.

الهواء بارد بالخارج، وتتعجب أن الجو مظلم. ولكن بالتأكيد الجو مظلم. كيف لا يكون مظلمًا؟ كتاب "ترجمة المعارضة" (Translating Dissent) يثقل الحقيبة. تخرج الكتاب من الحقيبة عندما تستقل المترو وتجلس على مقعد، وتشرع في القراءة، إلا أن الكلمات ترقص على الصفحة مع حركة القطار. لا بدَّ أن الفاعلية على وشك البدء، ربما كان عليها مغادرة الفندق مبكرًا. تشعر بالغثيان بسبب حركة المترو وقفزات السطور وانزلاقاتها، فتعيده إلى حقيبتها. لن تستغرق الرحلة وقتًا طويلًا على الأقل. أين ستذهب بعد انتهاء المناقشة؟ أو بالأحرى: أين سيذهبون بعد انتهاء المناقشة؟ قد تكون هي و"ريان كيدروف-هيوز" وحدهما أيضًا. لا حاجة إلى الاستغراق في الافتراضات، ولكنه احتمال قائم. لا بدَّ أن هناك العديد من الأماكن التي يمكنهما زيارتها هنا: نوادٍ خاصة، وأخرى ليلية، وهكذا، حيث ترى كل أنواع البشر، أشخاصًا لم تسمع عنهم من قبل، ولكنَّ الكثيرين الذين سمعت عنهم مثل..

مثل

مثل

مثل

"جيمي نيل"!

ولكن لا، من أيضًا؟ فكري. عاش الفيلسوف "فتجينشتاين" في "نيوكاسل" لفترة. فوجئت عندما عرفت هذه المعلومة، ولكن من الواضح

أنه غير متاح في الوقت الحالي. ماذا كانت ستقول إن كان متاحًا؟ يجدر به ألا يكون متاحًا، وإلا ماذا تقول في هذه الحالة؟ تحاول أن تتذكر ملاحظاتها حول كتاب "الدول العربية" (Arab States)، ملاحظاتها حول جوانب مختلفة منه، ملاحظات فرعية، وأخرى متفرعة من الفرعية، ولكن الأفكار لا تثبُت في رأسها، تقفز مثل كل ما في العربة، إلى الأعلى وإلى الأسفل ثم تهرب من تلك النافذة المفتوحة الوحيدة.

تخرج من محطة مركز "ريجينت" لتجد نفسها أمام مجموعة من المكاتب، وبعض اللافتات المضيئة، ثم تنظر إلى الأعلى، فترى الضوء الأزرق المنبعث من صف من شاشات الكمبيوتر التي لم يطفئها أحد. وما هذا؟ طريق سريع؟ طريق مركبات مزدوج الاتجاهات؟ هناك رذاذ مطر خفيف، فترفع ياقة المعطف وتحكم رباط الحزام. لم تفكر في إحضار مظلة، رغم أنها فكرة منطقية جدًّا. هؤلاء الأولاد الجالسون في استراحة انتظار الحافلات يصيحون، ولكن هل يخاطبونها أم يخاطبون شخصًا آخر؟ تلتفت إلى الخلف، ولكن لا يوجد أحد، لا يوجد إلا مصباح شارع يصدر طنينًا وكأنه برج كهرباء. هذا الشيء قد ينفجر. فلتنسَ "فتجينشتاين"، لماذا لم تحمِّل خريطة من الإنترنت؟ من الممكن أن تعرف وقت ركوبها المترو من التذكرة، ولكنها لا تعرف أين اختفت. ولكنَّ هناك خبرًا طيبًا: ستختفي تجعدات المعطف تمامًا، فلن تتحمل التجول تحت المطر، ولكنها كانت متأكدة أنها ستجد لافتة هنا أو هناك. ما اسم المكان على أي حال؟

هناك مبنى يبدو فيه نشاط، يدخل ويخرج منه الناس، وعليه لافتة تقول "أهلًا". لا يبدو.. يبدو غريبًا.. ولكن تأخذها خطاها المتسارعة إلى الباب. في

الداخل يسيطر اللون الأزرق، وهناك تلك الرائحة.. إنها مألوفة جدًا. تعرف أصلها، لكن لا تستطيع تذكر اسمها. تخاطب "بولا" الرجل والسيدة الجالسين خلف الزجاج، المرتديين قمصانًا زرقاءَ متطابقة الشكل قائلة:

- أنا هنا لحضور الفاعلية.

يقول الرجل:

- حسنًا.

ثم يلتفت إلى السيدة ويخاطبها:

- تقول هذه السيدة إنها هنا لحضور الفاعلية.

تسألها السيدة:

- أنتِ هنا لحضور الفاعلية؟ أي فاعلية؟ أي فاعلية يا عزيزتي؟

يسألها الرجل أيضًا:

- أي فاعلية؟

تقول "بولا":

- هذا الشيء! هذا الشيء! تعرفون هذا الشيء الذي أعنيه. الدول العربية! "الدول العربية: عقول وحكايات".

ترد السيدة:

- الدول العربية.. ما هذا؟ الإمارات العربية المتحدة؟ استاد الإمارات؟ أهذا ما تعنيه؟

ردت "بولا":

- لا، ليس "استاد"، لا أتحدث عن استاد. إنه "الدول العربية"، الذي ألفه "ريان كيدروف-هيوز". ستنعقد مناقشة لكتابه ويجب أن أحضرها.

تهز السيدة رأسها وعلى وجهها علامات الإحباط وتقول:

- لا أعرف.

يصيح الرجل لشخص آخر في حجرة خلفية قائلًا:

- هل سمع أحدكم عن... ما اسمه يا عزيزتي؟ "ريان. كيدروف. هيوز".

تنتظر. ما هذه الرائحة؟ أهو الكلور؟ هذه الرائحة... كم هو مضحك أنها لم تعرف الرائحة وفجأة... كيف لا تعرفها؟ الرائحة التي تعلق بالملابس والمناشف، ومنطقة الجمهور غارقة في الرطوبة والتعرق. كانت "إيلي" طفلة عادية، ولكنَّ الأطفال الآخرين كانوا مهرة، كانوا يستطيعون الغطس. من اللطيف مشاهدة الأطفال الآخرين، وكيف تنساب أجسادهم في المياه. كانت تفضل مشاهدة الأطفال الآخرين. يأتي رجل آخر يرتدي الأزرق ويقول إنه لم يسمع إطلاقًا عن هذا "الريان". يخاطبها:

- لا أظن أنك في المكان الصحيح يا عزيزتي. لا أظن أنك في المكان الصحيح إطلاقًا. هذا ليس المكان الذي تبحثين عنه.

سألته:

- ما هذا المكان، هل هذا مسبح؟

قال:

- هذا "مركز لياقة ومسبح جوسفورث". عم تبحثين يا عزيزتي؟ أين تريدين الذهاب يا عزيزتي؟ يا عزيزتي، أين تريدين الذهاب؟

قالت:

- أريد الذهاب إلى المكتبة. أبحث عن المكتبة، وأريد أن أصل إلى هناك بسرعة.

انتفض عقرب الثواني في الساعة الحائطية خلفه.

قال وهو ينظر إلى الآخرين:

- حسنًا، حسنًا، نفهم الآن، أنت لست بعيدة عنها كثيرًا. إنها مكتبة "جوسفورث" التي تبحثين عنها، مكتبة "جوسفورث"، أليس كذلك يا عزيزتي؟

يلتقط مفكرة سلك ويبدأ في الرسم في صفحاتها باستخدام قلم جاف. شجرة أو بالوعة، ثم يجف الحبر. كان لامعًا وأصبح خفيفًا. الورقة بيضاء كبشرة "جيمي"، والكتابة هي الوشم.

قال الرجل:

- ربما تريدينني أن أتصل بأحد من معارفك؟

قالت:

- مثل من؟

قال:

- لا أعرف.

ردت:

- لا أريدك أن تتصل بأحد، أريد فقط أن أذهب إلى المكتبة، شكرًا جزيلًا لك، ولكن لا تحتاج إلى الاتصال بأحد، إطلاقًا، لا حاجة إلى أي اتصالات تليفونية مطلقًا.

قال الرجل:

- هل أنت بخير حقًّا يا عزيزتي؟ حقًّا؟ لا أظن أننا لسنا بحاجة إلى الاتصال بأحد معارفك، أتفهمينني؟ على الأقل من الممكن أن أطلب لكِ تاكسي.

قالت:

– ولكنك قلت إنني لست بعيدة عن المكتبة، هل أحتاج إلى ركوب تاكسي؟

قال:

– ستصل السيارة خلال عشر دقائق فقط، فلتجلسي هناك، وسنطلبها لكِ.

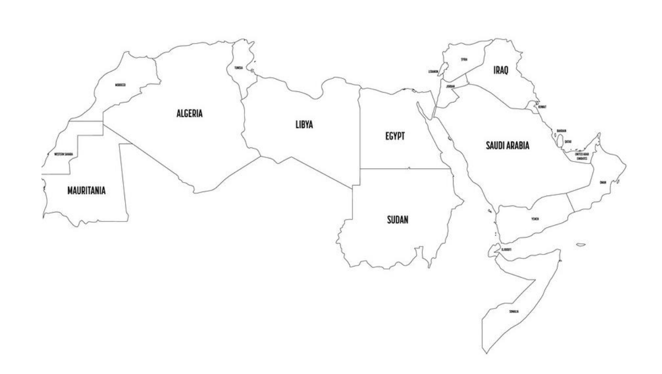
ردت:

– لا، لا أستطيع الانتظار، أنا متأخرة بالفعل، ولكن شكرًا جزيلًا حقًّا، شكرًا، شكرًا.

تقلب تلك الصفحة التي أعطاها إياها.. باتجاهات مختلفة تحت ضوء مصباح الشارع الذي ارتفع صوت أزيزه الآن. يبدو اتجاه الورقة منطقيًّا هكذا، أو ربما لا. لا بدَّ أن المستطيل هو المسبح، ولكن السهم يشير إليه. هناك مجموعة من السيارات على الناحية البعيدة من هذا الطريق المقفر، فتحكم "بولا" المعطف حولها وتتجه نحوهم.

انحبس بعض الذباب في صندوق الإضاءة الذي يحوي قائمة الطعام الكبيرة المعلقة ويضيئه "النيون". سيستمرون في الطنين طوال الليل، ويصطدمون بالبلاستيك وذعرهم يقل تدريجيًّا، ولكن لن يموتوا قبل الغد. ينظر "كريم عساف" إلى ساعة الحائط. الجو يمطر بالخارج ثانية. المكان غارق في السكون الآن، ولكن ستعود الحركة قريبًا. لا يحب المكان هنا، كان يجب على "كريم عساف" ألا يأتي هنا. أثنى الآخرون على المكان هنا بما لا يستحق. السماء البيضاء لا تدع لك مجالًا للراحة أبدًا. ولكنه يفكر في اللافتة "أهلًا بك في لاس فيجاس الرائعة، نيفادا"، وفيما تعنيه من انفتاح الأبواب لمدة أربع وعشرين ساعة: أبواب نوادي التعري،

والاستعراضات، والراقصات، وطاولات القمار، وماكينات الحظ، وإشراق الشمس المستمر، ولكنه هنا. لماذا لم يعودوا من محل البيع بالجملة بعد؟ جاءت سيدة إلى هنا منذ قليل، وجهها شاحب غريب، لم تعرف أين هي. كانت قد وقعت وجرحت ساقها، وكانت تبكي. لم تعلم أين هي. أشار إليها باتجاه المحطة، ودخل الغرفة الخلفية، وعندما عاد كانت قد ذهبت. نوافير "بيلاجيو" جميلة، وعرض البركان اللعين في فندق "ميراج". لا يزال الذباب يطن.



سيدة وكلب



تضع "أولجا ماكلور" القلم الرصاص في المبراة وتدير ذراعها. يقاوم الخشب قليلًا قبل أن يستسلم للشفرة، ثم تستمر حركة شحذ القلم بسلاسة. تكرر العملية مع قلم رصاص تلو الآخر، تلك العملية التي يجب أن تتكرر اثنتين وثلاثين مرة. تعرف "أولجا" من يحوم حول الباب، ولكنها لن تعيرها اهتمامًا. يخرج أحد الأقلام بسِنٍّ مكسورة، فتعيده إلى المبراة ثانية.

ينادي صوت مفعم بالحماسة قائلًا:

- "أولجا"! "أولجا"! لم تنسي اجتماعنا، أليس كذلك؟

ردت "أولجا" دون أن ترفع رأسها:

- لم أنسَ.

قالت:

- حسنًا يا "أولجا"، أنا في انتظارك، ولكن خلال عشر دقائق.

تجلس "السيدة دراجان" على المقعد البرتقالي المريح القابع في الركن، لا إلى مكتبها، مرتدية ملابس رياضة الجري. تقول مشيرة إلى المقعد المريح الأخضر:

- تفضلي بالجلوس يا "أولجا". أتريدين كوبًا من الشاي؟

ردت:

- لا، شكرًا.

قالت "السيدة دراجان":

- معذرة لعدم ارتدائي الملابس الرسمية، فأنا أتدرب لسباق طوله عشرة كيلومترات لصالح جمعية خيرية.

ردَّت "أولجا":

- لصالح جمعية خيرية.. رائع جدًّا.

بدأت "السيدة دراجان" كلامها قائلة:

- حسنًا، ظننت هذه فرصة طيبة كي نتحدث قليلًا، أتفهمينني؟ سنتحدث حول بضعة أمور هنا وهناك، والتي يجب مراعاتها. فقط بعض الأمور، ليس إلا.

قالت "أولجا":

- حسنًا.

ردَّت "السيدة دراجان":

- تمام، اتفقنا.

اعتدلت "السيدة دراجان" في جلستها، وقالت:

- نعم.

ثم استطردت:

- أخبريني يا "أولجا" متى.. بصراحة تامة.. متى كانت المرة الأخيرة التي استخدمت فيها جهاز الكمبيوتر الخاص بك؟

تساءلت "أولجا":

- جهاز الكمبيوتر الخاص بي؟

ردَّت "السيدة دراجان":

- نعم.

قالت "أولجا":

- حسنًا، دعيني أتذكر. من الصعب أن أمنحك إجابة مؤكدة. ربما منذ أسبوعين أو أكثر بقليل، لست متأكدة.

أومأت "السيدة دراجان" برأسها قائلة:

– هذا تقريبًا ما ظننته. أتشعرين يا "أولجا" أنك حصلت على قدر مناسب من التدريب على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؟ أسألك هذا السؤال لأنه من الواضح أن عدم تشغيل الكمبيوتر لمدة أسبوعين لا تعد طريقة جيدة لاستخدام الجهاز. أتفهميني؟ أدرك تمامًا تنوع مستوى كفاءة العاملين، تحديدًا أعضاء فريق العمل الكبار، وأعني بهذا الكبار سنًّا. لا أستخف بالصعوبة التي يعانيها البعض في التعامل مع التكنولوجيا، لهذا ربما تشعرين أنك بحاجة إلى المزيد من الدعم فيما يتعلق بدمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في العمل بشكل بنَّاء.

ردَّت "أولجا":

– لا، لا أعتقد أنني بحاجة إلى المزيد من الدعم.

قالت "السيدة دراجان":

– هذا رائع، ويسعدني كثيرًا. إذًا، الخلاصة أننا متفقتان على الأهمية الكبرى لأن تبدئي في دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل بنَّاء في تدريسك.. حتى يتمتع التلاميذ جميعًا بفرص متكافئة في التعليم.

تنهدت "أولجا". "فرص متكافئة في التعلم".. يا لها من فكرة حمقاء.

استطردت "السيدة دراجان":

– لم يتم الأطفال في فصلك اختبار "LIN"، والذي كان يجب عليهم إتمامه بداية الأسبوع الماضي، كأطفال الفصول الأخرى الذين أتموه حينها.

ردت "أولجا":

- آه، حسنًا.

قالت "السيدة دراجان":

- نعم.

أكملت "أولجا":

- اختبار "LIN" هو الاختبار الذي يُطلب من التلاميذ فيه إطعام الحيوانات أنواعًا مختلفة من الآيس كريم على الكمبيوتر. أنا أعرفه. هو تقييم قياسي حاسوبي للقدرة المعرفية. حسنًا، ربما أدرجه في خطة الأسبوع المقبل المبدئية.

قالت السيدة "دراجان":

- كان يجب إتمامه بداية الأسبوع الماضي أو حتى قبل ذلك.

ردَّت "أولجا":

- حسنًا، كما قلت، سأحاول أن أضعه على خطة الأسبوع المقبل إن استطعت.

قالت السيدة "دراجان":

- هناك أمر آخر: ألا تشعرين بأنك لم تتابعي الكثير من الإيميلات عندما لم تشغِّلي جهاز الكمبيوتر الخاص بك منذ أسبوعين؟

فكرت "أولجا" للحظة، ثم قالت:

- لا أظن.

ردَّت "السيدة دراجان":

- ماذا تعنين بقولك "لا أظن"؟

قالت "أولجا":

– هذه مدرسة ابتدائية يعمل بها ثمانية مدرسون في ثمانية فصول، فهي ليست مجموعة شركات مثلًا. يعرف الجميع مكاني إن أرادوا التحدث إليَّ، والعكس صحيح إن أردت أنا التحدث إلى الآخرين.

التقطت "أولجا" حقيبة يدها القابعة بجوار قدمها وقالت:

– هل انتهينا؟

يفرح الكلب لرؤية "أولجا" عندما تعود إلى المنزل. ينبح بسعادة، وهي تقدم له طعامه. هذا الكلب الصغير بني اللون دائمًا مشغول؛ يلهو بحبل أو يطارد كرة. لم تهتم "أولجا" بسلالة الكلب الذي قررت تبنيه، فقط أرادت كلبًا ليتمشى معها ولكيلا تتجول بلا هدف. تتخذ "أولجا" والكلب مسارًا معتادًا مساء معظم الأيام، لذا فهي تعرف جيدًا أعمدة الإضاءة التي يحبها والتلال الصغيرة، حيث يحب أن يشتَمَّ كل ما يراه رطبًا ومشوِّقًا. تمتد جولاتهما ليلتي الثلاثاء والخميس إلى الحديقة، تلك الحديقة ذات البوابات الحديدية، وبها المنصة المخصصة لعزف الفرق الموسيقية، والبحيرة الصغيرة، والممرات الموحشة. تفك سلسلته وتتركه يتجول وحده في الممرات الملتوية، ودائمًا ما يعود عندما تنادي "يا كلب!"، فهي لم تسمِّه اسمًا. تؤدي دروب الحديقة بـ"أولجا" والكلب إلى ما بعد ملعب الأطفال والبحيرة الصغيرة، ولكنهما يستمران في السير حتى يصلا إلى الملاعب الرياضية.

يدعو الآخرون "السيدة دراجان" باسمها "آنجي". تعلق "آنجي" الشهادات التي حصلت عليها على الحائط بجوار مجموعة صور فوتوغرافية لها مع خطيبها في عدة إجازات، وتهتم بخروج الموظفين معًا لتناول الطعام. تنازلت "أولجا"، وقبلت عن مضض الذهاب لتناول الغداء مع الآخرين في ليلة عيد الميلاد في مطعم هندي. كانت الوحيدة التي طلبت وجبة من قسم الطعام الأوروبي. قد يعتبرها الآخرون مُدرِّسة لا تساير عصرها، ولكن في فصلها يُتبع هذا النظام. مارست التدريس لأكثر من أربعين عامًا، وعلَّمت أكثر من ألف طفل. لم يتغير شيء: العصا نفسها المستخدمة في فتح النوافذ المرتفعة، وخزانة الكتب نفسها، والتي بهت لونها بسبب الشمس وملأتها كتب اصفرَّت صفحاتها وملأتها البقع. تطلّع أطفال السبعينيات والثمانينيات من تلك النوافذ وبهم حنين إلى السماء الزرقاء الرحبة، حتى صدمتهم صيحة "أولجا" المقتضبة باسمهم، والتي أعادتهم إلى أرض الواقع. كان مكتبها خشبيًّا، حتى استبدلوا كل المكاتب منذ بضع سنوات، فهي الآن مصنوعة من الزجاج المقوى. علَّمت أكثر من ألف طفل، وكرهت كل واحد منهم سرًّا كانت لا تطيق النظر إلى أحدهم لأن عينيه تشبهان عيني "إيدي"، وكأنه ابنه. كانت تصحح واجباته دائمًا بقسوة مبالغ فيها، وتشاهده يفتح دفتره وعلامات الحيرة ترتسم على وجهه إزاء تعليقاتها. أرادت إرسال خطاب ذات يوم، وأرسلته لإتمام المهمة رغم الأمطار الغزيرة حينها. قال:

– لكنني لم أحضر معطفي يا سيدة "ماكلور"، ليس معي معطف.

جاء ردها:

- ألم تسمع ما أخبرتك به؟ ألم تسمعني؟ اذهب حالًا، دون نقاش.

عاد مرتجفًا من البرد وماء المطر يقطر من شعره. كان بإمكانها أن تدثره بمعطفها، ولكنها فقط خاطبته قائلة:

- ستعيش، لن تذيبك الأمطار وكأنك مكعب السكر.

دعت "السيدة دراجان" إلى مبادرات لم ترحب بها "أولجا": تصحيح الأطفال لواجباتهم بأنفسهم، واحتفال الأطفال بالسنة الصينية الجديدة، وحفلات تخرج للتلاميذ المنقولين لمراحل تعليمية أساسية، وتدريب كرة القدم الجايلية (الاسكتلندية). بخصوص كرة القدم الجايلية، سألت "أولجا" "السيدة دراجان" ما إذا تم إخطار أولياء الأمور عن التدريب، لأن معظمهم سيغضب. ردت "السيدة دراجان" قائلة إن أولياء الأمور تم إعلامهم بالتأكيد، ولم يعترض حتى واحد منهم. ربما لم يعرب أحد عن اعتراضه، لأن خطابات المدرسة قد تقطعت في قاع حقائب الأطفال، بعد أن غرقت في العصير المتسرب من عبواته والفواكه المهروسة. حملت "أولجا" على عاتقها مهمة لفت انتباه "جورج شيلدز" إلى مسألة كرة القدم الجايلية. درَّست له وهو طفل نحيف في التاسعة، وهو الآن كتلة من العضلات والوشوم. قادتها الصدفة السعيدة لمقابلته على باب الصيدلية وسألته ما إذا كان ابنه "ميسون" يتطلع إلى تدريب كرة القدم الجايلية. كان رد "جورج" مرحًا إلى حد ما. قال:

- أين سيتم هذا التدريب؟ في ملعب المدرسة فقط؟ لن يلعبوا أي مباريات في أي مكان آخر؟

لم ينتظر إجابتها، اكتفى بهز كتفيه، ثم أكمل قائلًا:

- حسنًا، لا يهم.

ثم أخبرها عن الصورة التي التُقطت له مع زوجة لاعب الملاكمة المحترف الأيرلندي "كارل فرامبتون" في نزاعه مع "كيكو مارتينيز"، وعن لطف الزوجة، وعن كونها من غرب المدينة. استطرد كلامه عن مسألة كرة القدم قائلًا: إن الأطفال سيلعبونها فقط في ملعب المدرسة، وكأنها تمرين عادي، وإن على الناس أن يكونوا أكثر تسامحًا، فنحن في عام 2018 بحق المسيح.

عادة ما ينقسم وقت "أولجا" في المساء إلى أنصاف ساعات منضبطة؛ نصف ساعة لقراءة الجريدة، ونصف ساعة لتصحيح واجبات التلاميذ، ونصف ساعة لتمشية الكلب، ونصف ساعة - ربما - لتنظيف النوافذ، ونصف ساعة لمشاهدة برنامج تليفزيوني. تجلس على المقعد المعتاد، وتأكل شريحة خبز البطاطس مع الزبد وعليه رشة سكر أبيض. تتحرك عقارب الساعة بسرعة وسلاسة، لا يمر من الوقت الكثير حتى تشير عقارب الساعة إلى السادسة والنصف صباحًا، ثم يحين موعد الخروج. نسيت إخراج صندوق القمامة هذا الصباح. عندما عادت من المدرسة لاحظت أن الكثير من صناديق القمامة الزرقاء المصطفة بطول شارعها لا تزال خالية هي الأخرى.. صناديق قمامة ذات لون أزرق فاقع، وقد انعكست عليها أضواء النهار الأخيرة الباهتة. ولكن كل ما في الأمر أنها نسيت، وتدرك أنها نسيت لأن عقلها كان مشغولًا بالتفكير في مساء اليوم والتمشي في الحديقة، فقد استيقظت متطلعة إلى وقتها الذي تقضيه هناك.

من الممكن أن تخرج القمامة الأسبوع المقبل، ما المشكلة؟ لم يمتلئ منها إلا ربعها على أي حال.

كان المساء عاديًّا. ستخرج العديد من الفتيات في مثل تلك الأمسيات، الفتيات أنفسهن اللاتي جلسن على مقعد في فصلها منذ خمس أو ست سنوات منشغلات بقياس الزوايا في دروس الرياضيات، أمَّا الآن، فتتكئن على نوافذ مطاعم الأكل السريع أو محلات بيع المشروبات الكحولية. غالبًا ما يتجاهلنها. اعتادت النظرات المتعجرفة الخاوية، حتى إنها تظنهن مسلية نوعًا ما. القماش "الجينز" المشدود لبناطيلهن القصيرة الضيقة، والتي يرتدينها رغم برودة الجو في هذا الوقت من العام. تلك السيقان اللامعة بفعل كريمات تسمير البشرة.. تنظر الفتيات إلى أثدائهن وكأنهن يتأكدن من أنها لا تزال في أماكنها.. وآثار العضات الجنسية على البشرة: تلك الأوسمة الدالة على الفوز بلذة الجسد.. تلاحظها، تلاحظ تلك الأوسمة التي يستعرضنها على رقباتهن بفخر. وكأنهن يعتبرن أنفسهن أول من اكتشف كل ما له علاقة بالجسد؟ يعتقدن أنفسهن "رائدات" الشعور باللذة؟ تود "أولجا" أن تسألهن: "تظنن أنني لم أجرب العضات الجنسية، وتلك البصمات الأرجوانية والزرقاء على بشرة فخذي الرقيقة، لا على رقبتي؟ كان جسدي قويًّا، بشرتي سمراء بفعل الشمس، جسد صبيٍّ فتيّ، وقد احتضنه فستان ضيق، ولكن الجسد القوي يصبح ممتلئًا وقصيرًا بمرور الزمن، ويُستبدل بالفستان الضيق آخر مريحًا". كيف يظنن أنها لا تعرف كل هذا؟

انتهت من تصحيح دفاتر التلاميذ بالفعل، وتركت في كل منها تعليقًا من ثلاثة أسطر مكتوبًا بخط أنيق. كانت قد انتهت من التصحيح بعد

انتهاء اليوم الدراسي في حجرتها، قبل شحذ الأقلام الرصاص. تسأل نفسها عن كلمة السر المفقودة لجهاز الكمبيوتر، فلا بدَّ أنها كتبتها في مكان ما. ظنت "أولجا" أن شعر الكلب سيتساقط بكثرة في كل مكان، لكنه لا يتساقط، وأن الجيران قد يشتكون نباحه، ولكنهم لا يشتكون.

تعمدت "أولجا" تجاوز مدة حصتها عندما جاء الفتى من شعب الـ"جايلي" المدعى "كورماك" إلى المدرسة لأول مرة. لم تضطر لإنهاء الدرس إلا عندما ظهرت السيدة "دراجان". شد "كورماك" على يد "أولجا" بقوة عندما عرفتهما على بعضهما. كان النمش يغطي ذراعيه. قال:

– كنت أتساءل أين أنتم يا شباب، وإن كنتم ستخرجون من الفصل من الأساس.

ردت السيدة "دراجان":

– لقد وصلوا على أي حال.

قال "كورماك":

– لماذا لَم ترتدي حذاءك الرياضي، ألن تجربي التمرين بنفسك؟

كان هذا السؤال موجهًا إلى "أولجا".

ردت دون ابتسامة:

– لا أظن.

قال:

– عليك أن تحضري حذاءك الرياضي الأسبوع المقبل، وحاولي أيضًا أن تجدي زي حصة الرياضة المدرسية الخاص بك، قد لا يزال مقاسه مناسبًا لك. غالبًا ستجدينه ضائعًا في مكان ما بالمنزل.

فكرت "أولجا" في تقديم شكوى ضده إلى السيدة "دراجان"، لأن ما قاله كان وقحًا جدًّا وهي لا تقبله، فقد دخل "كورماك" المدرسة منذ خمس دقائق فقط، لكنه بدأ يتعامل معها وكأنها صديقته. لكن، لا فائدة، فغالبًا ستعتبر السيدة "دراجان" ما قاله مجرد مزحة. لاحظت "أولجا" استمتاع التلاميذ بتمرينهم معه، وطاعتهم له دون تذمر. نزلت كرات القدم من السقف.. طارت كرات القدم إلى السقف. حتى المجموعة المشاغبة في الفصل والتي ظنت (أو تمنت بمعنى أصح) أنهم سيتسببون في المشكلات، أطاعوه في كل كلمة قالها. انتقل ولاؤهم الضعيف لها إلى "كورماك" خلال خمس دقائق من اللعب بكرات القدم الطائرة والجلوس على مقاعد "البين باجز".

لم تمتلك "أولجا" حذاءً رياضيًّا من الأساس، فما بالك بزيٍّ رياضي؟ كانت تقف على جانب قاعة الاجتماعات مرتدية حذاءها الأنيق ذا الكعب القصير في أثناء حصة الرياضة في المدرسة، وترشد الأطفال من موقعها حول التمارين التي يجب أن يقوموا بها. زي رياضي من أيام المدرسة.. يا للحماقة. لم تحتفظ بالكثير من أغراضها منذ أيام الشباب بالمنزل، فقط بضع الأواني الفخارية التي تركتها والدتها. كانت لديها صورة معلقة فوق المدفأة للمنطقة التي نشأت فيها، ولكن لم تعد موجودة. تلك القصاصة الصحفية التي ظلت تحملها في حقيبة يدها، طوتها وفتحتها كثيرًا جدًّا حتى تفتتت أخيرًا. تلك القصاصة التي قطعتها منذ خمسة وأربعين عامًا، باستخدام المقص الوحيد المتوافر حينها، المقص ذي النصل المتعرج. ألقت بالجريدة في سلة المهملات حتى لا يلاحظ أحد المساحة التي تركتها القصاصة خالية، ومن ثم يسألها عما كانت تفعل. لم تكن صورة بالتحديد.. بدا جادًّا ومشدوهًا.

كان يوم الحادث حارًّا وغائمًا. ارتدت "أولجا" الفستان الأزرق الذي قال لها إنه أعجبه، رغم أن هذا الطقس كان يجعل كل شيء يلتصق بجسدك، حتى إنك تتمنى لو كنت عاريًا تمامًا. كان شعرها المنساب رطبًا وداكنًا. أخبرها أين سيكون.. سيعمل على إصلاح أحد المراحيض الخارجية على الطريق المؤدي إلى سفح التل. قد يكون عبور النهر أسهل، ولم تكن المسافة طويلة حتى الوصول إلى الجسر، ولكن هناك صوت الصراصير المزعج والأمطار الخفيفة العالقة بالحشائش الطويلة، والتي بلا شك ستعلق بفستانها بعد مرورها بالحقول. اعتقدت "أولجا" أن لا أحد سيهتم إن رآها على الطريق، ولكن "إيدي" رأى أن على المرء أن يحتاط، حتى عندما يظن أنه آمن، ويحتاج إلى اتخاذ الاحتياطات بشكل أكثر صرامة عندما يظن نفسه آمنًا.

كانت قد رأته مرة واحدة في وسط المدينة مع زوجته وهما يدخلان محل أحذية على الناصية. محل أحذية.. لم تكن "أولجا" لتتخيله وهو يشتري حذاءً. لم تكن قادرة على تصور أنه يجرب حذاءً، ثم آخر، ثم يأخذ بضع خطوات، ويقول "إنه ضيق بعض الشيء، ألديك مقاس أكبر؟". ولكنه لم يرها، ولم تخبره أنها رأته. لم تخبره أنها اختبأت وراء جدار كي تراقبه وزوجته في أثناء خروجهما من المحل وهو يحمل الحذاء الجديد. ارتدى حذاءه طويل الرقبة القديم عندما رأته ثانية، أما زوجته فجمعت شعرها في ضفيرة.

سألته مرة عندما كانت جالسة على ركبتيه:

– لماذا أُعجبك؟

رد قائلًا:

– لأنك في السابعة عشرة من عمرك.

تساءلت ثانية:

- لا، حقًّا، لماذا أعجبك؟

ربت على شعرها ورد:

- لأنك جميلة وفي السابعة عشرة من العمر.

لكمت ذراعه، وقالت:

- وكأنك عجوز. أنت أكبر مني بما لا يزيد على خمس سنوات، حتى أنني أذكر كيف كنت تبدو أيام المدرسة.

تذمر قائلًا:

- المدرسة.. لم أحب المدرسة، ولم تحبني المدرسة.

سألته:

- كيف سيبدو زيك الرسمي الجديد؟

رد:

- لا بدَّ أنك رأيت شبابًا آخرين يرتدونه.

قالت:

- ولكن كيف ستبدو أنت عندما ترتديه؟ كيف ستبدو القبعة؟ لديك وظيفة بالفعل.

رد:

- النقود.

تساءلت:

- أليس لديك ما يكفيك من النقود؟

رد:

- بلى.

تخرج "أولجا" من شارعها بمنازله المتلاصقة وحدائقه المنسقة وتتجه إلى الطريق المنحني، مارة بالطاحونة القديمة التي تحولت إلى مبنى سكني. يمشي الكلب بجوارها في حماسة وتجذب حركته السلسلة بلطف. تقول "أولجا":

– أفهمك، أعرف ما تريد، نحن على وشك الوصول.

يجلس مجموعة من المراهقين فوق إحدى طاولات الحديقة بالقرب من المدخل، يدفعون ويلكزون بعضهم بعضًا ويتقاسمون شرابًا ما من زجاجة واحدة. يشق صوت صرخاتهم وضحكاتهم سكون المساء. يبدو أسفلت الطريق الضيق بالحديقة وكأنه يلمع، والسماء رمادية باهتة مائلة للزرقة. عجيب أنها كانت تعيش بالقرب من تلك الحديقة طول تلك السنوات دون أن تدخلها أبدًا. لم تكن بالنسبة إليها سوى مكان محاط بالأسوار. تتذكر أن أحد السياسيين كان على موعد غرامي مع رجل آخر في أحد الأركان المظلمة بهذه الحديقة، وتثق بأن الخبر ظهر في الصحف. يجلس بعض الناس على مقاعد الحديقة وحدهم.

تأكدت "أولجا" من توصيلها للأطفال إلى قاعة الملعب في الموعد المحدد لحصة تمارين "كورماك" التالية. خاطبها قائلًا:

– حسنًا يا زعيمة، ألن تجربي التمرين اليوم؟ هل ستنضمين إلينا لبعض الوقت؟

ردت "أولجا" قائلة إن عليها العودة إلى الفصل لإنجاز بعض المهام، فلا فائدة من الانضمام لأنها ستضطر لمغادرة التمرين لاحقًا.

أومأ برأسه قائلًا:

– حسنًا، لا عليك، ولكن ستنضمين إلينا المرة المقبلة!

راقبته من النافذة في أثناء مغادرته المدرسة بعد التمرين. كان يرتدي "تي شيرت" مطبوعًا عليه اسم ما. هذا الخط المعوج العريض، تلك الطريقة في الكتابة لم تعجبها قط. قدم لها أحدهم كوب قهوة هدية مطبوعًا عليه كلمة "Coffee" مكتوبة بهذا الخط، فوضعته في الجزء الخلفي من خزانة المطبخ بعيدًا عن ناظرها. هناك أيضًا محل " Celtic Collection" في وسط المدينة، لافتته مكتوبة بالطريقة نفسها.

لا ترتدي "أولجا" أي قطعة ملابس خضراء، حتى حلوى "الجيلي" ذات اللون الأخضر لا تحبها، هكذا طبيعتها. قابلتها "السيدة دراجان" في الردهة بعد ظهيرة هذا اليوم وسألتها إن كان كل شيء على ما يرام مع "كورماك". ردت قائلة:

– لم يتقدم أحد بأي شكوى حتى الآن.

هذه هي الحقيقة. ولكن هذا الخط في الكتابة.. بدأت تعتاده.. ربما تجد كوب القهوة في مكانه بالجزء الخلفي من الخزانة.

لم يكن هناك من تستطيع إخباره بما حدث، عندما حدث. ربما نمى بعض الشك لدى والدتها، وكثيرًا ما سألت "أولجا" نفسها إن كانت لديها الشكوك، ولكن لم تتحدثا بشكل مباشر حول الأمر مطلقًا. ليت إنسانًا واحدًا قال لها "اهدئي، اهدئي" أو ربت على يدها برفق. نظرة واحدة، نظرة دون ابتسامة، حتى وإن كانت نظرة بها شيء من الحكم الأخلاقي، كانت ستكفي. رأت "أولجا" زوجته مرة ثانية في وسط المدينة، وشعرت نحوها ببغض شديد، وكرهت كيف أنها سُمِح لها بترك شعرها الأملس منسدلًا بشكل تقليدي ممل، وأن تتجول بوجهها الحزين. لا تعرف الزوجة من هي، رغم أنهما بالتأكيد لديهما المشاعر نفسها. كان حائط المرحاض القديم الموجود في غرفة الغسيل والمطلي بالجير الأبيض دائمًا رطبًا، حتى صيفًا. كانت تمرر إصبعها على الحائط باحثة عن أي قطرة دم صغيرة احتجزتها الرطوبة كي تتنفس الصعداء، وتطمئن أن كل شيء على ما يرام هذا الشهر، ولكن عندما قُضي الأمر، كانت بحاجة مستميتة إلى أن يظل الحائط نظيفًا بعد أن تمرر إصبعها عليه، كي يعود إليها ولو بشكل مختلف، ولكن ظهر لها الدم ولونه كالصدأ على الحائط الجيري.

ركزت على دراستها، وانتقلت إلى "بلفاست"، حيث التحقت بكلية التدريب والتي كانت أغلبية طلابها من الفتيات. أغلبهن متدينات، وبعضهن مخطوبات، ولا يسمحن لخُطَّابهن أن يلمسوهن إلا بعد الزواج. قصَّت "أولجا" شعرها، وكانت لا تحتاج إلا إلى المرور بفرشاة المكياج على وجهها بسرعة ثلاث مرات حتى تصير جاهزة للخروج. ظنت زميلاتها أنها عذراء شريفة، تحافظ على نفسها حتى تجد الرجل المناسب، على

الرغم من أنهن كن يداعبنها قائلين إن العثور على هذا الرجل سيكون صعبًا إن ظلت تصفف شعرها بهذه الطريقة.

تسأل "أولجا" نفسها في أثناء مرورها بجوار مجموعة من زهور الأقحوان رائعة الجمال أين قابل السياسي الرجل، وإن كان بينهما سابق معرفة. لا بدَّ أنه تأكد من اختيار مكان قريب من مدخل الحديقة القديم، حيث الأشجار ذات الجذع السميك، وبعض الأماكن المظلمة بشكل كامل. تغلق الحديقة أبوابها الساعة التاسعة، لكن رأت "أولجا" بعض الناس يتسلقون أسوارها مدببة الأطراف، وهم ويصرخون ويضحكون.

دائمًا ما يكون لدى "كورماك" مزحة أو نكتة. مثلًا قال لــ"أولجا" في إحدى المرات:

- حسنًا يا زعيمة، إلى أي نادٍ ليلي ستذهبين مساء السبت المقبل؟

أحب التلاميذ مثل تلك النكات. أضحكتهم فكرة ذهاب "السيدة ماكلور" إلى النادي الليلي. ردت قائلة:

- لا تكن وقحًا إلى هذا الحد يا "كورماك".

ولكن عندما ذهبت "أولجا" إلى وسط المدينة رأت بعض الملصقات الإعلانية على الجدران. كان هناك إعلان حفل لمن يسميان نفسيهما "جاك

ماستر + جاسبر جيمس Sixty6@" في عطلة نهاية الأسبوع. وعندما كرر "كورماك" سؤاله الأسبوع التالي قائلًا:

- حسنًا يا زعيمة، إلى أي نادٍ ليلي ستذهبين مساء السبت المقبل؟

ردت "أولجا":

- سأذهب للاستماع إلى "جاك ماستر" و"جاسبر جيمس".

تساءل "كورماك":

- ماذا؟

ردت:

- "جاك ماستر" في نادي Sixty6.

رد:

- حسنًا، لا أظن أنني أعرف مكان هذا النادي.

قالت "أولجا":

- إنها مزحة، كنت أمازحك.

رد "كورماك":

- مزحة مضحكة، مزحة جيدة.

ساعدته على إعادة كرات القدم إلى أكياسها المصنوعة من الشِّبَاك، حتى دق جرس المدرسة معلنًا موعد الراحة.

خاطبت إحدى التلميذات "أولجا" في وقت سابق من العام قائلة:

- أتعرفين من رأيت مساء أمس؟ رأيتك تدخلين المحل وتشترين صحيفة وعلبة بسكويت.

ردت "أولجا":

- صحيفة وعلبة بسكويت؟ أظن أن من رأيت كانت أنا بالتأكيد.

قال أحد الأولاد:

- أتدرون؟ رأيت "كورماك"، أمس، وكان يقوم بالتمرين نفسه الذي يقوم به معنا، ولكن كان هناك رجل آخر يدربه كما يدربنا.

سألته "أولجا":

- أين رأيته؟

رد الولد:

- في تلك الحديقة بالقرب من "رافين هيل"، في المنطقة المرتفعة بها.

ذهبت "أولجا" إلى الحديقة ذلك المساء عندما انتهت من كل مهامها. اضطرت إلى النظر في الخريطة المرسومة يدويًّا والتي يغطيها البلاستيك حتى تعلم أين تذهب. دارت حول مسرح الحديقة عدة مرات قبل أن تلاحظ الملعب في تلك المساحة المرتفعة. عندما وصلت إلى الساحة أخذت تسترق النظرات الخاطفة باتجاه الذين يجرون في كل مكان. تظاهرت بالاهتمام بالزهور القريبة من جراج الحديقة.

سألها رجل:

- هل تبحثين عن الوسائط؟

لم تعرف كيف ترد.

قال:

- آسف، ظننتك شخصًا آخر يا سيدتي.

استغرق الأمر عدة زيارات قبل أن تفكر "أولجا" في اقتناء كلب. رأت إعلانًا في المحل القريب عن كلب معروض للتبني. بمجرد دخول "أولجا" منزل السيدة صاحبة الإعلان ورؤيتها للكلب، قالت للسيدة:

– هذا الكلب يناسبني، هذا الكلب يناسبني تمامًا.

عرضت عليها السيدة كوبًا من الشاي وأرادت أن تقص عليها قصة حياة الكلب كاملة، وأنه كان كلب أحد جيرانها، ولكن اعتذرت "أولجا" بلطف قائلة إنها لا تستطيع الانتظار.

هناك بضعة فرق تتدرب هذا المساء. بدأت الحرارة تنخفض، حتى إن مشاهدي التدريب بدأوا بالقفز في أماكنهم كي يشعروا بالدفء. هناك عربة طعام لـ"البرجر" والبطاطس المقلية، تشم رائحة البصل المقلي في الهواء، ولكن لا يشتري أحد أي شيء. يشغل صاحب العربة أغنية من موسيقى الـ"كانتري"، سمعتها "أولجا" كثيرًا من قبل دون أن تعرف اسمها أو اسم مغنيها، وتحكي قصة حزينة يملؤها الحظ التعس والندم. يبدو البائع حزينًا وهو ينظر إلى أرغفة الخبز المتراكمة على الصينية.

تفكر "أولجا" في تنوع الأصوات ومعانيها. تستطيع أن تحكم في لحظة واحدة على صرخة طفل، إن كان يتألم بالفعل أو يتظاهر بالألم بحثًا عن الاهتمام. يستطيع الجميع التعرف على الأغاني الـ"كانتري" بمجرد سماع الأغنية الصادرة من عربة الطعام، دون أن يستطيعوا تعريف هذا اللون الموسيقي من الأساس. لا حاجة إليك أن تكون خبيرًا بالموسيقى. ينكسر

زجاج، وتستطيع أن تحكم إن انكسرت زجاجة أو نافذة فقط عن طريق الصوت، لا تحتاج إلى أن ترى ما انكسر بعينيك. سمعت تلك الضوضاء في ذلك اليوم في أثناء عبورها الحقل الكبير، كان صوتًا عاليًا وخامدًا في الوقت نفسه، وكأن أحدهم رمى كومًا من القش من مكان عالٍ. ظهرت على بشرة ساقيها تلك العلامات الحمراء الصغيرة بسبب الحشرات التي لدغتها. كانت متأكدة من أن النمش الذي ظهر على وجهها سيختفي، ولكن في الواقع يمكن لك أن تفركه بأي كمية ممكنة من عصير الليمون كما تنصح المجلات، ولكن لن يختفي. ضبطت فستانها حول رقبتها كي يبدو مهندمًا، ومسدت شعرها بيدها، وحكَّت شفتيها معًا. يكتب الفنانون الأغاني عن هذه الحركة.

لم تجده في البداية. نادته ولم يرد، ولكن ألم يفعلها من قبل؟ تبحث عنه، ثم ينقض عليها فجأة ويحيط بذراعيه خصرها بقوة قائلًا "خدعتك!". كادت تبلل نفسها من شدة الفزع عندما فعل هذا.

نادته "أولجا" بصوت عالٍ، ولكن ما من مجيب.

كانت في المكان الصحيح وفي الموعد الصحيح الذي اتفق معها عليه، من المستحيل أن تخطئ لا المكان ولا الزمان.

صرخت:

- "إيدي"! "إيدي"!

وصرخت لمرة ثالثة، رغم شعورها بحماقة صراخها.

لم يتأخر من قبل قط، ولكن قد تكون تلك المرة الأولى. ربما انشغل، أو وجد صعوبة في المجيء؟ اضطر للذهاب إلى وسط المدينة لشراء حذاء جديد؟ عطلته ثرثرة البائعة، بينما تضع الحذاء في كيس وتعطيه باقي نقوده؟

ولكنْ ها هما ساقاه هناك، بالقرب من كومة طوب.

اقتربت مخاطبة إياه:

– ماذا تفعل بحق الإله؟ انهض يا "إيدي"، ماذا تفعل؟

ثم رأته، رأت المشهد البشع لرأسه المنفجر. مخه الذي تحولت مادته إلى الأحمر.

بدأت "أولجا" في الجري، لا تدري في أي اتجاه، لم يسمعها أحد وهي تردد "يا إلهي.. يا إلهي.. ساعدني". كان أسرع طريق للعودة هو عبور النهر، وليس الطريق الآخر الطويل الذي اعتادت العودة عن طريقه. قفزت على الفور، لم تشعر ببرودة المياه. لم تحتج إلى أكثر من عشر أو اثنتي عشرة ضربة في المياه، لكن كانت المياه ثقيلة، وكأن لها عضلات تجذب ساقيها رغم أنها كانت تركل المياه بشدة. تشعر بالهلع، يشدها التيار للأسفل ببطء وبلا مبالاة ولا ضجة.

يبدو "كورماك" عملاقًا في ملعب المدرسة، ولكن هنا في ملاعب الحديقة يبدو دائمًا صغير الحجم ورفيعًا. حتى "أولجا" تستطيع أن تتبين أن الآخرين أكثر مهارة في اللعب بتلك الكرة. يقف بعض الأطفال بجوار "أولجا" للعب مع الكلب، الذي يعجبه الاهتمام الذي يولونه له ويدور حول نفسه حتى تتشابك سلسلته. تسألها إحدى الفتيات:

– ما نوع هذه الكلبة الصغيرة؟

ترد "أولجا":

- حقًّا لا أعرف.

إن هؤلاء الناس حولها جديرون بالاحترام، أغلبهم أطباء ومحامون. يمكن أن تدخل النادي الاجتماعي، نادي "سانت كولومبا"، وربما يحضر لها أحدهم كوبًا لذيذًا من الشاي. السيارات المتوقفة في الجراج ليست خردة هي الأخرى. حاولت أن تتخيل هيئة الرجل الذي قتل "إيدي"، أو الرجال الذين قتلوه. لم يتم إلقاء القبض على أي شخص فيما يتعلق بالجريمة إطلاقًا. قُتل ولد بالرصاص في مدينة على بعد خمسة أميال بعد ثلاثة أسابيع بدافع الانتقام. كان يعمل في مصنع ملابس، وسيطر إحساس بحتمية تلك الجريمة على قاطني منزل "أولجا". اتجه كل التعاطف إلى زوجة ضابط نصف الدوام بقوات "شرطة ألستر الملكية" الاحتياطية. قدمت والدة "أولجا" إليها حساء وبعض علب البسكويت بالزبد، هذا البسكويت الذي يؤكل عندما تكون حزينًا. وجد جثته رجلان كانا يعملان بالطريق القريب، في اليوم نفسه الذي جن فيه جنونها وسقطت في النهر، فتاة في سنها تسقط في النهر، أتصدق هذا؟ وصلت وهي تقطر بللًا إلى منزل عائلة "أليكساندر"، تهذي كالمجنونة عن إطلاق نار. ظنوا أن شخصًا قابلها وأخبرها عن إطلاق النار في طريقها إلى منزلهم. سمعوا هم الآخرون دوي إطلاق النار. سمع الجميع دوي إطلاق النار.

كانت قد شغلت المدفأة قبل أن تترك المنزل، وعندما عادت سُرَّت للشعور بالدفء. استبدلت بمدفأة الفحم أخرى رئيسة ذات جمرات متوهجة. يجلس الكلب تحت قدميها. لا يمكنك أن تدرك مدى برودة الجو في الخارج حتى تدخل منزلك. تسأل "أولجا" نفسها: "ترى أين يذهب

"كورماك" بعد التمرين؟ أيعود إلى المنزل لا أكثر ولا أقل؟". سأله أحد الأولاد في الصف مرة:

- "كورماك"، ألديك صديقة؟

ردت عليه "أولجا":

- هذا ليس من شأنك يا "جوناثان"!

ولكن رد "كورماك":

- لا يا "جوناثان"، ولكنني أبحث عن صديقة. أتعرف فتاة لطيفة تناسبني؟

عندما عادوا إلى الفصل قالت "أولجا" للولد:

- لا تسأل مثل هذه الأسئلة ثانية لأنني متأكدة أنك ضايقت "كورماك".

ولكنها عرفت أنه ليس له صديقة.

يتطلع الجميع إلى يوم الجمعة، حتى ليبدو صوت الجرس وكأنه موسيقى يوم الجمعة. تأتي "أولجا" للمدرسة في الصباح الباكر وتستخدم قطاعة الورق في قطع اثنتين وثلاثين ورقة صغيرة بثلاثة ألوان مختلفة ليستخدمها التلاميذ في تمرين حسابي. تكتب فقرة على السبورة البيضاء كي يصحح الأطفال علامات الترقيم المستخدمة فيه. سيستكشفون أوراق شجر "كستناء الحصان" والبلوط والسرو. يرتدي بعض الأطفال الأحذية الرياضية يوم الجمعة ويتركون ربطات عنقهم في المنزل.

تطلب منهم "أولجا" عدم الهرولة في أثناء دخولهم الملعب استعدادًا لتمرينهم مع "كورماك". تتبعهم دون أن يبدو عليها الحماس. سيستغرق التمرين أربعين دقيقة كاملة، ثم خمس دقائق تساعده فيها على ترتيب

المكان في بداية فترة الغداء. ترى هذا الزي الرياضي المطبوع على ظهره "سانت كولومبا"، ويجتمع الأطفال منتظرين تعليمات التمرين، ولكن...

تسأل "أولجا":

– أنا آسفة، لا أفهم؟

يمد إليها شاب يده بالسلام قائلًا:

– أنا "تومي".

ردت "أولجا":

– ولكنني كنت في انتظار "كورماك"! كان الأطفال في انتظار "كورماك".

قال "تومي":

– حسنًا، ولكنكم لن تقابلوه قريبًا.

ردت "أولجا":

– ماذا تقصد؟

قال "تومي":

– لقد سافر في الوقت الحالي.

ردت "أولجا":

– إلى أين؟ ماذا تقصد؟

قال "تومي":

– لا أعير انتباهًا كبيرًا للتفاصيل، ولكنه أخبرني. ترى هل قال إنه ذاهب إلى ألمانيا؟ أو ربما هولندا؟ وجد وظيفة في مجال الهندسة.

تساءلت "أولجا":

- هل أنت متأكد؟

قال:

- أظنه سافر إلى ألمانيا، لا أظن أنه سافر إلى هولندا إطلاقًا.

بدأ تلميذان في تسلق الأحبال المتدلية من الأعمدة الخشبية.

قالت "أولجا":

- ولكنه حضر التدريب مساء أمس، لقد كان في التدريب مساء أمس.

رد "تومي":

- نعم، ولكننا خرجنا جميعًا بعد التدريب. هل أنت من مشجعي نادي "سانت كولومبا"؟

قالت "أولجا":

- أنا بحاجة إلى تقديم شكوى حول هذا الأمر، في الحقيقة أظن.. أظن أن هذا غير مقبول!

تسير في الممر حتى تصل إلى مكتب "السيدة دراجان". هناك لافتة "في اجتماع، الرجاء عدم الإزعاج" على الباب، ولكنها تطرق الباب متجاهلة إيَّاها، وتعيد الطَّرق.

تفتح "السيدة دراجان" الباب وتخرج للممر هامسة:

- ماذا هناك يا "أولجا"؟ ألا تلاحظين أنني في اجتماع مع مجلس إدارة المدرسة الآن؟!

قالت "أولجا":

- "كورماك".. الفتى من شعب الـ"جايل"، ظل يدرب التلاميذ هنا لفترة طويلة، ثم فجأة اختفى بلا أثر، وهناك شخص آخر بدلًا منه في قاعة الاجتماعات الآن. هذا غير مقبول إطلاقًا، مطلقًا، أبدًا.

حدقت إليها السيدة "دراجان".

أكملت "أولجا":

- هذا غير مقبول. لقد تعود الأطفال التعامل معه، وفجأة اختفى دون أي أعذار. هل كنت تعلمين أنه ينوي الرحيل؟

ردت السيدة "دراجان":

- اسمعي يا "أولجا"، إن الشباب الذين يقدمون التدريب في المدرسة مجرد متطوعين، لا ندفع لهم مرتبات، ألا يحسن بنا أن نشكرهم على التمرين الذي يقدمونه بصرف النظر عن مدته؟ يجب أن أذهب الآن.

قالتها وأشارت إلى اللافتة المعلقة على الباب.

قالت "أولجا":

- يا لها من أمر مروع.

ردت "السيدة دراجان":

- إن المشروع على وشك الانتهاء على أي حال. بعد ثلاثة أسابيع سيبدأ الأطفال في تعلم رقص الشوارع. أعضاء مجلس المدرسة في انتظاري بالداخل. حقًّا يجب أن أعود.

كوَّن الأطفال المجموعات نفسها التي كونوها بقيادة "كورماك"، ولم يلحظوا دخولها القاعة. يقول لهم "تومي" إنه سيراهم الأسبوع المقبل عندما ينتهي التمرين. يتصل بأحدهم في أثناء مغادرة التلاميذ. تراقبه "أولجا" من أحد الأركان، وتسمعه يقول:

– نعم.. نعم.. لا بالطبع.. نعم.. لا توجد مشكلة. الأطفال سعداء لأن يوم الجمعة هو يوم البطاطس المقلية.

تتساقط قطرات المطر على نافذة الفصل بعد الظهيرة. يتململ الأطفال في مقاعدهم، وتمر ظهيرة يوم جمعة آخر ممل ببطء. الفصل حار جدًّا، وتتكثف الرطوبة على النوافذ، حتى إن أحد الأطفال رسم عليها وجهًا بإصبعه. تسأل إحدى الفتيات إن كان من الممكن أن يشاهدوا "دي في دي" الآن لأن الأطفال الآخرين يشاهدونه. ترد "أولجا" قائلة:

– لا، لا بالتأكيد، لن تشاهدوا الدي في دي.

تشعر بنبضها أسفل بشرة صدغيها الرقيقة. لا ترد الفتاة، وتستسلم لأوراق المسائل الحسابية المصورة، من رقم 1 إلى 24. تأخذ "أولجا" الأطفال إلى حجرة الكمبيوتر عندما لم يتبقَّ من وقت الحصة إلا خمس وأربعون دقيقة لإجراء الاختبار الذي تحدثت عنه "السيدة دراجان". ليست بحاجة إلى معرفة كلمة السر، فيستطيع الأطفال الدخول للتطبيق دون مساعدتها. يطعم الأطفال الوحوش نكهات مختلفة من الآيس كريم ويمزجون بينها بطرق متعددة في صمت، وأحيانًا يصدر من أحد الأجهزة نغمات متتابعة

عندما ينجح الأطفال في أحد المستويات، ويبدأ التالي. دائمًا ما يتم إغلاق ستائر غرفة الكمبيوتر. بعد الاختبار يعودون إلى الفصل ليحملوا حقائبهم ومعاطفهم وينتظروا الجرس. تصيح "أولجا" فيهم طالبة منهم بأن يعيدوا المقاعد إلى أماكنها قبل أن يغادروا المدرسة. على الرغم من شعورها بالإرهاق، تشحذ الأقلام الرصاص وترتب دفاتر التلاميذ أبجديًّا كي تكون منظمة عندما تصححها لاحقًا. تزيل الوجه الذي رسمه الطفل على النافذة.

تسمع نباح الكلب ويظهر فيه انفعاله واشتياقه إلى رؤيتها عندما تضع المفتاح في الباب. تعلق معطفها المبتل على المدفأة الكهربائية. ستحتاج إلى إخراج المعطف الشتوي الثقيل قريبًا من خزانة الملابس. تخلع حذاءها، وتدلك قدميها. لا تدرك أن قدميك تؤلمانك حتى تخلع حذاءك. تعلق قميصها وتنورتها على المشجب في حجرة نومها، وتغلق خزانة الملابس. روب النوم الخاص بها معلق على مشجب خلف باب غرفة النوم.

يشعر الكلب بالجوع، فتضع له الطعام المجفف، وتجلس إلى الطاولة ومعها كوب من الشاي، وتراقبه بينما هو يأكل ويهز ذيله. سيتعلم الأطفال رقص الشوارع على أي حال خلال بضعة أسابيع. من الممكن لها أن تصعد إلى الطابق العلوي وتملأ حوض الاستحمام بالمياه، وتفتح الصنبورين بشكل كامل، ورغوة المياه تزداد كثافتها كلما ارتفع منسوبها. تخيلت الكلب، وهلعه، وقلبه الذي ينبض برعب شديد، وهو يصارع المياه، وحركات قدميه اليائسة.

ليست للروح بشرة



يقضي الشباب الذين واجهوا عثرات، أو عانوا التخبط في حياتهم بعض الوقت في العمل بهذا المحل، ولكن عندما يتسرب إليهم الملل يحاولون البحث عن عمل آخر. بعد مرور سنوات يدخل شخص مثل "فيل" لشراء سلعة ما، مثلًا كرسي سيارة للأطفال، ويدور هذا الحوار:

- أما زلت تعمل هنا يا "باري" يا صديقي؟

يرد بابتسامة، وربما يهز كتفيه، لأن العمل هنا ليس بهذا السوء، ويقول:

- نعم، ما زلت هنا.

في بعض الأحيان قد تستمتع وزملاؤك بتلك اللعبة: تختار سلعة تأمل أنها الأكثر غموضًا من بين السلع المعروضة، وإن طلبها أحد العملاء يجب عليك دفع خمسة جنيهات إسترلينية لزملائك. يجب أن تكون السلعة غالية الثمن، حتى لا يطلب أحدهم من صديق أن يشتري السلعة مخالفًا قواعد اللعبة، لذا يجب أن تنتبه لمسألة السعر، ويجب أن يسهل طلب السلعة واستلامها من المحل، لهذا لا تدخل غسالات الأطباق أو المجففات ضمن السلع التي يمكن اختيارها. مثلًا يمكن اختيار "ساعة رجالي كرونوجرافية، سكوديريا فيراري XX لون أسود وأصفر"، أو "جهاز مرطب هواء هيفين فريش HF710 لون أسود" أو "مقلاة تيفال آكتي فراير، لون فضي". كان حظ "باري" سعيدًا حتى الآن مع اختيار "نجفة فلاور فلاش ذات المصابيح الثمانية"، واختارها لأول مرة منذ ثمانية عشر شهرًا.

يسرق الناس سلعًا من المحل كما هو متوقع. يُرسَل صندوق إلى نقطة التسلم، ولكن يختطفه أحدهم بسرعة قبل أن يتصرف أي من العاملين، ويتسمر حارس الأمن الذي تزين زيه الكتافات والشراشيب أمام الباب،

مبررًا ذلك بضيق بنطاله الذي يسمح له بالكاد بالحركة، ولا تجد هذا الحارس تحديدًا في مكانه عندما تحدث السرقة، بل بعيدًا بداخل المحل. يسترخي العملاء على الأرائك المعروضة للبيع وكأنهم في حجرة معيشة منزلهم الخاصة. ألا تحضر عبوة بسكويت؟ اخلع حذاءك واسترح، سأشغل الغلاية، أيريد أحدكم كوبًا من الشاي؟

يتشاجر الزبائن معهم أحيانًا. المنتج لا يعمل، ويطلب العميل استرداد أمواله. يعيد إليك رجل عجوز جهاز تحميص خبز لا يعمل، وعندما تأخذه تتساقط منه كمية كبيرة من فتات الخبز. تقول:

– آسف يا سيدي، لا أستطيع رد أموالك لأنك استعملت الجهاز. تقول إنك لم تستعمله؟

تحدقان إلى فتات الخبز في صمت، قبل أن تزيحها بظهر يدك من سطح مكتب الاستقبال، وتقول:

– حسنًا، حسنًا، أفهمك، ولكن يؤسفني إخبارك بأننا لن نرد إليك نقودك، إنها قواعد خارجة عن إرادتي. لا أستطيع مساعدتك إلا بإعادة المنتج للمصنع كي يتم إصلاحه. لا، لا أعرف كم من الوقت سيستغرق حتى يتم إصلاحه. لست متأكدًا. أتمنى لو أنني أستطيع إبداله مع آخر جديد.

يقولها "باري" لأنه حقًّا يود منح كل العملاء أجهزة جديدة إن استطاع. يبدو العميل العجوز وكأنه على وشك ارتكاب جريمة قتل.

صف من عشرة عمال "كاشير" متأنقين في المتجر، تلك الصورة المتكررة.. واضحة ومشبعة بالألوان. هناك جهاز راديو وغلاية مياه وميكروويف في

حجرة العاملين الخلفية. يفضل "باري" التجول في المدينة لنصف ساعة عندما يحين موعد الاستراحة وتدخين سيجارة في زقاق ضيق على الذهاب إلى حجرة العاملين. تبدو المدينة ذاتها مُرهقة حتى في الساعة الثانية بعد الظهر، وكأنها لا تكترث للاستراحة هي الأخرى، وتتوق إلى غلق أبواب متاجرها.

أحيانًا يدعوه زملاء العمل مثل "فيل" والآخرين أن ينضم إليهم لشرب النبيذ بعد انتهاء يوم العمل.. فقط كأس واحدة، إلا أنه يفضل العودة إلى شقته. لا شيء يميز شقته: غرفة معيشة، غرفة نوم، مطبخ، ومرحاض. المرحاض مزدحم بالكريمات التي يستخدمها: كريمات فيتامين "د" والكورتيزون. أطلق عليه زملاؤه في المدرسة اسم "الكائن القِشري" أو "أبو قشرة". أن تدهن بشرتك بتلك المنتجات صباحًا ومساءً ليس إلا علاجًا واحدًا من العلاجات التي يجب أن تستخدمها. الجدران هنا رفيعة كرقائق البسكويت، ويسمع شجارات جيرانه أحيانًا؛ تصرخ، ويحتد الصوت، ثم يقذفان الأغراض حول الشقة في غضب، قبل أن يتصالحا، ويراهما "باري" في طريقهما للخروج ويد السيدة في جيب بنطال الرجل الخلفي. إنهما طيبان، فقد أعاراه فتاحة زجاجات عندما زارته "آني" ومعها زجاجة نبيذ في إحدى المرات، وإن ضايقتهما الموسيقى التي يشغلها، لا يشتكيان أبدًا. إنهم جيران طيبون.

أدارت "آني" نظرها في أنحاء الشقة، ثم قررت:

– حسنًا يا "باري"، لا أظنك مهتم بمفهوم "هندسة الديكور المنزلي"، فتصميم شقتك لا يبدو مأخوذًا من مجلة "جراند ديزاينز". حسنًا، الشقة بسيطة بشكل مبالغ فيه، لا أنكر هذا.

الحائط عارٍ إلا من صورة مقطوعة من مجلة لجيتار "جيبسون لي بول"، وقد بهتت ألوانها لقربها من نافذة المطبخ، وتسطع أشعة الشمس على هذا الجزء من الحائط. كان "باري" يعزف الجيتار سابقًا كهاوٍ لا أكثر منذ عدة سنوات.

ترقت "آني" لتنضم لفريق المديرين منذ فترة، وكانت مديرة يحبها الجميع على عكس المعتاد. كان الكل يعلم أنها تشرب الكحوليات، لكن لم يهتموا، لأنها لا تشغل أجهزة ثقيلة أو تحمل مسؤولية سلامة أي فرد بشكل شخصي. لم يشكل انشغالها في مكتبها المغلق بمهام إدارية حتى منتصف اليوم مشكلة كبيرة، فهذا مجرد متجر، وكل عامليه ومرتاديه أشخاص بالغون. كانت تحب موضة موسيقى "الروك آند رول" في شبابها، وظلت تتبعها خلال مراحلها العمرية اللاحقة: تجعيد الشعر ككلب "البودل" وكوفيات خفيفة وجاكيت قصير من الجلد، رغم أنها حاليًّا استبدلت بالجلد الطبيعي جلدًا رخيصًا صناعيًّا. أطلقوا عليها اسم "فتاة الروك". كان "فيل" أول من أطلق عليها الاسم، ثم تبعه الآخرون. كانت فقط "فتاة الروك"، لا "المثيرة" التي تحب الروك. أحبت الاسم، ظنته مضحكًا. كانت "آني" متزوجة في السابق برجل أسكتلندي، أحد هؤلاء الذين يعانون مرضًا تنهار إثره كل أعضاء الجسم ببطء وعلى مدى من الزمن. قالت عنه "آني" إنه كان عضوًا في عصابة "هيلز أنجلز"، إلا أن رجاله كان يطلق عليهم اسم "بلو أنجلز".

المرة الأولى التي خرج فيها "باري" و"آني" في موعد رومانسي كانت في ساعة متأخرة من ليلة خميس قبل عيد الميلاد المجيد ببضعة أيام، وقد زينت المدينة الأمطار والأضواء. شربا معًا زجاجة "براندي" بالقرب من

الشاطئ. كان الجو شديد البرودة حينها، فجاءت الـ"براندي" في الوقت المناسب. عادا إلى منزله معًا، واستندا إلى باب شقته، وحاول هو البحث عن مفتاح الباب، وعندما انفتح وجدا نفسيهما على أرضية الصالة المظلمة. كيف لا يعرف مكان مفتاح الكهرباء حتى الآن! في الواقع كان يعرف مكان مفتاح الكهرباء في غرفة نومه، لكنه آثر ألا يشغله.

زارته في شقته مرة ثانية في الساعة العاشرة والنصف صباحًا تقريبًا، في يوم إجازة لكليهما، ومعها زجاجة نبيذ. سألها "باري":

- أليس من الأحرى تناول القهوة والبسكويت في هذا الوقت من اليوم؟

ردت:

- بناء على...؟ كتاب "إرشادات باري يانج للحياة الحديثة"؟

استعارا فتاحة الزجاجات حينها، واضطرا لشرب النبيذ من أكواب عادية، لأن "باري" لا يملك كؤوس نبيذ. بدت له "فتاة الروك" كطائر نحيف تشعر بعظامه في كل ناحية في جسده إن تحسسته، وبدا هو لنفسه ككتلة جافة وثقيلة. لم يشعر "باري" بالذنب. كيف له أن يشعر بالذنب من الأساس؟ الأمر برمته ليست له علاقة به على الإطلاق، ربما له علاقة بالزوج طريح المقعد المتحرك، أو غيره. صوَّر له عقله شكل الزوج، تحيط به الأسلاك وشاشات المتابعة الطبية، وكأنه هيكل عظمي يبدو كالغول، مرتديًا الملابس الجلدية الخاصة التي تميز عصابته.

بعد انتهائهما، مدت "آني" يدها إلى فخذ "باري" وهما مستلقيان في الظلام. قالت:

- أرجوك يا "باري"، المشكلة ليست بهذه البشاعة التي تتصورها، حقًّا، إنها ليست بهذه البشاعة.

مد يده ليلتقط قميصه وبنطاله المحشورين في ركن الأريكة قائلًا:

- نعم، بالتأكيد.

أدارت ناظرها حول الغرفة، وقالت:

- أتدري أن هذه الغرفة أشبه بصومعة راهب؟

رد:

- هكذا حالها.

قالت:

- حسنًا، إن كانت تروق لك هكذا.

رد:

- نعم، وهل أنت تعيشين في قصر مثلًا؟

قالت:

- تعرف أنني لا أعيش في قصر.. لا أعيش في قصر يا "باري".

بدأت في ارتداء بلوزتها، ثم خلعتها ثانية، ولم تكن ترتدي حمالة صدر. استطردت:

- انظر إليَّ، أريدك أن تنظر إليَّ. أترى الـ.. لا أظنني بحاجة إلى التوضيح، لا أريد أن ألفت انتباهك أكثر من ذلك، ولكن ما تنظر إليه الآن ليس مثيرًا. لا ترى أمامك امرأة مثيرة يا "باري". هل ترى؟ فلتلقِ نظرة.

رد:

- ليس بكِ أي عيب.

قالت:

- بالتأكيد، بي عيب.

ارتدت بلوزتها ثانية، والجاكيت. قالت إن عليها الرحيل، فهناك من يرعى زوجها لبضع ساعات، لكن عليها أن تعود كي يتسنى لذلك الشخص الرحيل، ويجب ألا تتأخر.

طقوس "باري" الصباحية؛ ينهض من الفراش، يضع الكريمات، يرتدي ملابسه، يشتري قهوة "تيك أواي" من محطة البنزين، ثم يستقل الحافلة. يرى الأشخاص أنفسهم يوميًّا تقريبًا في الحافلة: يسمع الصوت المزعج الصادر من سماعات رأس الفتى رخيصة الثمن، ويرى تلك السيدة تضع المكياج دائمًا في الحافلة. تظهر على الأزياء الرسمية للبعض (ومنهم "باري") شعارات أماكن عملهم. زي "باري" الرسمي مقبول: تي شيرت "بولو" وفوقه سُترة ثقيلة في الشتاء. يترجل من الحافلة، ثم يتجول في المنطقة لعشر دقائق على الأقل قبل موعد بدء يوم العمل.

يدخن "باري" عادة في مكان معين، حيث تنتشر أعقاب سجائره في ذلك المكان. أحبال غسيل خاوية بالدور الأول بالمبنى المقابل إن نظر إلى الأعلى، أما بجواره فيرى لوحات إعلانات محيطة بمساحة خالية من الأرض، وتغطيها ملصقات بالية مكشوطة. كان من المفترض أن يبدأ البناء على هذه المساحة من الأرض منذ شهور. الملصقات القديمة تعلن عن ملاهٍ ليلية أغلقت منذ سنين وعن زيارة وسيط روحاني لفندق في أطراف المدينة.

وصلت طلبية هذا الصباح، مما يعني انشغال الموظفين بتفريغ محتويات العديد من الصناديق. يجب أن يشقوا الكارتون والأربطة باستخدام الشفرات الحادة. وصل بعض الموظفين في الصباح الباكر لاستقبال سيارة النقل عندما تصل. يجب على من يريد المشاركة في تفريغ الشحنة أن يحضر دورة لمدة يوم واحد، ولكن لم يحضرها "باري"، ولا يريد أن يحضرها. لن يستمر المدير الجديد في عمله لفترة طويلة، لأنه يتطلع إلى العمل في متجر أكبر من هذا. ليست لديه مشكلة في تفريغ محتويات الصناديق: تجد نفسك اندمجت في إيقاع العمل. تبدأ في التفكير. لا، لا تبدأ في التفكير. تبدأ في التفكير. يسرد "باري" في سره قوائم الأغاني التي صدرت في ألبومات متعددة، يحاول أن يسترجع في ذاكرته صورة ظهر ألبوم "ساكند هيلبنج".. "لينارد سكينارد".. أسماء عازفي الجيتار. تلك السيدة التي لم يرها من قبل على متن الحافلة.. ربما تكون بولندية.. شكل شفتيها على زجاج النافذة بعد أن طبعت قبلة عليه. الآن يفكر في "آني"، يشعر بجسدها ملتصقًا بجسده، وهما يضحكان عندما سقطا على الأرض. "لا تشغل مفتاح الكهرباء".

ولكن ألا يردد الجميع أن للشمس قدرة عظيمة على تنقية بشرتك؟ تحقق الشمس المعجزات. استلقى في الحديقة في أول صيف يمر عليه بعد بداية دراسته للتكنولوجيا، محاولًا أن يتأكد من صحة ما يقوله الآخرون عن سحر التعرض للشمس. كان مستلقيًا بالقرب من المسرح المفتوح القديم في أوائل أيام شهر يوليو، حيث بدا الأسفلت وكأنه على وشك الانصهار. يتجول بعض زملائه من الكلية في الحديقة ويقتربون منه

ويجلسون معه لبعض الوقت، ثم ينصرفون. كانوا ذاهبين إلى حفلة ما مساء ذلك اليوم. سأله أحدهم:

- أتريد أن ترافقنا؟

رد:

- لا، شكرًا.

قال:

- هل أنت متأكد؟ ما الهدف وراء جلوسك وحدك هنا بحق الجحيم؟

يوم حار جدًّا. انصرف شباب الكلية، ولكن جاءت مجموعة أخرى وبدأوا يلعبون بالأطباق الطائرة بالقرب من مكان استلقائه. وجد نفسه يفكر في جو مطبخه اللطيف والعودة إلى المنزل عندما أصابه الطبق الطائر للمرة الثانية.

للحديقة مدخلان، وبكل منهما ملعب. هناك مسار انزلاقي وسوبر ماركت "فريش رايدز" في الملعب الجديد، وسلالم تسلق صدئة قديمة وصدئة، وبعض إطارات السيارات المهملة.

صَرَخت عندما مر "باري" بجوارها:

- من فضلك، من فضلك، هل يمكن أن تساعدني؟

كانت فتاة عالقة على سلالم التسلق في ملعب الأطفال القديم بالحديقة. ساقاها سمينتان، لا يفصلها عن الأرض إلا بضع أقدام. ربما كانت في التاسعة أو العاشرة من العمر. أمسكت يداها باللوح المعدني الصدئ، ولم تستطع أن تتحرر منه، لأن ملابسها علقت في عمود مكسور. كان وجهها

ملتهبًا بفعل البكاء وحرارة الشمس. رفع لها "باري" ذراعيها وحررها، ثم مد إليها يده كي تمسكها وتقفز إلى الأسفل.

سألها:

- ماذا حدث لك؟ كيف عَلِقت؟

أخبرته أنها كانت تلعب مع أشقائها، حتى فعل بها ذلك شقيقها الكبير، ورحلوا جميعًا وتركوها.

استطردت:

- دائمًا ما يفعل معي أشقائي مثل تلك الأفعال، إنهم يعذبونني.

ضبطت تنورتها التي التفت في الاتجاه الخطأ، ورفعت جوربها للأعلى.

قال "باري":

- حسنًا، لحسن الحظ أنت على الأرض الآن.

تحسس جيوبه حتى وجد خمسين قرشًا. أعطاها لها، وقال:

- تفضلي، اشتري لنفسك شيئًا.. آيس كريم، أو بعض الحلوى.

أخذت منه العملة وسارت باتجاه البوابة.

قال "جيمس" مدير المحل:

- ألم يطرأ على بال أحدكم في أثناء تفريغ محتويات كل هذه الصناديق أن كميتها كبيرة جدًّا مقارنة بحجم المتجر؟ ألم يفكر أحدكم في هذا يا أولاد؟ كان يجب أن ترسل بعض تلك البضائع إلى المتاجر الأخرى، فقد امتلأ المتجر بطاولات الكي.

رد "باري":

- لا، لا أظن ذلك.

أما "فيل" فقال:

- لا، لم يطرأ هذا عليَّ، لقد طلبت منا تفريغ الصناديق، وهذا ما فعلناه.

قال "جيمس":

- حسنًا، سأتخذ إجراءات لإعادتها ثانية، فلا تقربوا تلك الطاولات.

يرتبونها في المساحة الوحيدة الخاوية في المتجر، ويعودون إلى تفريغ صناديق أخرى، ولكن يظهر "جيمس" ثانية، ويخبر "فيل" أن عليه الخروج من المكتب الخلفي والذهاب إلى مكتب خدمة العملاء. عندما كانت "آني" تطلب من أحد الموظفين شيئًا كانت تسأله "أتمانع هذا؟"، "أتمانع مساعدتي؟"، "أتمانع أن تذهب إلى مكتب خدمة العملاء؟". لم يمانع أحدهم مُطلقًا. لم يعلم أحدهم سبب غيابها عن العمل معظم أيام العمل في أحد الشهور. حاول "باري" الاتصال بها تليفونيًّا، لكنها لم ترد إطلاقًا. في إحدى الليالي، كان على وشك الخلود إلى النوم عندما طرقت بابه. كيف تكون نحيفة جدًّا ومنتفخة جدًّا في الوقت نفسه؟ قالت إنها لن تستطيع البقاء لفترة طويلة، وإنها ستدخل فقط لبرهة قصيرة. حضر "باري" بعض الشاي في الأكواب التي شربا فيها النبيذ من قبل. سألها "باري":

- متى ستعودين؟ سيخرب المحل دون وجودك.

ردت:

- نعم، هذا حقيقي.

قال:

- يأتي مديرون مؤقتون، لا يفقهون شيئًا في العمل. الجميع يفتقدونك جدًّا.

قالت إنها لن تعود إلى العمل ثانية؛ لأنها لا تستطيع تحمل كل المسؤوليات المُلقاة على عاتقها.

قالت:

- تفهم ما أتحدث عنه.

سألها إن كانت الإدارة تنوي نقلها إلى مكان آخر.

ردت:

- لا أظن هذا يا "باري". أعتقد أن الإنسان تمر عليه لحظة يقرر فيها ببساطة أن يرحل.

قال "باري":

- نعم، أظن ذلك.

ثم استطرد:

- ولكن، لكنني أفتقدك.

ردت:

- حسنًا، أحضرت لك هدية.

كانت مجموعة كؤوس تتمتع بإقبال كبير لأن سعرها 8,99 جنيه فقط. كؤوس نبيذ "بيلجرافيا" موديل 38cl. هناك صورة ذات ألوان رقيقة لامرأة، وقد قربت إحدى تلك الكؤوس من شفتيها على العلبة. أدرك "باري" أنه لن يقابل "آني" ثانية أبدًا، إلا بمحض الصدفة.

قال:

- شكرًا، سأستعمل هذه الكؤوس عندما أجد من يشرب معي النبيذ.

ردت "آني":

- حسنًا يا "باري"، أتمنى أن أسمع أنك تستعمل هذه الكؤوس.

كان المنزل ساكنًا ومظلمًا كالعادة عندما عاد من الحديقة، وكانت مياه الصنبور باردة جدًّا. استلقى على فراشه بعد شرب الشاي، شغل سماعة رأسه. فجأة فتحت والدته بابه.

قالت:

- يجب أن تنزل الآن يا "باري"، بسرعة.

قال:

- لِمَ؟

ردت:

- هناك شرطي!

خلعت مريلة المطبخ ووقفت على درجة السلم الفاصلة بين الطابقين لتضبط تصفيفة شعرها أمام المرآة.

تساءل "باري":

- الشرطة؟

ردت:

- نعم يا "باري"، عليك أن تنزل الآن إلى الطابق السفلي.

تساءل:

- ماذا يريد بحق السماء؟

ردت:

– يريد التحدث إليك. لم ترتدِ حذاءك، أين حذاؤك؟

قال والده عندما وصل إلى الباب:

– ها هو "باري".

كان الشرطي شابًّا مبتسمًا. قال إنهم يريدون التحدث معه لبرهة قصيرة، ويأملون ألا يأخذوا من وقته الكثير.

تساءل "باري":

– معي؟

أومأ الشرطي برأسه.

عاود التساؤل:

– تريدون التحدث معي؟

هل كان شاهدًا على جريمة شنعاء دون أن يدري؟ لم تكن له علاقات مع من لا يتبع القانون. صباح اليوم في الحديقة لاحظ أن أحد زملائه من الكلية يدخن بعض الحشيش. هل رآه أحد؟ هل هذا هو السبب؟

سأل الشرطي عن المشكلة. هل ارتكب جريمة؟

كان الشرطي لطيفًا. ابتسم، وقال:

– نريدك أن تأتي إلى قسم الشرطة كي تساعدنا في أحد التحقيقات.

تساءل والده:

– المعذرة يا سيدي، هل ستلقي القبض على "باري"؟

رد الشرطي:

– لا، نطلب منه أن يأتي إلى قسم الشرطة بشكل تطوعي.

نزلت والدة "باري" السلم حاملة حذاءه المدرسي القديم. راقبه الشرطي وهو يرتديه. حذاء مدرسي وبنطلون "جينز" مدرسي قديم.. بدأ يثير في نفسه الريبة بالفعل.

كان هناك شرطي آخر ضخم الجثة جالسًا في المقعد الأمامي بالسيارة. لم يتحدث عندما ركب "باري" وانطلق الثلاثة في طريقهم لمحطة الشرطة في صمت، ثم توقفوا أمام محطة بنزين. ترجل الشرطي الشاب ليشتري منها شيئًا، ولم يبقَ إلا "باري" والشرطي الآخر. استدار ببطء وتأنٍّ ورمق "باري" بنظرة طويلة. فتح النافذة وبصق منها على ساحة محطة البنزين الأمامية، ثم تنهد في ضجر. بدأ "باري" يحك كوعه الأول، ثم الثاني.

تركوا المحطة وعادوا إلى طريقهم ثانية، مارين ببداية الطريق المؤدي إلى منزل "باري"، وفجأة بدا له الطريق جميلًا: انعكاس أشعة الشمس الرقيقة على أوراق الشجر، ورجل يغسل سيارته في الشارع، الكتل الرغوية تلمع على الطريق. فكر "باري" في قرارة نفسه أنه لم يدرك أبدًا أنه يحب هذا الطريق من قبل.. كل هؤلاء الناس الواقفين في محطة الحافلات.. تستطيع أن ترى طيور "الرهو"، وخلفها التلال.. إعلانات العقارات المعلقة على نافذة مكتب التسويق العقاري.. ملصقات مربعة معلقة بجوار بعضها بعضًا.. كل تلك الصور المصغرة للمنازل المعروضة.. أحبها كلها.. وكل هؤلاء الناس الذين يخرجون من مطاعم الأكل الصيني ومعهم وجباتهم الجاهزة. من كان يتخيل أن كل شيء حولنا بهذه الرقة؟ تغسل والدته الصحون أمام حوض المطبخ، وترفع طبقًا عميقًا تحت ضوء المصباح لتتأكد أنه نظيف.

أدخلوه غرفة ما عند وصوله إلى قسم الشرطة، وأخبروه أنهم في انتظار والده، فلن يستطيعوا توجيه أي أسئلة إليه دون وجوده. لم يدركوا سنه الحقيقية، وأنه تحت سن الثامنة عشرة. كانت رائحة الغرفة كرائحة حجرات تغيير الملابس في المدرسة. كان الكل يعرف اسمه في قسم الشرطة، ويخاطبونه به باستمرار، حتى نقلوه إلى غرفة أخرى، حيث انتظره والده، وقد ارتدى بذلة. شعر بأن والده نهض ليفتح الباب منذ زمن طويل (في الواقع منذ أربعين دقيقة فقط تقريبًا)، وفجأة ها هو، في قسم الشرطة، مرتديًا بذلة لا يرتديها في المعتاد من الأساس، لدرجة أن الملصق الوردي لمغسلة التنظيف الجاف لا يزال على كُمِّها منذ آخر مرة ارتداها. شكرت السيدة الجالسة إلى المكتب والده على حضوره. سألت "باري":

- هل تريد كوبًا من القهوة يا "باري"؟

رد عليها بالإيجاب، رغم أنه لم يكن قد شرب القهوة من قبل في حياته، على أي حال، إن القهوة لم تُقدَّم له من الأساس، لذا لم يكن هناك داعٍ أن يقلق بشأنها.

أخبرته أنهم سيحتاجون إلى تسجيل الحوار، ثم انفتح الباب ودخل رجل آخر. قالت السيدة مخاطبة "باري":

- حسنًا، نود أن نطرح عليك بعض الأسئلة ونوضح أنك جئت إلى هنا بمحض إرادتك. نريد أن نسألك عن فتاة مفقودة، فتاة في الثامنة من العمر اسمها "ميجان نيكولز". انظر إلى هذه الصورة يا "باري". أنا الآن أعرض صورة "ميجان نيكولز" على "باري".

بدت صورة رسمية تمامًا، كتلك الصور التي تعلق على جدران المنازل، حتى إنها ما زالت بداخل الإطار بني اللون الكارتوني المعتاد لصورة المدرسة السنوية. كانت ترتدي الزي المدرسي نفسه الذي كان "باري" يرتديه في سنها.

استطردت السيدة:

- هل تعرف "ميجان نيكولز"؟

رد "باري":

- نعم، إنها تلك الطفلة التي رأيتها اليوم، ولكنني لا أعرفها.

قالت السيدة:

- إنها مفقودة.. أسوأ كابوس يراود كل أب وأم، ألك أن تتخيل ذلك؟

قال "باري":

- لا.. أعني، نعم، أستطيع أن أتخيل ذلك.

سألته:

- ولكن هل رأيتها؟

رد:

- رأيتها في الحديقة، في ملعب الأطفال القديم بالقرب من البوابة.

سألته:

- ملعب الأطفال.. حسنًا. ألديك أي فكرة كم كانت الساعة حينذاك؟

قال:

- بعد الرابعة بقليل.

تراجعت السيدة في مقعدها. سألته:

- وأين رأيتها بالتحديد؟

رد:

- كنت في ملعب الأطفال.

تساءلت:

- كنت في ملعب الأطفال؟

رد وقد ابتلع لعابه بصعوبة:

- لا، دخلت ملعب الأطفال لأنني رأيتها هناك.

سألته:

- هل تحدثت إليها؟

قال:

- نعم.

سألته:

- لماذا تحدثت إلى تلك الطفلة يا "باري"؟

شعر بأن والده استدار باتجاهه بعض الشيء منتظرًا إجابته.

رد "باري":

- لقد نادتني طلبًا للمساعدة، لأنها علقت على أحد سلالم التسلق. كانت عالقة وتبكي.

قالت السيدة:

- نعم، نعرف أنك تحدثت إليها، لقد شوهدت تتحدث إليها.. تتحدث إلى "ميجان نيكولز".

طرق أحدهم الباب، فقامت السيدة من على المكتب وخرجت من الغرفة.

همس "باري" لوالده قائلًا:

- أنا آسف يا أبي، لا أفهم ما يحدث الآن. لم أرتكب أي خطأ إطلاقًا.

لم يرتكب أي خطأ إطلاقًا، منذ سنوات، سنوات عديدة، حدث على مداها الكثير. يقطع الأربطة البرتقالية حول صندوق به طلبية أخرى، وعليه طبعت أسهم تشير إلى الأعلى وعبارة "احتفظ بالوضع الصحيح في أثناء النقل"، كل الصناديق الكرتونية التي مزقها، كل تلك السلع التي أعاد تخزينها، كل الملاحظات التي كتبها، والبطاقات التي قرأها، والإيصالات التي سلَّمها منذ ذلك الوقت، وحتى اليوم. نوافذ العرض التي أعاد تنظيمها، أثاث الحدائق وحفلات الشواء، ومواقد الحطب ذات النيران المزيفة بداخلها في المتجر، أشجار عيد الميلاد المجيد، وألعاب الأطفال الجديدة كل سنة، وخواتم الخطبة والزفاف أسفل نافذة العرض الزجاجية، وسلع وضعت في حقائب، وسلع تُخرج من حقائب، تلك الأوقات التي استقل فيها الحافلة، والأوقات التي ترجل فيها من الحافلة، تغسل ملابسك، تجفف ملابسك، ثم توسخها ثانية.

عادت السيدة إلى الغرفة معتذرة عن غيابها. نظر إليها الرجل، وأومأت إليه برأسها. خاطبت "باري":

- حسنًا، كنت تقول إن "ميجان نيكولز" كانت عالقة.

قال:

- لقد أنزلتها من سلالم التسلق. كانت عالقة عليها.

سألته:

- إذًا، لماذا لم تنزل بنفسها؟

قال:

– لأنها كانت عالقة، كان يجب أن أنزلها بنفسي.
سألته:
– كيف كانت عالقة بالتحديد؟
رد:
– من ملابسها الداخلية.
وكأن كلمة "ملابسها الداخلية" تحولت إلى شبح يحوم فوق المكتب.
استطرد:
– من بنطالها الداخلي. كانت عالقة على سلالم التسلق، لهذا لم تستطع النزول بنفسها.
اقتربت منه السيدة قليلًا، وسألته:
– هل لمست بنطالها الداخلي أو ملابسها الداخلية يا "باري"؟ هل لمست بنطالها الداخلي؟
سعل الرجل وخفض رأسه.
رد "باري":
– لم أستطع ألا ألمسه عندما كنت أنزلها من السلالم، كانت عالقة من البنطال.
قالت السيدة:
– لم تستطع ألا تلمس بنطالها.
رد "باري":
– لا.

قالت السيدة:

- هل تقول إنك لم تستطع ألا تلمس بنطالها؟

قال باري:

- لأنزلها بحق المسيح! أحاول أن أبين لك أنها كانت عالقة على سلالم التسلق. علقها آخرون بهذا الشكل وأنزلتها. لم يكن في الأمر ما يُضحك.

تم تسجيل كل ما قاله "باري" بمنتهى الأمانة.

سألته السيدة:

- هل كان هذا الاتصال الجسدي الوحيد الذي قمت به معها؟

رد "باري":

- نعم، لكنه لم يكن اتصالًا جسديًّا من الأساس، فلهذا التعبير وقع سيئ.. لقد استغرق الأمر كله.. ثلاث ثوانٍ تقريبًا، حتى أنزلتها.

سألته السيدة:

- وأنت متأكد من ذلك؟

رد "باري":

- نعم، أنا متأكد من ذلك، متأكد تمامًا.

قال الرجل:

- نطرح عليك الأسئلة لأن هناك طفلة مفقودة.

استطردت السيدة:

- إذًا، ماذا حدث بعدما لمست ملابسها الداخلية؟ عندما نزلت على الأرض؟ ماذا حدث يا "باري"؟

لم يكن يريد أن يقولها، ولكنه رد:

- أنا.. لقد أعطيتها بعض النقود.

سألته:

- ماذا فعلت؟

رد قائلًا:

- لقد أعطيتها بعض النقود.

سألته:

- لطفلة لا تعرفها؟ لماذا تعطي النقود لطفلة لا تعرفها؟

قال:

- لأنها كانت حزينة! لأنها كانت وحدها، وقد تركها أصدقاؤها، وكانت حزينة وباكية. أعطيتها خمسين قرشًا لتشتري الآيس كريم أو مشروبًا غازيًّا وانتهى الأمر. مضت في طريقها ولم أرها ثانية، وهذا كل ما يمكنني أن أفيدك به.

تراجعت السيدة في مقعدها، وقالت:

- ولكن تظل الحقيقة هي أنك آخر من رأى هذه الفتاة. انظر إلى صورتها ثانية يا "باري". انظر إلى صورة "ميجان نيكولز"، ولنبدأ ثانية.

عند ذلك بدأ والد "باري" التحدث:

- لقد أخبرك.. لقد أخبرك بما حدث. هل لي أن أسأل إن كان "باري" قيد الاعتقال الآن، ماذا يحدث الآن؟

ردت:

- نطرح عليه بعض الأسئلة، لا أكثر ولا أقل، وقد جاء إلى هنا بمحض إرادته.. ليجيب عن بعض الأسئلة.

ظلت نظرتها الطويلة ثابتة. قالت:

- حسنًا، شكرًا جزيلًا.

قال والده:

- من المفترض أن يكون هناك مُحامٍ برفقتنا، من المفترض أن يمثلنا أحد. انظري إلى حالته.

لم يلحظ "باري" أنه كان يحك بشرته بشدة، وأن رقبته انتشرت عليها علامات حمراء متعددة، أما بشرة ذراعيه فقد كادت تنزف دمًا.

قال الرجل:

- ماذا تفعل؟ لماذا تفعل هذا؟

قالت السيدة:

- توقف عن هذا.

قالت إنهم سيأخذون استراحة. تم اقتياد "باري" ووالده إلى حجرة انتظار، بالقرب من المكتب الرئيس. كان هناك رجل آخر جالس في الركن، وقد ظهرت على عينه آثار كدمة محدقًا إلى كفي يده.

قال والده:

- يا لها من أزمة، أزمة بالتأكيد. لا أعرف محامين. لا أتعامل معهم. لا أعرف إلا مُحاميًا واحدًا احتجنا إلى خدماته عندما توفيت جدتك وأردنا بيع المنزل. كان رجلًا من "كاريك". لن يفيدنا هنا. ليست لديه خبرة إلا في بيع المنازل والوصيات.

تساءل "باري" في قرارة نفسه إن كان سيدخل السجن. أحيانًا يدخل الناس السجن حتى وإن لم يرتكبوا أي جريمة، لا يهم.

دخل شرطي آخر، ومعه أنبوب أزرق. خاطب "باري":

- ربما يجدر بك أن تستخدمه، لقد أرسَلته إليك. رئيستنا أرسلته إليك.

سأل "باري" والده:

- هل أستخدم هذا؟

رد والده:

- نعم، إن شعرت أنه سيفيدك في التوقف عن حك بشرتك.

كان هناك ورق فضي سميك يغطي الأنبوب، وتحته كريم يشبه الصمغ.

بدت رائحته العطرية وكأنها انتشرت في كل أرجاء الغرفة. هل صوب الرجل ذو كدمة العين ناظره إلى"باري" لأنه شمها هو الآخر؟

شعر "باري" أن عليه وضع الكريم. قد تغضب السيدة إن عادت ووجدت أنه لم يضعه، ولكن مثل هذه الكريمات لا تعود عليه بفائدة، فهي مصنوعة لوجوه النساء، وليست طبية. التصق بأصابعه وأدرك أنه لن يفيده، ولكنه وضع بعض منه على إحدى ذراعيه، ثم الأخرى.

خاطبه والده:

- لن تذهب إلى هذه الحديقة ثانية، فبها الكثير من الأوغاد.. في كل الحدائق هناك أوغاد. لم تأخرت السيدة؟ بالتأكيد سيوكلون لنا محاميًا الآن، وسيثبت أنك لم تقترف أي خطأ يا بني، أنا متأكد من ذلك. أنا متأكد. سيحل المحامي المشكلة.

نظر حوله، ثم استدرك:

- هل لي أن أسأل أحدهم عن وجود مُحامٍ؟

رد "باري":

- لا أعرف.

سأله والده:

- لم تقابل تلك الفتاة من قبل، هل أنت متأكد من ذلك؟ هل أنت متأكد؟ حسنًا.

رد "باري":

- لا.

قال والده:

- سيجن جنون والديها بالتأكيد. هناك الكثير من المجرمين حولنا.

هناك مشهد في فيلم يقطع فيه شاب صغير شرايينه وهو مستلقٍ على فراشه، وترى الدم يتسرب إلى الملاءة.

عادت السيدة، وقد اختلف شكلها. هل لاحظت استخدامه للكريم؟ هل يسعدها استخدامه للكريم؟

قالت:

– سنتركك ترحل يا "باري". لقد شوهدت "ميجان نيكولز" بعد مغادرة الحديقة بفترة قصيرة.

أعاد إليها "باري" أنبوبة الكريم.

استطردت:

– ولكن هذا لا يعني أننا لن نحتاج إلى التحدث إليك ثانية. أتفهم؟

قال والده:

– ليس لـ"باري" أي علاقة بما حدث.

نزلت والدة "باري" سلم المنزل بسرعة لتستقبله ووالده عندما عادا. رفع والد "باري" يده وهز رأسه.

قالت والدته:

– ماذا يحدث؟ لا تذهب إلى غرفتك الآن يا "باري"، ما زلت أنظفها، وقد شارفت على الانتهاء.

كانت الشرطة قد جاءت لغرفة "باري"، وأخذوا بعض الأغراض. علقت والدته على هذا قائلة:

– ماذا كانوا يظنون أنهم سيجدون إلا الجوارب والبناطيل المتسخة؟ أليس كذلك يا "باري"؟ لم تقترف أي خطأ، أليس كذلك؟ جاءت سيارة شرطة إلى المنزل.. كم كان منظرًا محرجًا، رؤياهم يحملون أغراضك. ترى المارَّة على هذا الطريق نادرًا، ولكن فجأة تجد مجموعة كبيرة تحملق بك.

كان اليوم التالي سبتًا، ولكن لم يظهر لـ"ميجان نيكولز" أي أثر، ولا حتى يوم الأحد. بدأت عناوين الصحف الرئيسة في التحدث عنها. ظهرت والدة "ميجان نيكولز" على شاشات التليفزيون، وبجوارها أخواها ذوا

الأعيُن الداكنة. نظم الجيران حملات بحث عنها، وطبعوا ملصقات وعلقوها على أبواب المنازل، عدا منزل "باري"، فلم يقربه أحد. أصاب الصمت الناس فجأة في المحل عندما دخله والد "باري" لشراء الجريدة اليومية. تخيل "باري" ما يقال عنه: "هل رأيت الحقائب التي أخذتها الشرطة من المنزل؟ سمعت أن الشرطة احتجزته لساعات. لا يوجد دخان بلا نار. يبدو هذا الشاب غريب الأطوار، لا بدَّ أنك رأيته في المنطقة. شاب طويل يُعاني مشكلة جلدية. لا تحكم على الكتاب من غلافه بالتأكيد، ولكن هل سمعت أن الشرطة احتجزت غيره؟ لا يوجد دخان بلا نار".

كان "باري" وأسرته يتناولون العشاء تلك الليلة، عندما أُعلن في الراديو أن "ميجان نيكولز" لا تزال مفقودة. قالت والدته:

- يا للطفلة المسكينة.

نهض والد "باري"، قائلًا إنه سمع صوتًا بالقرب من باب المنزل. وجد بيضة مكسورة تنساب على النافذة. جاء "باري" ووالدته أيضًا، ورأوا بيضة تلو الأخرى تنكسر على النافذة، وتبع هذا ارتطام شيء كالحصى، حفنة تلو الحفنة.

تساءلت والدته:

- هل أتصل بالشرطة؟

رد والده:

- لا، لا تفعلي.

عُثر على "ميجان نيكولز" صباح الإثنين. وجدها عامل النظافة عندما فتح أبواب المدرسة لبعض المدرسين الذين يفضلون ترتيب فصولهم في بداية

إجازة الصيف. قضت "ميجان" عطلة نهاية الأسبوع تقتات على عبوات البسكويت القديمة التي تركها المدرسون في خزانات غرفة طاقم التدريس. كانت هناك عبوة كبيرة من البطاطس المقلية أيضًا، متبقية من الطعام المقدم في أثناء حفل نهاية السنة الراقص. قالت "ميجان" إنها لعبت مع سلحفاة المدرسة ولعبت بالألوان. كانت قد رأت سيارة السيدة "فوستر"، وأرادت أن تتمنى لها إجازة صيفية سعيدة، ولكنها لم تجدها، وتم إغلاق المدرسة وهي بالداخل. سألتها المذيعة بالتليفزيون في حوار قصير معها:

- لماذا لم تستخدمي التليفون الموجود في حجرة طاقم التدريس لطلب المساعدة؟

سكتت لبرهة، ثم قالت:

- استمتعت بالسلام والهدوء هناك.

انتشرت تلك النكتة بين الناس حينها: افعل مثل "ميجان نيكولز" إن انعزلت بنفسك لتستمتع بالسلام والهدوء.

خرجت والدة "باري" هذا اليوم ونظفت آثار البيض من النافذة بسرعة وكفاءة، كأنها لا تقوم بأكثر من التنظيف المعتاد، لا أكثر. لطخ الباب دهان أخضر أيضًا، هذا النوع الذي يستعمل عادة لدهان المراحيض. اضطر والد "باري" للذهاب إلى محل المعدات ليشتري مزيلًا له. تقرر أن على "باري" الانتقال للعيش مع عم عجوز من أعمام والده، والذي يسكن بالناحية الأخرى من المدينة. لم يبرر له القرار إلا بكونه ترتيبًا مؤقتًا، لأن الكل يعلم أن "باري" لم يقترف أي خطأ بالتأكيد، أليس كذلك؟ اعتاد هذا العم أن يأكل فطائر معلبة في عبوات من الصفيح، وأن يستمع إلى مباريات لعبة "الكريكيت" على

الراديو. عاش "باري" مع العم العجوز لمدة سنة، حتى انتقل من منزله. في البداية سكن في منزل قديم رطب مع آخرين، ثم انتقل إلى شقته عندما حصل على وظيفة المتجر. يقابل والديه حاليًّا في وسط المدينة كل أسبوعين تقريبًا، في مطعم يقدم وجبات غداء عمل، أو وجبات عشاء مبكرة، لأنهم يحبون ذلك. بدأوا في جمع قسائم شرائية يطبعونها من الإنترنت، والتي تفرض على مستخدميها ترتيبات معقدة كالوصول إلى المطعم في وقت معين ومغادرته في وقت معين. زارا شقته، ولكنهما يفضلان مقابلته في وسط المدينة. يقضي معهما عيد الميلاد المجيد،. تغير الأضواء والزينة والشوارع الخاوية في صباح عيد الميلاد المجيد شكل المكان حتى يبدو وكأنه مكان آخر. دائمًا يغادرهما بعد الظهر، لا يستطيع البقاء كثيرًا، دائمًا يعمل في "يوم الصناديق"، تبدو نوبات العمل هكذا، كل عام. يوصله والده بالسيارة.

يدخل "فيل" المكتب الخلفي قائلًا:

- "باري"، تعالَ معي لحظة.

يترك "باري" الشفرة التي كان يستخدمها، ويطبق ملصقات الشحن التي صنفها على الأرض. سيأتيان قريبًا هما الاثنان لتناول الطعام في وسط المدينة. سيسألانه عن العمل. سيسألانه عن الشقة. سيخبرانه إن كل شيء على ما يرام، فالأحوال ليست بهذا السوء.

قال "فيل":

- هناك خطأ في النظام.

سأله "باري":

- أين "جيمس" مديرنا؟

رد "فيل":

- لست أدري. لقد غادرنا منذ دقائق. قال إنه بحاجة إلى شراء قميص.. بحاجة إلى شراء قميص أبيض.. أظن أن لديه مقابلة عمل في متجر آخر بعد ظهيرة اليوم. يا لعدد المديرين الذين عملوا في هذا المكان: هو، وذلك الرجل الآخر، الرجل السمين، "آني".

قال "باري":

- نعم، أعرف.

شرح "فيل":

- لقد دفع عميلان ثمن السلعة نفسها في الوقت نفسه بالضبط، لكن لا يتوفر لدينا سوى عدد واحد فقط من السلعة.

سأله "باري":

- عمَّ كانا يبحثان؟

رد:

- طلاء.

سأله:

- طلاء جدران منازل؟

رد "فيل":

- لون "الكاديلاك" السائل غير اللامع لشركة "جون ستون".

سأله "باري":

- هل حاولت البحث عنه في الفروع الأخرى؟

رد "فيل":

- نعم بالتأكيد، لكن لا، لم أجده.

قال "باري":

- حسنًا، عليهما أن يتفقا معًا من سيأخذه.

رد "فيل":

- ولكنَّ كليهما يريدانه.

قال "باري":

- ربما، لكن لا توجد سوى علبة واحدة.

قال "فيل":

- "باري"، فلتذهب لتتحدث معهما، لديك مهارة التعامل مع مثل هذه الأمور.

رد "باري" ساخرًا:

- بالتأكيد.

قال "فيل":

- لديك المهارة يا "باري"، لا أجاملك. لديك هذه القدرة.

تنهَّد "باري"، وقال:

- حسنًا، حسنًا.

يخرج "باري" إلى مكتب خدمة العملاء، ليتعامل مع العميلين اللذين يمسك كل منهما بفاتورة لون الـ"كاديلاك" السائل غير اللامع لشركة "جون ستون".

77 معلومة

لا تعرفها عن "جيل كورتني"

نجم موسيقى "البوب"



1- وُلد "جيليسبي ستانلي جون كورتني" في "بلفاست" في 26 يوليو 1950. ولد أيضًا الكاتب "ألدوس هاكسلي" والممثلان "جيسون روباردز" و"كيفن سبيسي" في التاريخ نفسه.

2- منحت "إلسي" والدة "جيل كورتني" ابنها اسمها الأوسط "جيليسبي"، وسجلته به كاسمه الأول. في البداية قالت إنها فعلتها بطريق الخطأ، لكنها اعترفت في السنوات الأخيرة بأنه مقصود.

3- نشأ "جيل كورتني" في 166 شارع "تلدارج"، "كريجا"، "بلفاست". يقال كثيرًا إن بعض كلمات أغنية "فتحة جزئية" - Partial Aperture، والتي غناها مع فريقه الموسيقي "ذا بالومار" - The Palomar وظهرت في ألبومهم الأول "الغسق الذهبي" مستلهمة من المنظر الذي تطل عليه حجرة النوم الخلفية بمنزله. يمكن رؤية تلال "كاسيلراي" على مسافة من فوق أسطح المنازل.

4- كان اسم الفريق "ذا بالومار" حتى 1975، ثم تغير إلى "بالومار".

5- تُنسب عبارة: "نتعاطى المخدرات كي نؤلف الموسيقى التي تُسمَع لاحقًا في أثناء تعاطي المخدرات" إلى "جيل كورتني" كأول من قالها في أثناء تسجيل ألبوم "الغسق الذهبي". استخدم فريق "سبيس مين 3" العبارة لاحقًا كعنوان لأحد ألبوماتهم.

6- حصل ألبوم "الغسق الذهبي" على جائزة الأسطوانة الفضية، والتي انتهى بها المطاف فوق مدفأة حجرة المعيشة بمنزل شارع "تلدارج"، ويعود الفضل في الحصول على الجائزة إلى مبيعات الألبوم في

أوروبا، لأنه فقط وصل إلى المرتبة الواحدة والعشرين على "قائمة أشهر ألبومات المملكة المتحدة". تذكَّر "جيل" في حوار أُجري معه عام 1972 عودته إلى منزل طفولته ذات يوم ونزع الأسطوانة من على الحائط لتشغيلها، قائلًا: "كان مجرد ألبوم لـ"آلما كوجان"، وقد تم غمسه في طلاء فضي، تخيَّل؟ التصق الطلاء الفضي بيدي".

7- من المحتمل ألا يكون والد "جيل كورتني" هو "آليك كورتني"، زوج "إلسي"، والموظف في شركة "جيمس ماكاي آند سانز" بـ"بلفاست". كانت "إلسي" حاملًا في خمسة أشهر عندما تزوجا، وكانت تعتقد أن الأب تاجر بحَّار، وتظنه كان إسبانيًّا. قابلته في حانة "داباري" (تعرف حاليًّا باسم حانة "ماكيوز").

8- عُرِض منزل شارع "تلدارج" للبيع عام 2012، ووصف سمسار العقارات المختص ببيعه بأنه بحاجة إلى بعض التجديدات. أظهرت الصور الملتقطة للمنزل غرفه الخاوية وجدرانه العارية وألواح أرضياته الخشبية، أما أثاث "إلسي" وسجاداتها فقد ألقيت في صندوق مهملات قبل بضعة أسابيع.

9- أول آلة موسيقية عزفها "جيل كورتني" كان "الزايلوفون". فوجئت إحدى مدرساته في المرحلة الابتدائية، والتي أدخلت حصة موسيقى جديدة مدتها نصف ساعة إلى جدول التلاميذ أن أحدهم يعزف جهازي "زايلوفون" في آنٍ واحد. قال حينها "جيل كورتني" الصغير أنه تذكر لحنًا سمعه على الراديو من قبل.

10- درَّست السيدة "كاثلين هيوز" مدرسة الصف السابع الابتدائي وعازفة آلة "الأورجن" بالكنيسة عزف البيانو لـ"جيل كورتني" في صالة

الاجتماعات بالمدرسة. صرَّحت لاحقًا بأنها لم يسبق لها التعامل مع طفل بقدرات "جيل كورتني" الاستثنائية، وبمهاراته غير العادية على قراءة النوتة الموسيقية، حتى إن "جيل كورتني" ذا الأحد عشر عامًا حل محلها في جنازة لعزف "الأورجن"؛ لأنها لم تستطع الحضور بسبب مرضها.

11- دخلت "سيمون ليندستروم" صديقة "جيل كورتني" في علاقات قصيرة مع "نيل يانج" و"تيري ميلتشير" ابن "دوريس داي". وصفها "ديكي جريفين" عضو فريق "بالومار" أنها "حسناء مثيرة تتطلب فيضًا من الاهتمام"، أما "إلسي" فوصفتها بقولها "سيمون ذات الثديين الصغيرين في حجم اللفت، والتي ترتدي ياقات عالية خفيفة القماش حتى يمكن لبصقتك أن تصل إلى صدرها".

12- بدأ "جيل كورتني" في سن الخامسة عشرة العزف مع عدة فرق جوالة شهيرة في شمال أيرلندا حينها، مثل "ذا بوكانيرز" و"ذا داكوتاز" و"ذا كولديج بويز" و"ذا إمبيرورز". عادة ما كانوا يحيون اثنتين أو ثلاث حفلات في الأسبوع. قال "روني أوهانلون" عازف الطبول في فريق "ذا داكوتاز" متذكرًا سفرهم حول المقاطعة في مؤخرة شاحنة ومعهم الآلات والمعدات الموسيقية: "كثيرًا ما كانت الطرق غير ممهدة حتى إنها تسببت في اهتزاز الشاحنة وتمايلنا في جميع أركانها. كانت الكثير من تلك المناطق نائية. يتعجب السائق متسائلًا إلى أين بحق الإله سيأخذنا هذا الطريق غير الممهد، وفجأة تبزغ أضواء نادٍ ليلي من اللاشيء".

13- كانت دروس "جيل كورتني" الموسيقية مع "السيدة هيوز" دائمًا ما تبدأ برفع صناديق المعدات الرياضية المكدسة فوق البيانو.

14- أذاع "ستيوارت ماكوني" أغنية "فولونتي بلو"، الأغنية الرابعة في ألبوم "جيل كورتني" المنفرد في برنامجه "ذا فريك زون" - The Freak Zone Playlist على قناة الموسيقى السادسة يوم الأحد الموافق 16 من أكتوبر 2011.

15- هناك معرض صغير لتذكارات من موسيقى "البوب" شمال الأيرلندية في مركز "أوه ياه ميوزيك" في "بلفاست"، وفيه صورة لـ"جيل كورتني" وأعضاء "ذا بالومار" الآخرين خارج شقة "جيديون هول" في لندن، يرتدون الملابس الأنيقة في زمانهم. على اليسار هناك أيضًا صورة لـ"ديفيد ماكويليامز" وعلى اليمين صورة أخرى لفريق موسيقى "السايكيديليك - بلوز" الستينياتي "آير أبارينت" من "بلفاست".

16- تلقى "جيل كورتني" التعليم في مدرستي "هاردينج ميموريال الابتدائية"، و"بارك باراید الثانوية".

17- عزف "جيل كورتني" آلة "السيمبال" التي أنتجتها شركة "هونير"، و"أورجن" أنتجته شركة "هاموند"، والبيانو الكهربائي الخاص بشركة "ورلتزير".

18- عزف "جيل كورتني" وأعضاء آخرون من فرق "ذا داكوتاز" و"ذا إمبيرورز" في نادي "ستار" بـ"هامبورج" قبل إغلاقه عام 1969، فقد كانوا ضمن مجموعة من الموسيقيين الذين سافروا إلى ألمانيا "لتجربة حظهم"، وكانت المرة الأولى التي يسافر فيها معظمهم خارج شمال أيرلندا. أرسل "جيل" العديد من البطاقات البريدية إلى أرض الوطن. علقت "إلسي كورتني" عليهم بقولها إن الأخطاء الإملائية والنحوية التي

ملأت تلك البطاقات تدل على أن الشاب الذي أرسلهم لم يحصل على قسط وافٍ من التعليم.

19- حصل ألبوم "فولونتي بلو" لـ"جيل كورتني" على المرتبة الثالثة عشرة في مقال مجلة "أنكات" الرئيس والصادر في أبريل 2016 عن "رحلة البحث عن أعظم ألبومات الروك المنسية على أقراص الفونوجراف". كان الألبوم رقم اثني عشر هو "متوازيات الأضلاع" - Parallelograms لـ"ليندا بيرهاكس".

20- كان "آليك كورتني" زوج "إلسي" دائمًا ما يشير إلى "جيل" باسم "ستانلي".

21- انتقل "جيل كورتني" إلى لندن عام 1968 ليعمل موسيقيًّا مستقلًّا، ويحصل على دخل إضافي عن طريق الانضمام إلى الفرق الموسيقية التي تقيم حفلات منتظمة في فندقي "دورتشيستر" و"بارك لين". قيل إن "جيل" علَّق على هذه الفترة قائلًا: "لم أندم إطلاقًا على العزف مع فرق الفنادق، فيتمتع الكثير من هؤلاء الموسيقيين بموهبة كبيرة ولقد تعلمت الكثير في هذه الفترة". زارت "إلسي كورتني" وأختها "نان" فندق "دورتشيستر" في أثناء فترة عمل "جيل" فيه، ونزلتا في جناح "دورتشيستر"، ويعود الفضل في هذا إلى علاقات "جيل" بإدارة الاستقبال، حيث حصلتا عليه مجانًا. تتذكر "إلسي" الوقت الذي قضته هناك قائلة: "كان وقتًا لطيفًا، فقط كان علينا الدخول من الباب الخلفي واستخدام سلم العاملين وعدم النزول لتناول الإفطار". رقصت الشقيقتان في قاعة الرقص الكبيرة، حيث كان "جيل" يعزف موسيقاه،

وعن هذا قالت: "كان كل شيء جميلًا؛ أضواء الكريستال، والمايسترو. كان يجب أن ترى زي النساء، كنَّ جميلات".

22- تم استخدام العشرين ثانية الافتتاحية في أغنية "تحت الجبل" من ألبوم "الغسق الذهبي" كلحن مقدمة برنامج كرة قدم أرجنتيني لمدة خمس سنوات في الثمانينيات. اعتُبر "جيل كورتني" كاتبًا مشاركًا في هذا اللحن، وهكذا حصل على عوائد ملكية فكرية، بالإضافة إلى عوائد أخرى لاشتراكه في كتابة العديد من الأغنيات الأخرى في الألبوم.

23- كان منزل 166 شارع "تلدارج" لفترة من الزمن مقصد العديد من الفرق التي تأتي إلى "بلفاست" لإحياء حفلات، ولكن لا تريد النزول في فندق. لدى "إلسي كورتني" ذكريات لا تُنسى مع بعض الناس الذين أقاموا مؤقتًا معها هناك، وأكثرهم قربًا إلى قلبها كان "ستيف"، والذي كان لا يزال يذكر الأغاني التي غناها كطفل في مسرحية "أوليفر!" على مسرح "ويست إند". قالت إنه أدى أغنية "اعتبر نفسك" في المطبخ، وغنى قرارها الأخير واقفًا على طاولته.

24- استعار فريق "ستيف ماريوت" واسمه "ذا سمول فيسيز" بيانو "جيل كورتني" الكهربائي عندما كانت لديهم حفلة في "بلفاست"، تحديدًا في نادي "ذا فلورال هول"، لأن بيانو "إيان ماكلاجان" لم يكن يعمل جيدًا. كان نادي "ذا فلورال هول" ناديًا ليليًّا مصممًا على طراز "الآرت ديكو" (الفن الزخرفي)، ويطل على "بلفاست"، ولكنه الآن مهمل، ويستخدم لتخزين طعام حيوانات حديقة الحيوان القريبة.

25- كان طول "جيل كورتني" ستة أقدام وإنش واحد، ومقاس حذائه 10.

26- نشر "جيديون هول" من فريق "بالومار" سيرته الذاتية عام 2005، وتُرجمت إلى تسع لغات.

27- يرجع الفضل لتعرف "جيل كورتني" على عازف طبول يُدعى "كيفين هايورد" إلى عمل الأول موسيقيًّا مستقلًّا. كان "كيفين هايورد" قد انضم حينها إلى فرقة موسيقية مع عازفي جيتار قابلهم عن طريق صديق مشترك. دعاه "كيفين هايورد" إلى إحدى بروفات الفريق، وكانت هذه لحظة ميلاد فرقة "ذا بالومار".

28- نادرًا ما ارتدى "جيل كورتني" لونًا غير الأسود.

29- لم يقبل "آليك كورتني" موسيقى "الروك آند رول"، ولا بعمل "جيل" ولا الضيوف الذين يقيمون أحيانًا في منزل شارع "تلدارج". وصفته "إلسي" بأنه "عجوز رجعي، وكان أكثر سعادة في مجموعات دراسة الكتاب المقدس".

30- عانى "جيديون هول" شعورًا خاصًّا بالمرارة تجاه "إلسي كورتني"، والتي كان "جيل" يدعوها إلى حضور حفلات في لندن و"جلاسجو". قيل إنه قال عنها "فلتحمنا يا رب من ذات اللسان الطويل! ترى ما الكلمات التي ستسبب لي أقصى درجات الفزع هذه المرة؟ ها قد جاءت الأم اللعينة".

31- كان "جيل كورتني" يقرأ روايات خفيفة خلال فترات الاستراحة في أثناء التسجيل في الاستوديوهات عندما كان موسيقيًّا مستقلًّا، مثل روايات "أجاثا كريستي"، أو الخيال العلمي الأمريكي. قال: "حاولت

"سيمون" أن تثير اهتمامي بالشعر، مثل شعر "جينسبيرج" وغيره، لكنني حقًّا لم أحبه".

32- قال "جيديون هول" في سيرته الذاتية عن "جيل كورتني": "قد يكون كلامي قاسيًا، ربما هو قاسيًا حقًّا، ولكن هل كان أكثر من مجرد نقطة هامشية في صفحة التاريخ؟ وإن حقق هذا من الأساس؟ أسطورة الفاشل الجميل... إنها قديمة، إنها متعبة".

33- ذهب "جيل كورتني" في رحلة إلى المغرب مع مجموعة من الأصدقاء، ومنهم "برايان جونز" من فرقة "ذا رولينج ستونز" قبل وفاة الأخير بفترة وجيزة، وكان "الكيف" المحلي رائجًا بين الناس. لا تتذكر "إلسي" إن كان "بريان جونز" قد أقام سابقًا في منزل شارع "تلدارج"، ولكنها علقت بشكل عام عن الموسيقيين الذين استضافتهم قائلة: "كل هؤلاء الشباب الذين تعلق الفتيات صورهم على حوائط منزلهن، ولكن إن رأين ما رأيته منهم في الصباح... بناطيل متسخة ورائحة عرقهم الكريهة... ربما يُعِدن التفكير في رؤيتهن لهم".

34- كانت لــ"تشارلز شار موراي" رؤية إيجابية وثاقبة لألبوم "الغسق الذهبي"، واصفًا إياه بــ"أولى درجات سلم العظمة". حظي الألبوم أيضًا باستقبال نقدي إيجابي بشكل عام في مجلات "ميلودي ميكر" و"نيو ميوزكال إكسبريس"، وقد امتدح النقاد تحديدًا أغنيتي "جولدلين" و"دمشق"، وقد كتبهما "جيديون هول"، و"ديكي جريفين"، أما الأغنيات التي اشترك "جيل كورتني" في كتابتها، فقد وصفت بــ"نوع من الإفراط الذي يعيد إلى الذهن الموسيقى الباروكية".

35- صدرت أغنية "جولدلين" منفردة، ووصلت إلى المرتبة الرابعة والثلاثين في "قوائم أشهر الأغنيات بالمملكة المتحدة"، إلا أنها لقيت استقبالًا أفضل في فرنسا. ظهرت الفرقة بفقرة ترويجية في برنامج فرنسي عام 1972، ويمكن مشاهدة الدقائق الثلاث والعشرين الأولى منها على موقع "يوتيوب". لا يظهر "جيل كورتني" تقريبًا في هذا المقطع.

36- اختارت مكتبة "إيسون" سيرة "جيديون هول" الذاتية عند نشرها لإدراجها ضمن مجموعة الكتب التي تتمتع بأولوية الترويج بالمكتبة. وبَّخ أحد العاملين بالمكتبة في شارع "دونيجال بليس"، "إلسي كورتني" لأنها أزاحت بعض نسخ الكتاب من نافذة العرض الرئيسة.

37- داهمت الشرطة حفلًا في شقة "جيل كورتني" بمنطقة "بيمليكو" في يناير 1973، ويقال إن العملية أسفرت عن مصادرة نبات القنب وقطع الحشيش وأقراص "ماندراكس". استطاع طبيب نفسي أن يقنع المحكمة بعقوبة موقوفة النفاذ نظرًا إلى مشكلات "جيل كورتني" النفسية الواضحة، ولكن أيضًا أدى هذا إلى تعذر حصوله على تأشيرة سفر لإحياء حفلات خارج البلد.

38- أجاب "جيل كورتني" عن أسئلة طرحتها عليه مجلة "بوب ستارز" في العام نفسه كالآتي: "طعامك المفضل؟" – "الآيس كريم والجيلي". "مشروبك المفضل؟" – "الشاي". "لونك المفضل؟" – "الأصفر". "أسلوبك المفضل في قضاء يوم؟" – "التمشي في الحديقة مع الأصدقاء". "أي نوع من الفتيات تفضل؟" – "اللطيفات".

39- سُئل "فان موريسن" في حوار عام 1993 عما إذا كان يذكر "جيل كورتني". رد بالنفي.

40- عانى "جيل كورتني" رهاب الطيران، والذي كان يخفف من وطأته عن طريق شرب الكحوليات وتعاطي المخدرات. سببت له رحلات الطيران حتى القصيرة منها نوبات هلع. كان قد فقد الوعي على متن طائرة متجهة بالفرقة إلى فرنسا عام 1972، عندما هبطت الطائرة في مطار "شارل ديجول". استقل مواصلات برية وبحرية في رحلة العودة، حتى إنه عاد إلى لندن بعد أسبوعين تقريبًا من عودة باقي الفرقة. قالت "إلسي كورتني" إنها عجزت تمامًا عن تفهم خوف "جيل" من الطائرات. قالت: "ما المشكلة بحق الإله؟ كيف لا تحب الطائرات؟ أنا أحب الطائرات، وأحب المشروبات والطعام المعبأ في عبوات صغيرة، وأحب مضيفات الطيران، وأحب التسوق غير الخاضع للجمارك".

41- تغيب "جيل كورتني" عن العزف في حفلتين موسيقيتين؛ واحدة في نادي "بارولاندز" في "جلاسجو"، والأخرى في قاعة "فري تريد" بـ"مانشستر". أُرسِل مدير فرقة "ذا بالومار" حينها وهو "ليني إنلاندر" إلى "جيل كورتني" في شقته بمنطقة "بيمليكو" ليخبره أن الفرقة قد استغنت عن خدماته. علق "إنلاندر" على هذا لاحقًا قائلًا: "كان من الصعب تمييز "جيل" من الأساس، فقد كانت الحجرة وكأنها حجرة مخصصة للتدخين ومعبأة بالدخان، وتغطي نوافذها كلها ستائر عازلة للضوء. كان بودي ألا أخبره أمام ضيوفه، ولكنه رفض أن يتحدث على انفراد ورفض أن ينصرف الضيوف، فقلت له: "هذه هي النهاية يا

"جيل"، لا يمكنك الاستمرار في العمل". بدا لا مُباليًا، فظننته لم يستوعب ما قلته بشكل كامل، أتفهم قصدي؟". لم يستمر "ليني إنلاندر" في عمله مديرًا للفرقة، بل انتهى به المطاف إلى البدء بمشروع استيراد وتصدير ناجح على الطريق الشرقي الكبير.

42- أصدرت شركة "آفالانش تييز" كمية محدودة من "التي شيرت" التي تحمل صورة ألبوم "فولونتي بلو" بعد المقال الرئيس المنشور عنه في مجلة "أنكات". صارت لاحقًا متوفرة على موقعي "أمازون"، و"إي باي" بسعر مخفض، بل وتم شحن أحدها إلى "تكساس".

43- اتفق الموسيقيون الذين شاركوا في عزف موسيقى أغاني "فولونتي بلو" في أثناء تسجيل الألبوم أن الأمر كان أشبه بالتعذيب. توقع منهم "كورتني" أن يعملوا لما يصل إلى عشرين ساعة يوميًّا، رغم أنه أحيانًا كان يختفي لساعات تاركًا إياهم في أثناء التسجيل. علق على ذلك "ماك ماكلين" عازف جيتار" البيس" قائلًا: "بعد البروفة الخمسين مثلًا كنت أفقد طاقتي تمامًا. لقد عملت مع بعض الأوغاد المهووسين بالكمال من قبل، ولكنه كان مصابًا بالجنون. كان جذابًا بالتأكيد، لكن مجنون. مثلًا، كان يقول: "اعزف هذا المقطع وكأنه ثمرة خوخ على لوح من الطين.. في المغرب"، أتفهمني؟ كان من المستحيل التفاهم معه".

44- وُصف "جيل كورتني" و"سيمون ليندستروم" في إحدى مجلات تلك الفترة من الزمن بـ"الحبيبين الأكثر جاذبية في الصور الفوتوغرافية في لندن"، ونشرت لهما المجلة صورة فوتوغرافية في غرفة معيشة ذات سقف عالٍ وإفريز مزخرف. ظهرت "سيمون" مرتدية فستانًا أبيض شفافًا،

ومتكئة على أريكة وهي تدخن سيجارة، أمَّا "جيل" فقد ظهر مرتديًا بذلة سوداء، وجالسًا قبالتها، وقد أحنى جسده إلى الأمام. يمكن اعتبار الصورة نسخة باردة المشاعر من صورة ألبوم "العودة إلى الأصل" لـ"ديلان". ذكرت المقالة بعض التفاصيل عن الحبيبين، وقالت إن الجمهور ينتظر بفارغ الصبر ألبوم "جيل كورتني" المنفرد، والذي سيصدر قريبًا.

45- كانت صورة غلاف ألبوم "فولونتي بلو" لافتة للنظر: حيوان (غير محدد نوعه) مستلقٍ، ميتًا وسط صحراء زرقاء. كان وراء هذه الصورة "بيتر كريستوفيرسين"، من فريق التصميم الفني "هيبنوسيس"، والذي انضم لاحقًا إلى فرقة "ثروبينج جريسيل".

46- قيل إن "جيل" قد استلهم فكرة أغنية "درجة لون"، وهي الأغنية الرئيسة على وجه ألبوم "فولونتي بلو" من أغلفة الحلوى المصنوعة من ورق السلوفان.

47- لم يستطع "جيل كورتني" العودة إلى الوطن لحضور جنازة "آليك كورتني"، والذي تُوفي إثر أزمة قلبية عام 1975.

48- لقي ألبوم "فولونتي بلو" استقبالًا فاترًا. امتدح بعض النقاد "الجاذبية الصبيانية" لبعض كلمات أغنياته أو "تراخيه في اتباع الأنماط التقليدية" (في تأليف الموسيقى)، ولكن رأى الكثير من المستمعين أن الألبوم يتصف بالتفكك.

49- استمر ألبوم "ذا بالومار" الثاني واسمه "CCS" في الظهور على قوائم أعظم خمسين ألبومًا مسجلًا في التاريخ. سُئل "جيل كورتني" في

حوار مع مجلة "ميلودي ميكر" عام 1975 إن كان قد استمع إلى الألبوم. صمت لبرهة، ثم قال: "نعم، استمعت إليه". سُئل إن كان يتفق مع الجمهور الذي أجمع كله تقريبًا على روعة الألبوم، فأخذ نفسًا طويلًا من سيجارته، ثم زفره ببطء، وقال "نعم، إنه رائع كما يراه الجميع، وهل لي الحرية في أن أختلف في الرأي من الأساس؟".

50- شارك "جيل كورتني" في العزف مع فريق "ذا أونلي وانز" في حفلتين عام 1978.

51- عاد "جيل كورتني" إلى "بلفاست" عام 1980، لم يعد مناسبًا له البقاء في لندن. سافر إلى "سترانرا" بالقطار في رحلة العودة، ثم أخذ مركبًا إلى "لارن". قابلته "إلسي كورتني" في محطة طريق "يورك"، وأقلقها مظهره لعدة أسباب. قالت: "أولًا، لم يحمل حقيبة سفر ولا أي حقيبة من الأساس، فقط كيس بلاستيكي به بضع الأغراض". أيضًا صدمت لمرأى جسده الذي بدا كالهيكل العظمي، ففي تلك المرحلة بحياته كان وزنه ثمانية وستين كيلو ونصف.

52- استخدم الـ"دي جاي" الهولندي "لارس فان تيلينجين" الثواني الثلاث الأولى من أغنية "سخط"، وهي الأغنية الثالثة على الجانب الأول من ألبوم "فولونتي بلو" كمقطع متكرر في موسيقاه عام 2001.

53- في مرحلة طفولة "جيل"، اعتاد هو و"إلسي" زيارة محطة المياه في شمال "بلفاست" لإطعام البجع.

54- استحوذت أنواع متعددة من الهوس بالأطعمة على "جيل كورتني". قالت "إلسي" إنه أراد أكل الأطعمة ذات اللون الأبيض فقط لا غير بعد عودته إلى "بلفاست"، وبعد عدة أشهر من اتباع نظام غذائي يتكون من البطاطس والمكرونة والأرز فقط، قرر أن يأكل كل الأطعمة ذات اللون غير الأبيض.

55- في عام 1989، كان طلاب نادي السينما بجامعة "ليدز" يعدون برنامج استطلاع رأي بغرض عرضه على شبكة تليفزيون الطلاب. استوقف أعضاء فريق الإنتاج الناس بشكل عشوائي في الشارع ليسألوهم عن الموسيقى المفضلة لديهم وسبب حبهم لها. كان خامس شخص يجرون معه الحوار في صباح أحد أيام شهر أبريل رجلًا في منتصف الثلاثينيات، أصلع، ويرتدي معطفًا رماديًّا. قال: "الموسيقى المفضلة لديَّ.. حسنًا، بلا شك، إنها موسيقى "جيل كورتني" العضو السابق بفرقة "ذا بالومار"، فموسيقاه تأخذني.. تأخذني إلى عالم آخر". صمت لبرهة، ولكن ظلت الكاميرا موجهة إليه فاستطرد: "تأثير هذه الموسيقى.. تأثيرها.. إنها تنفذ إلى الإحساس بالوحدة أو بالحب أو بالإخفاق، ولهذا.. لهذا كانت موسيقاه ملاذي أحيانًا. أتحدث هنا عن "فولونتي بلو" تحديدًا، لا الفرق الأخرى التي انضم إليها إطلاقًا. أحيانًا أيضًا جلبت لي موسيقاه البهجة، ووجدت فيها احتفالًا عظيمًا بالحياة. لا أبالغ في قولي هذا، بل أعنيه تمامًا. في موسيقاه دفء، وفي موسيقاه عَجَب". صمت لبرهة ثانية، ثم تساءل: "أهذا يكفي؟". ضحك المحاور بحرج، وغمز له، ثم حنى رأسه، وقال: "حسنًا، أظن أن هذا يكفي".

56- كانت "إلسي" تبتاع لـ"جيل" سترة سوداء من صوف الـ"ميرينو" ذات ياقة دائرية سنويًّا في كل عيد ميلاد مجيد.

57- كان لدى "جيل كورتني" عند عودته إلى شارع "تلدارج" جهاز "جراموفون" ومجموعة أسطوانات يشغلها بصوت منخفض جدًّا. قالت "إلسي كورتني" إنك لم تكن لتسمع صوت الموسيقى إن دخلت الغرفة، إلا إذا لاحظت دوران الأسطوانة.

58- لم يشاهد "إلسي" و"جيل" التليفزيون إطلاقًا. كان "جيل" يستمع إلى الراديو فقط.

59- استخدم "جيل كورتني" جهاز "Putney VCS 3" لشركة "EMS"، والذي يُعد أول جهاز مزج موسيقي (synthesiser) محمول في العالم.

60- أجرت مجلة ألمانية مقابلة مع مجموعة فتيات مراهقات عام 1971 حول المشهد الموسيقي في لندن. قالت "فيف فالي" (17 سنة): "أحب "جيل كورتني" دونًا عن كل أعضاء الفرق الموسيقية الشباب. إنه لا يقارن بالمغني الرئيس إطلاقًا، بل يعزف البيانو فقط، ولكنه وسيم جدًّا، وأحب لكنته في الكلام لأنه أيرلندي، وجدتي أيرلندية. لقد تحدث معي ومع صديقاتي إحدى المرات عندما كنا ننتظر خارج غرفة الفرقة الخاصة".

61- عاش "آرثر ماكورت" في المنزل رقم 168 بشارع "تلدارج"، وهو المنزل المجاور لمنزل "كورتني" لمدة خمسين عامًا. يذكر إنه قال: "أومن تمامًا بقيمة أن تكون عاديًّا، بلا أي مواهب عظيمة، حتى إنني أسأل نفسي إن كان من الأحرى بهذا الشاب أن يجد عملًا مثل والده، وظيفة في "ماكيز"

أو ما شابه، وأن يتزوج وينجب عددًا من الأطفال، بدلًا من صعوده كالصاروخ ثم انتهائه إلى اللاشيء. لا، بل أقل من اللاشيء، بناءً على الحالة التي رأيته عليها. ولماذا؟ من أجل بضعة ألحان لا يستمع إليها أحد؟".

62- كان "جيل" في طريقه إلى المجمع الاستهلاكي على طريق "كريجا" في وقت متأخر من إحدى ليالي نوفمبر 1990 لشراء سجائر، حين تعرض للسرقة، وتم الاعتداء عليه. سُرقت محفظته، وكُسر فكه وجُرح جرحًا طوله أربع بوصات على جانب رأسه.

63- كانت لدى "جيل كورتني" روشتات طبية مكررة تكفل له صرف مسكنات أفيونية بين عامي 1981 و1996، وقد زادت إلى هذا جرعات من "الترامادول" الذي كانت تحصل عليه "إلسي كورتني" كمريضة في عيادة ممارس عام آخر، رغم تمتعها بصحة جيدة جدًّا.

64- كان "جيل كورتني" عاشقًا لمجلة بعنوان "عجائب العالم القديم السبع"، والتي صدرت لأول مرة عام 1994، وأُرفق مع كل عدد نموذج مصغر لأحد الآثار. خُصص العددين الأول والثاني للهرم الأكبر بالجيزة ومعبد "أرتميس" على التوالي، لكن باقتراب صدور عدد المجلة الثالث سحب بعض بائعي الصحف المجلة من السوق، وسارت "إلسي كورتني" تبحث عن عدد الشهر في متاجر عديدة بـ"بلفاست"، حتى وجدت العدد الرابع أخيرًا لدى بائع صحف في "كوينز أركيد"، وكان عن فنارة الإسكندرية، ولكن لم يُرفق معه النموذج المصغر.

65- انضم "جيديون هول" (زميل "جيل كورتني" في الفرقة سابقًا) إلى "قائمة الأغنياء" التي تصدرها جريدة "صانداي تايمز" عام 2010، ولكنه لم يتسنَّ له الانضمام في السنوات التالية بسبب تدني الاستثمار العقاري.

66- قال جارهما "آرثر ماكورت" إن حياة "إلسي" انتهت رمزيًّا عند وفاة "جيل". أضاف: "كانت هذه نهايتها، فقد عاشت فقط لأجله، فلم يكن لحياتها هدف بعد وفاته".

67- لم يتعلم "جيل كورتني" القيادة مطلقًا.

68- لم تتم إذاعة الفقرة التي ظهر فيها أحد المارَّة متحدثًا عن "جيل كورتني" في النسخة النهائية من برنامج استطلاع الرأي لطلبة جامعة "ليدز"، لأن جودة الصوت تأثرت بمرور إحدى الحافلات وقت التصوير.

69- كان "جيل كورتني" يستيقظ فجرًا في سنواته الأخيرة ويتمشى إلى مركز المدينة، ويعود إلى المنزل أيضًا سيرًا على الأقدام عندما تصل الحافلات التي تقل الطلبة وأطفال المدارس والعمال إلى محطة مجلس المدينة.

70- كانت الآلات المستخدمة في تأليف ألبوم "فولونتي بلو" كالتالي: الهارمونيكا، وجيتار "البيس"، والكمان، و"الأوبو"، والجيتار، والطبول، و"الأورجن"، ولوحة المفاتيح الموسيقية، وجهاز المزج الموسيقي، والمندولين.

71- دائمًا ما كان "جيل" يفضل المصباح العادي في غرفته. علقت "إلسي" على ذلك قائلة: "كنت أخبره بتوافر "أباجورات" جميلة في محلات وسط المدينة، ولكن لا، كان يحب أن يرفع رأسه للتحديق إلى فتيل

الإضاءة. كان يحب توهجه". أضافت "إلسي": "كنت أفضل الأناقة في المنزل، ولكن كانت هذه طبيعة جيل".

72- كان "معركة نيو أورلينز" لـ"لوني دونيجان" أول ألبوم يشتريه "جيل كورتني" في حياته.

73- قرر "جيل كورتني" عدم تلقي أي علاج عندما تم تشخيص مرضه، لأن العلاج الكيميائي قد يمد في عمره بضعة شهور فقط. تم نقله إلى مركز رعاية ما قبل الاحتضار الواقع على طريق "سومرتون" عندما لم تعد "إلسي" قادرة على الاعتناء به. تذكرت "إلسي" وجود زهرة نرجس على وشك التفتح على نافذة غرفته هناك.

74- قال أحد الصحفيين الذي أجرى مقابلة مع "ذا بالومار" بعد إصدار ألبوم "الغسق الذهبي" بفترة قصيرة: "بدت التوترات واضحة بينهم. تمتع "جيل" بحس دعابة وطاقة كبيرة، وبدا كشخص يدخل القلب، إلا أنه كان متقلبًا أيضًا ومغفلًا تمامًا فيما يتعلق ببعض الأمور. كان "جيديون" و"ديكي" واثقين من أنفسهم تمامًا، خريجي المدارس الخاصة المكلفة بكل ما يحمله ذلك من معانٍ، أما "كيفن" فلم يتعدَّ دوره عزف الطبول. يصعب وصف "جيل" بأنه الصبي الفقير الذي لم ينل قدرًا وافرًا من التعليم بينهم، إلا أنه شكل مصدر اضطراب لهم، ولهذا أرادوا التخلص منه. قد يظهر "جيديون" و"ديكي" وكأنهما مثال حي على اتباع نمط حياة غير تقليدي، ولكن كان من الوارد تمامًا أن تكتب لهما الأقدار إدارة شركة، مثل "BP" أو "ICI"، فقد كان هذا معدنهم، وهو ما يشهد عليه جبروت فرقة بالومار".

75- أقيمت جنازة "جيل كورتني" في كنيسة "رست" بشارع "رافينهيل"، ولم يحضرها إلا عدد قليل من الناس، ومنهم أحد أعضاء فرقة "ذا داكوتاز" السابقين وأحد أعضاء فرقة "ذا إمبيرورز". أحضرت "إلسي كورتني" نسخة متكسرة ومليئة بالخدوش من أسطوانات "فولونتي بلو" ظنًّا منها بتوافر جهاز "جراموفون"، لكن لم يتوافر إلا جهاز تشغيل "سي دي". كان مع "روني أوهانلون" بعض أسطوانات الـ"سي دي" التجميعية في سيارته، ومن ضمنها الجزء الأول من "أشعر بالسعادة" (Feelin' Good)، والتي وزعت مجانًا مع صحيفة الـ"ديلي ميل". اتخذ قرار الأغنية التي سيتم تشغيلها بسرعة. وأثناء خروجهم من الكنيسة، شغلت أغنية "الكل يتحدث" (Everybody's Talkin') لـ"هاري نلسون"، وهي أغنية من فيلم "راعي أبقار منتصف الليل" (Midnight Cowboy).

76- تُوفي "جيل ستانلي جون كورتني" في "بلفاست" في الثاني من فبراير عام 2001. تُوفي لاعب التنس "فريد بيري"، والممثل "جين كيلي"، والفيلسوف "برتراند راسل" في الثاني من فبراير أيضًا.

77- كانت سجائر "تشيسترفيلد" هي السجائر المفضلة لـ"جيل كورتني".



الفهرس

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

	العنوان	المؤلف	البلد
1.	اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
2.	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
3.	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
4.	جريمة في بوينس آيرس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
5.	شرخ في الحائط	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
6.	نقطة الصفر	ناريج ماليان	أرمينيا
7.	مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
8.	سأنتقم لموتك	كارما رييرا	أسبانيا
9.	الدبلوماسي	إليت أليشكا	ألبانيا
10.	قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتسة	ألمانيا
11.	لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
12.	سيلفي مع الشيخ	كريستوف بيترز	ألمانيا
13.	حب كالأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
14.	أفلام في قصص	مجموعة مؤلفين	أمريكا
15.	مصنع الأحذية	چيفري لويس	أمريكا
16.	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
17.	اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
18.	حياة على باب الثلاجة	أليس كويبرز	إنجلترا
19.	ثم ابتلعه الحوت	أمير أحمدي أريان	إيران
20.	لا صديق سوى الجبال	بهروز بوتشاني	إيران/ كردستان
21.	الموت والبطريق	أندري كوركوف	أوكرانيا
22.	تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
23.	بيت من زجاج	ويندي إرسكين	أيرلندا
24.	عملية البنك الأيرلندي	ريتشارد أوراو	أيرلندا
25.	مشعلو الحرائق	جان كارسون	أيرلندا
26.	قصص من أيرلندا	مجموعة مؤلفين	أيرلندا
27.	جريمة الساحر	أرني ثورارينسون	أيسلندا
28.	شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
29.	العاصفة	إينار كاراسون	أيسلندا
30.	الفخ	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
31.	الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا

.32	أسود صقلية	ستيفانيا أوشي	إيطاليا
.33	حذارِ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
.34	من هو لو سيورتينو؟	أوتافيو كابيلاني	إيطاليا
.35	أحلام سعيدة يا صغيري	ماسيمو جارميلليني	إيطاليا
.36	سيارة اسمها النصر	إيلمار تاسكا	إستونيا
.37	أرق من الجلد	أوزما إسلام خان	باكستان
.38	سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
.39	امرأة في حقيبة	رافاييل مونتيز	البرازيل
.40	بيتنا في إزمير	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
.41	كابوس ساو باولو	أنطونيو شيرشينيسكي	البرازيل
.42	الروليت الروسي	رافاييل مونتيز	البرازيل
.43	عائدة إلى الشمس	آنا ماريا ماتشادو	البرازيل
.44	مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
.45	نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
.46	الأثر المقدس	إيسا دي كيروش	البرتغال
.47	ماذا فعلت غدًا	برونو فييرا أمارال	البرتغال
.48	أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
.49	فندق الغرباء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
.50	التعساء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
.51	صانع الملائكة	شتيفان بريجس	بلجيكا
.52	مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
.53	جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
.54	أبسنت	أيفر تونش	تركيا
.55	أحلام محطمة	بيولنت سينوكاك	تركيا
.56	ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
.57	امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
.58	توباز	هاكان جنيد	تركيا
.59	ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
.60	جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
.61	جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
.62	الطلاق على الطريقة التركية	أسمهان أيكول	تركيا
.63	خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
.64	ديستينا	ماين كيركانات	تركيا

65. الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
66. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
67. لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
68. مينتا	سولماز كاموران	تركيا
69. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
70. سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
71. جريمة أبي	هاكان جنيد	تركيا
72. الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيجوز	تركيا
73. المدينة ذات العباءة القرمزية	أصلي إردوغان	تركيا
74. الدرويش	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
75. جرائم براج	ميلوش أوربان	التشيك
76. معسكرات الشيطان	ياخيم توبول	التشيك
77. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
78. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
79. الجريمة المنسية	فيكتوريا هانيشوفا	التشيك
80. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
81. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
82. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
83. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
84. احذري يا آنا	ماريك سينديلكا	التشيك
85. الحب في زمن الاحتباس الحراري	جوزيف بانيك	التشيك
86. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
87. العقل المدبر	ديفيد أوجنر	جواتيمالا
88. آزوري	ك. سيلو دويكر	جنوب أفريقيا
89. المنتحر	أولجا سلافينكوفا	روسيا
90. في انتظار الطوفان	رومان سنشين	روسيا
91. رسائل سبتمبر	برايوني رحيم	زيمبابوي
92. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
93. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
94. يوغوسلافيا.. أرض أبي	جوران فوينوفيتش	سلوفينيا
95. الحياة هنا	ميرال قريشي	سويسرا
96. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
97. كرافت	يوناس لوشر	سويسرا

98. كاتبة وكاتب	فيولا رونر	سويسرا
99. المتلعثم	تشارلز ليفينيسكي	سويسرا
100. جريمة عيد الميلاد	أندريه روزلاند	السويد
101. بكين.. بكين	شيو تسي تشن	الصين
102. بنات الصين	يي مِاي	الصين
103. الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
104. رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
105. سبع ليالٍ في حدائق الورد	يي مِاي	الصين
106. النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
107. رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
108. أيام.. شهور.. سنوات	يان ليان كه	الصين
109. المبنى 21	تشو داشين	الصين
110. الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	الصرب
111. المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
112. جريمة في باريس	صوفي إيناف	فرنسا
113. أخي الكبير	ماهر جوفن	فرنسا
114. ندبات	دالي ميشا توريه	فرنسا
115. المجاعة البيضاء	آكي أوليكاننن	فنلندا
116. التطهير	صوفي أوكساننن	فنلندا
117. اعترافات مؤجلة	ماجيلا بودوين	فنزويلا
118. الكاتدرائية السوداء	مارسيال جالا	كوبا
119. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
120. أين أنتِ؟	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
121. فتاة كازابلانكا	إن كولي جان بوفان	الكونغو
122. فنانو الذاكرة	چيفري مور	كندا
123. العملية "سمكة الفيل"	أوتو أوزولس	لاتفيا
124. أمي عميلة سرية	أوندراش فورجاتش	المجر
125. صانع الزجاج	إرميس لافازانوفسكي	مقدونيا
126. القنَّاص	بلايز مينيفيسكي	مقدونيا
127. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
128. القزم	أليكساندر بروبوكيف	مقدونيا
129. د. مينجوس.. الأخ الأكبر	خيسوس ريكاردو فيليكس	المكسيك
130. الجريمة المكسيكية	إكتور آجيلار كامين	المكسيك

131. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
132. صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
133. جريمة العروس الهندي	كارين فوسوم	النرويج
134. جريمة على حافة البحيرة	كارين فوسوم	النرويج
135. سميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
136. حرية حزينة	فريدريكه جيزفاينر	النمسا
137. ف.و.م.و	ألموت تينا شميت	النمسا
138. حزن غير محتمل	بيتر هاندكه	النمسا
139. ثقل العالم	بيتر هاندكه	النمسا
140. في ليلة مظلمة تركت منزلي الصامت	بيتر هاندكه	النمسا
141. عودة مطولة إلى الوطن	بيتر هاندكه	النمسا
142. أعيش مع شبح	لورا فرويدنتالر	النمسا
143. أختي قاتلة متسلسلة	أوينكان بريثويت	نيجيريا
144. دگّان الساري	عبدالله خان	الهند
145. أحزان هندية	روبا باجوا	الهند
146. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
147. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
148. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
149. عمدة أمستردام	هيرمان كوخ	هولندا
150. تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
151. أجمل فتاة في چنوة	إيليا ليونارد فايفر	هولندا
152. قلق الأمسيات	ماريكا لوكاس رينفيلد	هولندا
153. عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا
154. بذلة فضاء برتقالية اللون	لويد ماركهام	ويلز
155. المدينة الخاوية	جاري رايموند	ويلز
156. لماذا قتلت أعز صديقاتي؟	أماندا ميكالوبولو	اليونان

صدر من كتب عامَّة:

157. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
158. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
159. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
160. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
161. الشاي: ثقافات.. طقوس.. حكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
162. لماذا تنتفض الشعوب؟	جيرو فون راندوف	ألمانيا
163. الرمان: تاريخ وحكايات من حول العالم	برند برونر	ألمانيا
164. القمر	برند برونر	ألمانيا
165. السادات.. شميت: حوار الأزمات	كارل جوزيف كوشيل	ألمانيا
166. مستقبل النسوية	مجموعة مؤلفين	إنجلترا
167. إسكتشات مصرية	جيريمايا لينش	إنجلترا
168. شذرات من التاريخ المصري	آرثر بروم	إنجلترا
169. تشرنوبل: 01:23:40 الحقيقة كما حدثت	أندرو ليذربارو	إنجلترا
170. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
171. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
172. القرصان الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
173. البيئة: لغز المستقبل	أندري سنير ماجنسون	أيسلندا
174. مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
175. زيارة لمكتبات العالم: أشهر مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
176. ضد أمازون	خورخي كاريون	إسبانيا
177. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
178. الذكاء الأخضر	ستيفانو مانكوسو	إيطاليا
179. خيالات الشرق	إيسا دي كيروش	البرتغال
180. ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	دافيد فان ريبروك	بلجيكا
181. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
182. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
183. كيفية حساب بصمتك الكربونية	دويين باهتشجي	تركيا
184. النشوة المادية	جي. إم. لو كلوزيو	فرنسا
185. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
186. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
187. ماركيز: لن أموت أبدًا.. حكايات كتبه	كونرادو زولواجو	كولومبيا

188. الجري	ثور جوتاس	النرويج
189. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
190. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا
191. النسوية للرجال	ينس فان تريخت	هولندا
192. سوفييتستان	إريكا فاتلاند	هولندا
193. قصص يحكيها الأطباء عن مرضاهم	إلين دي فيسر	هولندا

حصريًا عن العربي

الرواية الفائزة بجائزة البوكر العالمية 2020

"قلق الأمسيات"

لماريكا لوكاس رينفيلد

وترجمة:

محمد عثمان خليفة